الأباضية مذهب وسلوك

بقلم

السيد عبد الحافظ عبد ربه

الناشر
مكتبة الأستقامة
روي - سلطنة عمان
١٤٠٦ - ١٩٨٦

ملحوظة :

« لك عندى يا قارئى العزيز نسخة من كتابى هذا « الاباضية .. مذهب وسلوك » ، ونسخة اخرى من كتابى السالف « يائمة العرب » هدية وتحية أرسلهما بالبريد فور خطاب منك على عنوانى المذكور بهذا الكتاب ، تاكيدا للود ، وتجديدا للعهد ، ووفاءا بما التزمت به مع كل عربى ، ومسلم » .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »

قرآن كريم

« افترقت المجوس على سبعين فرقـــة ،
وافترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ،
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ،
وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ،
كلـــهم فى النـــار الا واحـــــدة »

حديث شريف



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

الإهداء

إلى صاحب الجلالة السلطان « قابوس بن سعيد » المعظم ، سلطان عمان حفظه الله ورعاه .

ياصاحب الجلالة : هذا كتابى « الاباضية .. مذهب وسلوك » أقدمه بين يدى جلالتكم ، وأرفعه إلى مقامكم الكريم ، وفاءا بما ألزمت به نفسى أمام الله ، وأداءا لما قطعته من عهد لجلالتكم ، فى أن أكشف الغطاء . وأزيح الستار ، عن ذخائر العروبة ، ومفاخر الإسلام ، ومآثر العرب والمسلمين عبر سلسلة «عمان .. والامبراطورية العربية » ..

ولقد تتبعت — ياصاحب الجلالة — فى كتابى هذا ، أرومة العروبة ، وأمومة العرب فى منابتها الأولى ، ومغارسها الأصلية ، وبداوتها العريقة ، ودرت معها فى أعماق الماضى ، وأغوار الأزل ، وبين منعطفات التاريخ ، وفى سراديب الدهور والعصور ، حتى عهد يعرب بن قحطان ، وأخيه « عمان » .. وأوضحت فى الكتاب — ياصاحب الجلالة — مشوار مازن بن غضوبة ، من عمان إلى المدينة المنورة ، — مهجر رسول الله ، ومقر حكومة الإسلام الأولى — حيث أسلم على يدى النبى ﷺ ، وبينت كيف أعلن عن اسلامه بين قومه ، ثم كيف حمل الاسلام إلى عمان ؟

ياصاحب الجلالة ... ووقفت طويلا فى عرض هذا الكتاب وشوارعه ، وبين دفتيه ، وعلى مدى أبوابه ، مع « المذهب الأباضى » ، وأبنت أنه طريق الدعوة إلى الله ، والطريقة السلفية الصحيحة — الخالية من التعقيد والتشديد — والتى يجب أن يعبد الله عليها ، وتتأدى حقوقه من خلالها ، ويتعامل الناس عن منهجها مع الحياة .

وقد — ياصاحب الجلالة — باستقطاب ، واستيعاب هذا المذهب من جميع مصادره ، وشتى مظانه وخواطره ، ومن بطون الكتب ، والمكتبات ، وذخائر المطبوعات ، والمخطوطات ، وتوافرت على دراسة تلك « الفرقة الناجية » — وهى بعون الله دراسة أكاديمية موضوعية — قرابة السبعة أعوام .

والله أرجو أن تكون هذه الدراسة نافعة صالحة ، تؤدى دورا من أدوار العقيدة ، وتسهم كثيراً فى منجزات الدين ، وتضيف جديدا إلى فقه الشريعة ، وأسلوب العبادة ، وكيفية تعامل الناس مع الإسلام والحياة .

فإلى جلالتكم — ياصاحب الجلالة — أهدى هذا الكتاب « الأباضية . مذهب وسلوك » .. والله من وراء القصد ، وهو ولى التوفيق ، والهادى إلى سواء الطريق ، وهو نعم المولى ، ونعم النصير .

المؤلف
السيد عبد الحافظ عبد ربه
من علماء الأزهر

مقدمة

إن دراسة عمان عموما ، والاباضية فيها على وجه الخصوص ، تريناالنماذج الرائعة الحية ، من البطولات العربية ، والشوامخ الإسلاميه الفذة ، والعبقريات العلمية الأكاديمية ، والتكنولوجيات المبدعة الخلاقة ، فى شتى مجالات الكون ، وفوق خريطة العالم ، وعلى مستوى الإنسانية كلها ، بما تنصلح به الدنيا ، ويستقيم معه الواقع ، وتصح عنده الحقيقة ، ويثرى فائضه رصيد البشرية ، ويتراءى حصاده زاهياً رابيا فى أجواء العقيدة ، وآفاق الدين ، ويبدأ من لدنه مشوار التاريخ ، وتنطلق حركات الحياة فى إيقاع متسق منظوم ، و توازن متقن منغوم.

إن عمان — وقد تداولها وتناوب الحكم عليها بنوسامة ، وبنو نبهان ، واليعاربة ، والبوسعيديون — لتعتبر قمة فى رفض التسلط والتعسف والتحكم وآية ثورية ملتهبة — كذلك — ضدأى ظلم أو اضطهاد ، أو ظالم أو مضطهد ، أو غاصب ، أو ناهب ، أو سالب ، ...

عمان ضد هذا كله.. ولقد ثارت على كل هؤلاء، كما احتمت عمان كذلك بالإمة — أو احتمت بها الإمامة — حقبة طويلة من الدهر ، بدءا من الجلندى بن مسعود ، ومرورا بأئمة كثار كبار منهم، الوارث بن كعب الخروصى، وغسان اليحمدى، ومنها ابن جيفر ، والخليل بن شاذان، وسلطان بن سيف بن مالك ، وبلعرب بن سلطان ومحمد بن ناصر الغافرى ، ثم أحمد بن سعيد — مؤسس دولة البو سعيد بين سنة ١١٦٧ ، والذى دانت له السلطنة والامامة معا ، وتحلقتا به ، وتعانقتا فى رحابه وأولاده من بعده ، سعيد ، وسلطان ، ثم أحفاده — من ولده سلطان — سعيد ثم تركى ، ثم فيصل ، ثم تيمور ، ثم سعيد بن تيمور ...

وكانت عمان آنذاك — وفى ظل هذه القمم ، وتلك القيم الدينية ، ولا تزال

بمشيئة الله كذلك — رمزا للسلوك الاسلامى المهذب ، الذى يصح أن يقاس عليه ويحتذى به سلوك أى مسلم أو عربى ، عبر الأمة الاسلامية والعربية ، ومن خلال الآلاف والسبعمائة مليون ، ممن يقولون : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، وينطقون العربية ..

أنا لا أتكلم فى مؤلفى هذا « الأباضية مذهب وسلوك » عن عمان الحضارة والمستقبل ، أو عمـــان الأمل والعمل ، أو عمان النهضة والتقدم ، أو عمان الدبلوماسية الهادئة ، أو عمان السياسة الحازمة الحكيمة ، أو عمان الصاعدة فوق أكتاف النجوم والسماء ، أو عمـان الواعدة بالخير والبركة والنماء ، أو عمـان التكنولوجيا الحديثة المتطلعة ، أو عمان الدراية والاحاطة المستوعبة الواسعة .

فذلك كله له موضعه وموعده مع مؤلفاتى القادمة ، عبر سلسلة « عمان والامبراطورية العربية » — يسر الله لى أمر هذه السلسلة حتى أنجزها وأبرزها بعون منه تعالى — وإنمـا سأقصر الـكلام هنا عن عمان بين أحضان التاريخ ، عن عمان والعروبة عن عمان المسلمة ، وكيف دخلها الاسلام ؟ عن عمان الأباضية ، وبيان الشوط الـكبير الذى قطعه ذلك المذهب ، والقاء الضوء على هذا الرسم البيانى الذى رسمت الأباضية أبعاده وآماده ، وخططت مساحته ومسافته تلك الفرقة الناجية ، فرقة « أهل الاستقامة » ، وانطلقت به من عمان مشرقة مغربة ، مشمئلة بجنبة ، فى كل بقاع الدنيا ، وأصقاع الحياة .

هذا المذهب الذى امتد نسبه إلى النبى ﷺ ، واستقى معينه من كبار الصحابة بالذات ، ومن حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس الذى حمله فى صدره ، وبشر به علماء الاسلام وفقهاؤه ، من أمثـال جابر بن زيد ، وأبى عبيدة مسلم التميمى ، وعبد الله بن أباض ، ومرداس بن حدير ، والربيع بن حبيب الفراهيدى ، ومحبوب ابن الرحيل ، وطالب الحق أبى يحيى عبد الله بن يحيى ، وأبى حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة الأزدى ، وضمام بن السائب العمانى ، وغيرهم كثيرين وكثيرين

من خيار هذه الأمة ، والذين قال الله تعالى فيهم وفى أمثالهم : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

وهكذا بدأت هوية هذا المذهب وملامحه ، وشخصيته . تتكامل كائنا سويا ، فى أعماق ، وفى أغوار ، وفى وجدان عمان — على الحقيقة — منذ أن بدأ الاسلام أول خطواته فيها ، وآتخذ وضع قدمه هناك على طريق — وفى أرض . هذه الغبيراء التى قال عنها رسول الله ﷺ : « رحم الله أهل هذه الغبيراء — يعنى عمان — آمنوا بى قبل أن يرونى فطوبى لهم » ...

هذا .. إلى جانب ذلك السبق الاسلامى فوق البيئة والطبيعة العمانية ، والذى تمثل فى أربعة من أهل عمان ، ومن كبار أصحاب النبى ﷺ ، وهم : ماذن بن عضوبة السعدى ، وكعب بن برشة الطاحى — أو العودى — وصحار بن العباس العبدى ، وأبو شداد بن أوس العمانى الدمارى ، وكلهم عمانيون ، أنبتتهم عمان الولود التى تلد العباقرة والأفذاذ ، وتنبت الدعاة والهداة ، والأخيار والكبار .

إن حضارة ، أو صدارة عمان ، لم تأت — كما أسلفت — من فراغ ، ولم تنشأ هكذا اعتباطا ، بل هيأ القدر أمامها الطريق ، وأطاب لها المناخ ، وأمشى فى مسيرتها الدجاجات المواتية ، وشدها إلى المتاحات القاصدة ، فى ظروفها الماضية والحاضرة ، والآتية ، وأعدها إعداداً كاملا مرعيا معنيا . كى تتمكن من قطع الشوط ، وإ كمال المشوار ، وتطريق آماده ، واقتحام أحجامه وأبعاده ، وأداء رسالة إصلاحية ، استجنت واختبأت فى ضميرها ووجدانها ، وظلت حبلى بها حقبا متطاولة من عمر الحياة ، حتى جاءها المخاض فيما إعتزمته ، وقصدت إليه ، وقدمته للعالم فى أسلوب من الوعى الجديد ، وصيغة مشرقة من الدبلوماسية ، وإثراء فى رصيد الإنسانية جمعاء ، والمسلمين خاصة ، والعرب بالذات ، وعلى وجه الخصوص

من عدالة فى الحكم ، وطهارة فى التعامل ، وتعفف وعفة ، وشرف ونزاهة ، وايثارية وتكافل ، ومسئوليات وتبعات يدور عليهما الخاطر ، وشعور فياض ينفعل به الاحساس ، ويستجيب لدعائه وندائه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فهل يمكننى حينئذ — وبعد ماسقت من آيات شاهدات ، واستنطقت من آثار وبصمات — أن أقول : إن عمان ظلت ، وستظل أيقظ حراس الاسلام والعروبة ، عبر آلاف السنين ، وعلى مدى الدهور والعصور ، بما فعلت وبما ستفعل فى سبيل العرب ، ومن أجل قضايا المسلمين ؟

هل يمكننى أن أجهر بصوت عال مجلجل ، وأقول — بكل ثقة واعتداد ، ومباهاة وفخر — : إن فضل عمان على العالم كله — مسلمه وعربيه — كفضل الغذاء ، والماء ، والهواء . تمده بالفكرة ، وتحميه بالعقيدة ، وتصون لسانه عن الرطانة واللحن ، وتملأ حياته كلها بكل أسباب العيش ، وعناصر الحياة .

هل يمكننى أن أقول : إن عمان قد حمت نبتة الاباضية ، وصانت نشأتها حيث تمخض عنها الفكر الاسلامى هناك ، وحيث ترعرعت فى بيئتها ، ومشت فوق أرضها ، فاحتضنتها ، وأشبلت عليها ، ودافعت عنها ، واعتقدتها مذهبا وسلوكا ، وقدمت لها خيرة رجالها ، وأفضل علمائها وفقهائها ، وعمان بذلك — وفى الحقيقة — تكون قد وفرت على المسلمين الكثير من الجهد والوقت ، كما هدفت فى ذات الأمر إلى تحرير الارادة الإسلامية ، والفكر الاسلامى من التمزع والتفرع ، والتفسخ والتشرخ ، فى شئون الدنيا ، وفى أمور الدين . . . وبذلك أيضاً تكون عمان قد قادت المسلمين إلى الطريق القاصد الواحد ، والهدف الراصد الواعد ، ومشت معهم فى زحف مقدس ، وصف منتظم راكض إلى حيث تكون الوحدة الاسلامية ، والفرقة الواحدة الناجية ، التى عناها الله تعالى فى قوله لرسوله : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » ، والتى

ارتضاها النبي ﷺ ، وأخبر عنها حين قال : « افترقت المجوس على سبعين فرقة ، وافترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار إلا واحدة » ؟

إن الإسلام قد مُنِي — منذ سنواته الأولى ، وخطواته الطرية ، أو بدءا من تعامله مع الحياة ، في عهد الخليفة الثالث — بالكثير جدا من الاضطرابات والفتن والكبير الخطير من البلايا والمحن ، حين تفرق المسلمون مزعا وشيعا ، وتنافروا أقساما وأرقاما ، وكادت شأفتهم أن تنقضي ، وعصاهم أن تنكسر ، وأمرهم أن ينتهي وينفض .. وزاد الطين بلة ، والقلب أوجاعا وعلة ، هذا الهجوم الزاحف ، والطوفان الخاطف الراجف ، والموج الهائل المتلاطم ، الذي جاء في معية هذا الفكر الغريب الوافد على البيئة الإسلامية ، والمتمثل في الفلسفات اليونانية ، والوثنيات الاغريقية ، والشطحات المجوسية الفارسية ، والمتاهات الزرادشتية ، والترهات المانوية ، والبوذية . والبراهمية .

إلى غير ذلك من الديانات الشرقية الوضعية ، والأباطيل والاضاليل التي نفثها الشيطان في أرواع أصحاب هذه الملل والنحل ، من أحلاسه وأتباعه وسدنته والمنفذين أمره ، والمنتهجين نهجه ، والسائرين على حداه وخطاه... هذا إلى جانب ما أثقل الأمر ، وقصم الظهر ، من الفرق الإسلامية العديدة ، والطوابير الطويلة المديدة ، التي أضعفت كيان العقيدة ، وأثقلت كاهل الدين ، بما ابتدع واتبع ، وبما أحدثوه بينهم ، وتنازعوا عليه ، واختصموا فيه ، وتساقطوا عنده ضحايا وصرعى ، من مثل الاعتزال ، والمغالاة ، والجرأة واللامبالاة ، والتشيع ، والانحياز المتجسم المتضخم في المعتزلة ، وغلاة الخوارج والصفاتية ، والحشوية والمشبهة ، والقدرية ، والشيعة ، مع ما انشطرت إليه هذه الفرق والطوابير من فروع ، وتشكيلات ، ومذاهب ، ومناحي واتجاهات ، وأيضاً مع ما اندرج ضمن هذه اللافتات ، وانضوى تحت لوائها ، من تسميات ، وأسماء ، ومسميات ، بما تفوق العد وتتجاوز الثلاث والسبعين فرقة بكثير وكثير .. الأمر الذي يبهر العادين ، ويعجز الحاسبين

ومن خلال كل هذه التراكمات والتناقضات ، والأعداد والكميات . وما يدور بينها ، ويحدث فى صفوفها ، من نزاعات وخلافات ، وصدامات وانقسامات ... نرى تلك « الفرقة الناجية » ، وقد خرجت وحدها من وسط هذه المعمعة ، وهجيم تلك المعركة ، وهى تلوح بأغصان الزيتون ، وفروع الورد ، وقد هيأتها عمان ، وادخرتها لمثل هذا اليوم ، ولتقوم — قادرة ماهرة — بهذا الدور البطولى البارع الذى يحفظ على المسلمين وحدتهم ، ويبقى على كيانهم ، ويصون لهم العقيدة والدين .

فهل يمكننى بعد ذلك — وقبل ذلك — أن أقول : مرحى عمان ، ومرحى بما فعلت وأدت ، حين تمثلت كلها — بكل أجهزتها ، ومرافقها . ومؤسساتها . وطاقاتها وقدراتها — فى هذا التجمع الإسلامى الكبير — وأعنى به المذهب الأباضى — الذى استنبتته فى بيئتها . واستنبطته أسلوبا للفقه الشرعى ، وصيغة للإسلام ، وطريقة للسلوك الدينى الصحيح ، والعقيدة المصفاة النقية ، التى تراود الاحساسات والمشاعر وتطوف بالوجدانات والخواطر ، عبر الآلاف والسبعمائة مليون مسلم وعربى ، ممن يواطنون هذا العالم ، ويواكبون مسيرته ، ويرافقونه فى مشوار الحياة ؟

هل يمكننى أن أواجه — أو أجابه — المتشككين والمتشائمين من دعاة التفرقة المذهبية ، وأحلاس الهوى المغرض ، والمتشنجين ، والمتعصبين ، وغلاة العقيدة ، والخارجين على الجماعة ، والمتسورين فى بضاعة الدين ، والمترهلين ، عند بعض الفتاوى ، والجامدين على بعض الآراء ، من سماسرة القيل والقال ، وعملاء التمييع والتمزق وكهان التفرق والتفسق ، وأصحاب هذا الفكر الجامد المعاند ؟

هل يمكننى أن أواجه — أو أجابه — أو أقول لكل هؤلاء وأولئك : تلك هى عمان وقد اعتنقت ذلك المذهب الأباضى الذى بعد بها ، — وبالعالم الإسلامى كله — عن هذه المتاهات ، وتلك الشقة شقات والشقشقات التى دوخت الدنيا . وأتعبت

الناس . وآدت كاهل الكون ، وأثقلت عاتق الأيام ، وزلزلت — أو زعزعت — كاهل الوجود ؟

تلك هي عمان ، وقد تمذهبت بمذهب « أهل الاستقامة » واعتقدته منهجا وطريقا ، وتفاعلت معه سبيلا وسلوكا .

تلك هي عمان الماضي والحاضر والمستقبل أصالة وعراقة ، وأملا وعملا ، وبناء وطموحات وتطلعات ، ونهضة ويقظة ، وأمانة ونية ، ووثبـــة وهمة ، وذودا عن العروبة ، ودفعا عن الإسلام ، وحماية لقضايا الشعوب والأمم ، ووقوفا صادقا صامداً ، وانعطافا منحازاً قاصداً ، مع كل مضطهد مغلوب ، أو عان مكروب ، أو يائس بائس ، يطحنه الذل ، ويمضغه الظلم ، وتسحقه الحاجة ، ويرغمه الفقر ، ويقهره الهوان ، ولا تفتأ التناقضات تلهب ظهره ، وتثقل إصره ، وتدق فوق رأسه بمطارق المعسكرات الدولية ، أو الانتماءات الحزبية ، أو التقوقعات الشعوبية ، أو الملاهي الشيطانية ، الصبيانية ، كما نرى ونشاهد ، ونسمع ونقرأ ، من كل ما يثير الغثيان ، ويغضب الانسان . ويفر به — هاربا غاربا — إلى الغابات أو أدغال المارستان !!

إن العالم الاسلامي — وقد كانت تحكمه قوانين الاحتمالات . وتشطره اختلافات الفقهاء ، وتمزقه المذاهب ، وتقطع أوصاله الاجتهادات ، فردية كانت أو جماعية — بدأ يسترد أنفاسه اللاهثة ، وجهده المكدود ، وخطواته الراكضة اللاغبة — التي طالما أمشاها على رؤوس الحراب ، وفي مفترق الطرق — في ظل هذه المؤسسة الوليدة الشرعية ، والتي انفرج عنها ، وتمخضها الفكر الاسلامي الصحيح المصفى ، الخالي من التعقيد والتعصب ، والمنبثق أصلا من المنبع الأساسي للعقيدة ، والمصدر المتفق عليه بين رجال القرآن والحديث ، ورواد الفقه والشريعة ، وأساتذة الدين والايمان ، والذي اعتمده الرسول صلوات الله وسلامه

عليه بين أمته وجماعته ، مرجعا لهم وقانوناً ، فى قوله : « لقد تركت فيكم ما إن اتبعتموه لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » .

أقول : لقد توحد العالم الإسلامى ، واستراحت أمته ، فى ظل ، وفى رحاب مؤسسة « أهل الاستقامة » ، أو « الفرقة الناجية » ، أو « الجماعة » التى نعتها الله تعالى بالخيرية فى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، وأعنى بها « الأباضية » مذهبا وسلوكا ، وسنة وطريقا ، وتعاملا وتداولا .

وإن المتتبع لسلوك هذه الطائفة ، وتناولها للدين ، وتعاملها معه ، ليدرك من أول وهلة ، ويعتقد يقينا أنها الفرقة « الواحدة » — بين الفرق الثلاث والسبعين — التى ضمت جوانحها على الدين ، واستقبلته فى صدرها ، ومارسته ، وتعاملت معه كأسلوب صحيح ، وصيغة وضيئة مضيئة ، ومن هنا لاعجب أن تمذهبت بها عمان وأصدرت وأوردت كل شئونها الدينية والدنيوية من ثنايا — ومن خلال — ماتشير به وتدل عليه ، وتقف عنده ، وترشد إليه ، وتثق فيه .

وليست عمان وحدها فى هذا الطريق الأباضى ، بل سارت معها ، وشاركتها المشوار طائفة كبيرة من البلدان الإسلامية .. كالحجاز فى جملته ، ودول الخليج ، والامارات العربية ، والشام كله قبل تقسيمه وتدويله . ودول شرق أفريقيا وتونس . وليبيا والجزائر ، ومصر مع نشأة المذهب وبداية انتشاره .

هذا .. وان للمذهب فقهاءه وعلماءه الاجلاء الفضلاء ، الذين توافروا على استنباط أحكامه ، وتوضيح مسائله من الكتاب والسنة واجماع السلف الصالح ، والذين ربطوا — عن منهجه ، وبرنامجه — شئون الدنيا بشئون الدين ، وأطالوا يد الإسلام — بيضاء غراء — حتى التفت حول الأمة ، وأصابت كل شىء فيها بالتهذيب والتشذيب ، واحتضنتها ، واحسنت إليها ، كما دفعت عنها — وطاردت — كل دخيل أو غريب ، أو متلصص عليها ، أو متسلل إلى جواهرها ومكنوناتها ، إما

بقصد السرقة ، أو التلبيس والتدليس فيها وغشها ، أو العمل على نسفها تماما !!

ولست فى حاجة إلى الاسترسال الطويل فى بيان ما أفادته الحياة عن طريق الفكر الأباضى ، ولا سيما فى العمل على جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفهم ، وانطلاقهم جميعا من مبدأ واحد ، وإلى غاية واحدة ..

وها نحن اليوم نرى من آثار هذا التفكك المذهبى — والطريقة التى نعبدالله عليها ، والطريق الذى نقطعه ونمشيه إلى تعاليمه : وأداء واجباته — ما يندى الجبين ويشيب الطفل ، ويذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ويسكر الناس ، ويدعو إلى الأسى والأسف ، والفجيعة والمرارة ، فيما أصاب الدين ، وفيما أصاب المتدينين من جراء ما غرقوا فيه إلى الاذقان ، من هذه التشكيلات المذهبية ، و« الموديلات » و« الشللية » .

إن ذلك يمزق كيان الدين ، ويفتت وحدته ، ويقضى عليه ، ويمزق بالتالى كيان المسلمين المتدينين ، ويفتت قوتهم وتماسكهم ، ويقضى عليهم جميعا قضاء مبرما ، ويفنيهم الفناء الذى لاقيامة بعده أبدا ..

وهذا حتما من فعل الأبالسة الخبثاء ، أو السذج البسطاء ، أو أعداء العقيدة والدين

ولن يسترجع المسلمون مجدهم الغابر ، وأمسهم الدابر ، وقوتهم الذاهبة ، وشمسهم الغاربة ، إلا بالاعتصام بحبل الله جميعا ، وأن لا يتفرقوا ، وأن يتحدوا فيما بينهم ، وأن يتجمعوا فى كنف إله واحد ، ويجتمعوا على عبادته ، وأن لا يقلبوا وجوههم حائرين فى الأرض ولا فى السماء ، وأن يلبسوا اليافات المنشاة القابضة التى لا تسمح لهم بالالتفات يمنة ولا يسرة ، وأن يتركوا عبادة الأشخاص ، والهرولة إلى « الايديولوجيات » التى صنعها أشرار الناس .

حينئذ — وحينئذ فقط — يمكن للمسيرة الإسلامية أن تنطلق فى ركب قوى —

قوامه أكثر من ألف وسبعمائة مليون مسلم وعربى — إلى غاياتها الضاربة فى أعماق الحياة ، والذاهبة فى تطلعاتها إلى مأتيات السماء . « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

أقول : كان من أثر ذلك — أو كرد الفعل ، أو رجع الصدى لكل تلك الشيطانيات ، والنجاتف ، لكل هذه « الكرنفالات » — ان انعكست هذه الرؤية الكابية المعتمة ناطقة معبرة عن التمزق الشامل الخانق ، والخراب الداهم الخانق ، الذى أحاط بالأمة ، وأصابها فى شتى مرافقها ، وأجهزتها ، ومؤسساتها وفى حياتها السياسية بالذات ، ولاسيما ، وعلى الأخص المنطقة العربية — من الخليج إلى المحيط — التى يعايشها ويواطئها أكثر من مائتى مليون عربى ، الأمر الذى أطمع فيهم الأعداء ، وأغرى بهم السفهاء ، وجرهم دائمـــا إلى الوراء والخلف ، وساقهم جميعا — وأبدا — إلى الهلاك والحتف .. وشد الأمة إلى ما الله به عليم .. فكثرت فيها الطوائف والنحل ، وتباوت فى مستنقعاتها « المجموعات » و « الشـــلل » وتناوح بين أطلالها الخراب ، وتنازعتها « الهيآت » و « الاحزاب » .

وهل يعقل يا قوم أن يتقاتل الأخوان ، أو يتقابل الشقيقان فى معركة ، أو يختلف أهل البيت الواحد فيما بينهم ، أو أن ينشغلوا جميعا عن أمرهم ، حتى يتسلل إليهم العدو ، ويمزق كيانهم ، ويقضى فيهم قضاءه ، ويعمل جاهدا على محو معتقدهم ، وشطب دينهم ، ومسحهم كلهم من فوق خريطة الوجود ، وجغرافية الحياة ، كما نرى اليوم ، ونعايش هذه الأحداث المروعة ، فى أفغانستان ، وباكستان ، واندونسيا ، وماليزيا ، وبلغاريا ، والهند ، وفى أطراف أفريقيا ، وفى بعض الجيوب الاسيوية ، وخاصة فى فلسطين ولبنان ؟ !

ولاشك أن من وراء هـــذا كله الاستعمار الكافر اللئيم ،من وراء هذا الصهيونية والشيوعية والصليبية ، والرأسمالية ، وكل من ينتمى إلى هذا الطابور الغادر... واويلتاه اووا إسلاماه ! وواعروبتاه من كل هذا الذى أصاب العرب، ومن كل خطر راصد متربص ، مرتقب ، يجريه العدو المستعمر هنا وهناك ، فى كل أصقاع الأمة ، وفى كل بقاع العروبة !!

واويلتاه لهذه الأمـــة التى لجرت الأحداث جراحها ، ومزقت الاختلافات أوصالها ، وتآمر عليها بعض أبنائها من محترفى السياسة ، وهشاق الزعامة ، ومدمنى اللعبات الصبيانية ، والمكائد الشيطانية، ومن كل من يساوم على عرضه،وأرضه ووطنه بالجاه ، أو المنصب ، أو المال !!

إن العدو قد وضع فى خطته ،ورصد فى مفكرته ، ورسم فى استراتيجيته . وسجل فى موسوعته — منذ أن بدأ المشوار مع العرب — كل هذه النتوءات، والكآداءات . فى طريق المسيرة العربية . حتى تتعطل المسيرة ،ويتخلف العرب. ولاسلاح أمضى وأعمل فى مثل هذه المعركة — يستعمله العدو ويبارز به — إلا سلاح الشحناء والبغضاء ،والتدابر والتناكر،الذى هب على الصف العربى — بفعل هذا العدو — والذى عصفت به أعاصيره، فشرخ جدرانه. وحطم أركانه . ومزق بنياته وأتى على قواعده من الأساس ، وحتى أصبحت الأمة العربية اليوم أشبه بالأطلال والخرائب . التى يعيش فيها البوم . وتعايشها الوطاويط . والخفافيش . والغربان والنوبان . وكل ما له ظفر وناب ، أو مخلب . أو فك مفترس » .

وما البوم . والوطاويط والخفافيش . والغربان . والنوبان . ومن له

الظفر ، والناب ، والمخلب ، والفك المفترس ، إلا هؤلاء الذين يتقاسمون هذه الامة،وهم مع الاسف،من أبنائها، ويتنازعونها فيما بينهم، وكان الاجدر بهم جميعاً أن يدافعوا عنها، كما يحرص كل من هذه الوحوش المتناوشة المتهارشة، والسكوامر الضوارى ، على أن يهبر من هذه الأمة هبرة ، أو ينتزع منها بضعة ،أو يأخذ قطعة أو مضغة أو لقمة ، يسد بها جوفه النهم ، ويملأ بها كرشه الشره،ويحشى بها بطنه الضخم المترهل ، الذى يقول دائما بقولة جهنم : « هل من مزيد » ؟!!

ياأيها المسلمون ، ويا أيها العرب اماذا بقى لكم بعد ذلك ؟

ياأيها المسلمون.. لقد خدعكم العدو عن أنفسكم ،وعن ماضيكم،وعن تاريخكم وعن إسلامكم ، وعن عروبتكم !!

أنسا كم أنكم أتباع محمد ، وأشياع أبى بكر وعمر ، وتلامذة عبد الله بن عباس، وجابر بن زيد، وعبدالله بن أباض ، وأجناد خالد بن الوليد ، وأبناء، هؤلاء الاصحاب : معاذ بن أنس ، وعمار بن ياسر ، واسيد بن حضير، وأنس ابن قتادة ، وأوس بن ثابت ، وإياس بن زيد ، والحباب بن المنذر ، وحوشب ابن طحية ، وخارجة بن أبى زهير ، وخراش بن الصمة ، ورافع بن مالك ، ورفاعة بن رافع ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن حارثة ، والطفيل بن مالك ، ومحمد بن سلمة ، ومعاذ بن جبل ، ومعن بن عدى، ونوفل بن الحارث ،والنعمان ابن بشير ، وعبد الله بن غرفطة ، وقبيصة بن ذؤيب ، وسعد بن عبادة ، وسفيان ابن بشر ،وأبى عبيدة بن الجراح،وغير هؤلاء من الأفاضل الأخيار ، والصحابة الأبرار ، الذين لفتوا وجه الدهر ، وغيروا مجرى المسيرة ، وفجروا ينابيع الخير فى ربوع هذه الحياة ...

يأيها المسلمون فى كل مكان ... أفيقوا من نومتكم ، واستيقظوا من سباتكم الذى تغطون فيه غطيط أهل الكهف ، وتنبهوا إلى هذا العدو الشرس اللئيم الذى يزرع بين صفوفكم كل بذور الفرقة ، وكل أنواع العداوة ، وكل أصناف التحاسد والتحاقد ، ثم أخيرا يغرى بعضكم ببعض ، ويشعلها — بأيديكم أنتم — حربا ضروسا ، وغارات شعواء لا تبقى ولا تذر !!

والا .. فخبرونى بربكم : ماهذه المعارك الدائرة الجائرة بين العراق وإيران؟

ماهذه المعارك والمحارب التى تتراقص عاصفة قاصفة بين المسلمين بعضهم ضد بعض ؟ .

من الذى أشعل فتيلها ، وأوقدنا رها ، وانتزع منها ذراع الأمان لتنطلق على الأمة الأسلامية جبارة غدارة هكذا ؟

إن أعداء الإسلام والمسلمين هم من وراء كل ذلك ... وفى مقدمتهم الشيوعية والصهيونية ومن لف لفهما ، ودار فى أفلاكهما ..

وإذا كانت عمان فى القديم قد أخرجت العجم من ديارها ، واجلتهم عن بلادها ولبذتهم نبذ النواة ، ورمت بهم فى كل ناحية واتجاه .

وإذا كان مالك بن فهم البطل العربى الأزدى العمانى ، قد طرد الفرس من الجزيرة العربية عامة ، ومن عمان بالذات ، وعلى وجه الخصوص ، فان السلطان قابوس بن سعيد وهو سليل الأزد ، وحفيد مالك بن فهم ، وفخر العرب ، وحامى حمى العروبة ، سيخرج الصهيونية — بمشيئة الله — من العالم كله ، ويتعقب الشيوعية ، ويطاردها فى كل مكان ، ويطهر الوطن العربى والخريطة العربية ، من الوجود الاسرائيلى . وسيشطبه بممحاة العدم واللاوجود من فلسطين . والجولان . وطابا . ولبنان . وكل شبر أرض ، أو حبة رمل . عبر

أمة العرب ، من الخليج إلى المحيط ، وقد أعد جلالته لذلك عدته ، وضاعف مجهوده وطاقته ، ووظف أمكاناته ، وقدراته ، ورمى بكل أثقاله فى الميدان ، وحشد وعبأ وجهز وهيأ ، وأعد جيشه وجنده ، وأكد عهده ووعده ، لهذا الغرض السامى ، وذلك الهدف النبيل العظيم .

وإن ما يقوم به جلالته على المستوى الدولى العالمى ، وحتى على صعيد الاجماع العربى — من المؤتمرات ، والاجتماعات ، والندوات ، واللقاءات ، والجولات الميدانية ، والاستعدادات الدبلوماسية ، والعسكرية — ليدل على ذلك دلالة واضحة ، وان من يرصد خطوات جلالته ومشاه على طريق الحق العربى ، يتأكد له يقينا أن قضية العرب لن يفك اشتباكها ، ويحل ألغازها ، ويقضى فيها القضاء العادل المنصف — الذى يعيد إلى العروبة أمنها واستقرارها ، ويعمل على تحرير إرادتها ، وتقرير مصيرها ومشيئتها — إلا البطل المسلم العربى الأزدى العمانى السلطان قابوس بن سعيد ، وإنا لمنتظرون ، والله معه يحفظه ويرعاه .

إن الشيوعية والصهيونية هما المعسكران اللذان فتنا المسلمين والعرب ، واغريا بعضها ببعض ، وحرضا — أو سلطا — البعض على البعض لجملة أسباب . . . ومن أهمها :

١ — الحقد على الإسلام والمسلمين ، والعرب والعروبة ، فالشيوعية لا دينية ، والصهيونية كافرة .

٢ — إقامة سوق للسلاح ، يتاجر فيه كل من المعسكرين على حساب الأمة الاسلامية ، والأمة العربية ، فالشيوعية والصهيونية تكسبان المليارات ، والمسلمون والعرب يخسرون ملايين الأرواح ، وملايين المليارات من الأموال .

٣ — التخطيط السافر — أو الملثم المقنع — للاستيلاء على مصادر النفط فى

حقول الاسلام والعروبة، وصرف — أو طرد — المسلمين والعرب عنها .. سواء كانوا إيرانيين أو عراقيين، أو خليجيين ، أو عرباً على العموم، أو مسلمين عامة .

هل كان يمكن للشيوعية أن تضرب الأفغان وتقتحم عليهم بيوتهم لولا العولمة والفرقة ، والغربة التي يعيشها المسلمون ؟

هل كان يمكن للشيوعية أن تقيم القواعد والترسانات في الوطن الإسلامي لتتجمع فيها ، وتضرب منها الاسلام، لولا تخاذل المسلمين وتفرقهم ؟

لعلكم أيها المسلمون قد أصابكم الترهل والاسترخاء ، حتى طمع فيكم العدو، وكرهكم الصديق ، على الرغم من كثرتكم ، وألف وخمسمائة مليونكم ، وحتى صدقت فيكم نبوءة الرسول ﷺ في قوله :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع ، قالوا : أو من قلة فينا يارسول الله ؟ قال : « لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله مهابتكم من قلوب أعدائكم ، من حبكم الدنيا وكراهية الموت والجهاد »

وأنتم أيها العرب في كل مكان :

يا أبناء عمان ويعرب ، يا أبناء ربيعة ومضر ، يا أبناء الغوث بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام.

يا أبناء الأزد زينة الدنيا ، وفخر الزمان .

يا أبناء العباقرة العباهلة ، والأقيال الصيد ، والغر إلبها ليل ، والأبطال الميامين نظرة متأنية إلى تاريخ أسلافكم وأجدادكم، ورجعة إلى الماضي لاستيعاب مفاخركم وأمجادكم ، ووقفة مع العمالقة الشوامخ من أمثال مالك بن فهم ، والجاندى بن المستكبر ، والبوصعيديين الأشداء الأقوياء ، الذين نشروا مكارم العرب، ورفعوا فضائل العروبة عالية خفاقة فوق كل الأعلام ، وعلى مر الدهور والأعوام ...

أيها العرب ! ماذا عساه يقول عنكم الآباء والأجداد ؟ ماعساهم يقولون عنكم اليوم؟ وبأى لغة يقولون ؟ وماعساكم تعتذرون إليهم عن تفرقكم وتمزقكم وضياعكم هكذا أوزاعا واتباعا ، وأصغارا وأصفارا ؟ .

وهكذا تداول الذهول العربى ، مع التربص اليهودى والصليبى ، مع ضغائن الدول الكبرى من مثل أمريكا وروسيا ، أو الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

من أجل هذا كله — وحفاظا على العروبة والاسلام — حملت عمان فوق كتفها قضية القوم جميعا ، — مسلمين وعرب — وحملتهم على الالتزام بالمحجة ، واحترام أبعاد الجادة ، وحمتهم من التردى والهاوية ، واجتازت بهم هذا الطريق المحورى الصعب ، والمنعطف التاريخى الهادر ، الذى يشد إلى دوامأته ، ويبتلع فى لهاته ومتاهاته ، من لم يلتزم بقواعد المرور ، ومن لم يخش عاقبة الأمور وذلك بمخالفة الدين ، واتباع الشياطين .

ومن هنا ، فإن عمان لاتزل — ولم تزل ، وستظل — تلح على إنجاز ماخطته وانفاذ مارسمته ، وا كمال مابدأته ، وخططت له ، وذلك عن طريق العقيدة والسلوك المنهجى المتواثم مع المذهب الصحيح ، الذى تتراءى بين أبعاده ، وتتضح فى نطاقه وآماده ، صور الحياة الاسلامية الكريمة ، التى أدرك بها السابقون الشوط والشأو ، وحقق بها اللاحقون ، الرجاء المنشود ، والأمل الحلو ، وأعنى بهذا المذهب ، مذهب الأباضية ، الذين تناولوا به الدين فى سهولة ويسر ، وتعاملوا معه بطول نفس ، ورحابة صدر ، وتعاطوه برنامج عمل يقطعون به مفازات الحياة وصحراءها ، فى حراسة الدين ، ورعاية العقيدة ، وعناية ساهرة يقظى من تعاليم الاسلام ، ..فلم يتشددوا ولم يتعصبوا ، ولم يغالوا ، ولم يغرقوا ، وكذلك لم يفرطوا فى معتقدهم ، أو يتناولوه بضعف ، أو يتعاطوه بميوعة واسفاف ، وإنما كانوا بين ذلك قواما .

فلقد استنبطوا مذهبهم من القرآن الكريم . واقتبسوه من السنة المطهرة ، وسلكوا فى مسيرتهم إلى عبادة الله نفس الطريق التى سلكها الصحابة ، وارتضاها

الإجماع ، وحرصوا كل الحرص على أن تكون خطواتهم على ذات الدرب، وفى نفس الطريق ، وفوق « إفريز » الشارع ، ومع السبيل التى قطعها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فى مشواره الطويل ، وشوطه البعيد ، جيئة وذهوبا ، على مدى مسيرته المباركة ، ورسالته الميمونة عبر الثلاثة والعشرين عاما ، ومع تحريهم الصدق، وحتمية الحق ، ومجاهدة النفس ، وريادة المعاناة ، والرياضة والترويض على المشقة والمقاساة ، حتى استبان لهم الأمر ، ووضح أمامهم الطريق ، وتبين للعالم أجمع ، — أو المخلصين المنصفين — أن هؤلاء هم « أهل الاستقامة » أوهم فى الواقع — وعلى الحقيقة — « الفرقة الناجية » التى أخبر عنها الصادق المعصوم، والتى أمر الله رسوله أن يختارها ، ويفتحها سبيلا يوصل إلى عبادته ومرضاته فى قوله تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين».

والمذهب الأباضى ، ليس عجيبا فى الدنيا ، ولاغريبا عن الحياة ، وإنما هو العملة الصحيحة التى يجب تداولها وتناولها ، والتعامل بها فى شتى الأنحاء ، وفى جميع المناخات والأجواء ، وهى بعون الله عملة لاينالها التزييف أو التلبيس ، ولايطولها الوضع أو التدليس ، ولايجود فى منطقها العمل بين بين ، ولا التنكر فى وجهين ، ولا المشى على الحبلين ، فالحق عندها واحد لايتجزأ ، وكل لايتوزع.

وحينما أشبل جلالة السلطان قابوس بن سعيد — بعطفه السابغ ، ورعايته اليقظى — على تعاليم هذا المذهب ، وأوصى باستمراريته وحمايته ، كان شأنه فى هذا كله، أن يحيط هذه المؤسسة الشرعية بكل أسباب الرعاية والعناية، وأن يحرسها بكافة الضمانات والوقايات ، حتى تعشوشب أفرعها ، وتطول أذرعها ، وتمرع أغصانها ، وتشتد سوقها ، ويتكاثف ظلها ، وتنضج خيراتها وثمارها ، فيستظل بها الحران ، ويأكل منها الجوعان ، ويشرب من زلالها وسلسبيلها كل عاطش أسوان ، ويخلد إلى تعاليمها ، وأدابها ، ومذهبيتها ، وأساذيتها ، كل تائه، أوضال ، أوحيران، فى بيداء هذه الحياة ، وفى صحرائها الشاسعة الواسعة ...

وبعد :

فلقد قسمت كتابي هذا ، الأباضية مذهب وسلوك ، إلى ثلاثة أبواب ، ومقدمة ، وخاتمة :

الباب الأول : عمان بين أحضان التاريخ .

الباب الثاني : كيف دخل الإسلام عمان ؟.

الباب الثالث : الأباضية . . والفرقة الناجية .

وفي هذا المقام يطيب لي أن أخاطب الآلف والخمسمائة مليون مسلم ، والمائتي مليون عربي ، وأن أناشدهم الله والإسلام والعروبة ، وأن أناديهم جميعا ، وأهيب بهم ، وأصيح عليهم ، وأصرخ فيهم — من تحت الانقاض ، والاطلال ، والخرائب التي خلفها العدو في ديارهم، وأهتف عليهم: — حتام. وإلام. وعلام تبقون هكذا على هذا الوضع الشائن المزري المخزي!

لم لا تهبون جميعا هبة واحدة ، وعلى قلب رجل واحد في تشكيل قوى، وتكتيل مؤمن ، حتى تستطيعوا — وأخيرا — أن تكونوا « الكتلة الثالثة » أو جبهة « العرب إسلامية » التي سيمكنها بمشيئة الله تعالى ، أن تقضي على الشيوعية ، والصهيونية ، والصليبية ، والامبريالية ، والاستعمار كله بكل أشكاله وألوانه ، وأن تحفظ توازن العالم، وأن تعمل على استقرار الدنيا ، وأمن الحياة ؟ .

وذلك هو السؤال الحائر الذي أرجو أن أجيب عليه — بعون من الله — في كتابي القادم ضمن سلسلة « عمان . . والامبراطورية العربية » والله من وراء القصد ، وعليه الاعتماد ، ومنه التوفيق ، وهو حسبي ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

القاهرة في ١٨/١١/١٩٨٥ — السيد عبد الحافظ عبد ربه
من علماء الأزهر

عنوان المؤلف :
جمهورية مصر العربية
٣٣ شارع دجلة — متفرع من شارع شهاب — شقة ١٣ — مدينة المهندسين
الجيزة — تليفون ٧١٧٦٣٧

الباب الأول

عمان بين أحضان التاريخ

بمشيئة الله وعـــونه :

لقد أسهمت عمان بكل ثقلها وأدواتها فى تحضير الحياة ، وامتاع الإنسانية بما قدمت وتقدم عبر التاريخ ، وعلى المدى الحضارى البعيد ، وقد يكون ذلك بفعلها المقصود مع الاصرار والتخطيط ، وقد يكون ذلك عفو الخاطر ، نتيجة التفاعلات الطبيعية التى تتميز بها طبيعة عمان وتقتضيه استراتيجيتها الفذة المتميزة بجملة ملامح ، قل أن يجدها الباحث فى غير عمان من البلاد العربية وغيرها من سائر بلاد العالم على وجه العموم . . . وعلى الاطلاق . .

سواء من الناحية التاريخية ، أو من الناحية الجغرافية ، أو من الناحية المنهجية فى سلوك الإنسان العمانى وتكوينه ، فلقد أوغلت عمان فى أحشاء الماضى ، وتغلغلت فى أعماق التاريخ ، وضربت بسهم وافر فى معطيات الحياة ، وكان لها الأثر الكبير الفعال فى النهوض بكثير من الأمم التى زامنتها وعاشت معها على خريطة العالم منذ نعومة أظفاره ، ومنذ أن تفتحت عيناه على هيكل الرسالة التى من أجلها خلقه الله ، والتى من أجلها أيضا استخلف الله الإنسان فى الأرض ، وباهى بذلك الملائكة فى قوله تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » .

وإن المتتبع للرحلة العمانية فى مشوارها الطويل عبر آلاف السنين قبل الميلاد وبعده ، بل حتى قبل ترشيد التقويمات الفلكية ، والحسابات الزمنية ، منذ عهد السومريين والعماليق والآشور والتبابعة ، ليرى — من خلال هذا كله — عمان فى طبعتها الأنيقة الوضيئة ، وصورتها الذكية المضيئة ، وأبرز ما يتجلى هذا فى الأسلوب الحضارى المتقدم ، والسلوك الرائد الملتزم ، ولاسيما فى هندسة التشييد والعمارة ، وشئون الإدارة والتجارة ، وفنون الفلاحة والزراعة والملاحة . وبالأخص فى بناء الانسان ، ورصف الطريق تحت أقدامه ،

وتجميل مساره ومصيره بالمثل، والقيم، والمبادىء والأخلاق، إلى الحد الذى أدهش المراقبين الدوليين، وأذهل أهل الخبرة والدراية والاختصاص .. ولعمان مع التاريخ مواقف مشهودة، وآيات معهودة، ومواثيق قل أن تتسرب إليها الجهالة، أو يعبث بها النسيان، فعمان فى الحقيقة كانت هى واجهة الجزيرة العربية كلها، وكانت هى المرآة — أو المرصد — التى تتراءى على صفحتها أو يتفاعل فى ترومتره صور الحياة الحقيقية، أو نبض الوجود الصادق، وشعوره الحساس، ووجدانه المتدفق الفياض، ومن هنا كانت عمان محط أنظار العالم، ومرصد مناظيره ومطلعاته، وكانت الرؤية الوردية الجميلة التى يسعد كل متطلع إليها، أو حالم بها، أو مدله فيها، أو عاشق لها .. أو باحث سابح يرجو من بحثه وسبحه الوصول إلى شاطىء الرافع، واقتناص شوارد الفكر وأوابده ..

عمان والجزيرة العربية :

وإن نظرة واحدة متأنية إلى جغرافية العالم وخريطته ترينا بصدق ووضوح موقع عمان فوق سطح هذه الحياة، ووسط أعماقها وترا كماتها، كما ترينا بالتالى مكانها ومكانتها هنا وهناك ... ولقد اكثر فى ذلك المؤرخون والكتاب، وأصحاب السير والمؤلفات من الأقارب والأباعد، والمستشرقين والمستغربين، قال ياقوت الحموى : .. إن عمان — بضم الأول وتخفيف الثانى وآخره نون قبلها ألف لينة — كانت تشتمل على معظم الجزيرة العربية، وتحوى بلداناً كثيرة، ذات نخل وزروع، وهى من أخصب أجزاء العالم، وتتميز تربتها بالاستجابة الأكيدة للاستزراع والاستنبات، يساعدها على ذلك مناخ طيب وطبيعة ثرة معطاءة، وهى تعتنق المذهب الأباضى، وتعبد الله عليه، وهو المذهب الصحيح الذى وافق سلوك صاحب الدعوة صلوات الله وسلامه عليه، وتابعه فيه أصحابه من الخلفاء الراشدين والتابعين لهم

والمخلصين من أهل الاستقامة الذين باعوا أنفسهم لله ، وتجردوا لمناصرة الحق فوق دروب هذه الحياة . . .

وقال ابن الأثير : يطلق اسم عمان فى القديم على قطر والبحرين والاحساء والشحر والإمارات ورأس الخيمة والشارقة وأجزاء كثيرة من الحجاز ، ومنها واحات البريمى ، ويمتد على بحر العرب ، وتتعمم رأسه بالجبال الشاهقات — رؤوس الجبال . أو رأس أم سندم — وتكاد تلامس هذه الرأس ساحل إيران عند مضيق هرمز الذى يفصل الخليجين — خليج البصرة وخليج عمان — بعضهما عن بعض ، ويستند برأسه مرة أخرى على ساحلى البحرين اليمنى والهندى وأعلا جباله ، الجبل الأخضر الذى يرتفع أكثر من عشرة آلاف متر عن سطح البحر ، ومنطقة هذا الجبل من اخصب مناطق عمان ، وعمان فى مجموعه وجميعه جنة الله فى أرضه ، وآيته بين عباده وخلقه . . .

وفى القاموس . . . إن بحر عمان يكاد ينفرد وحده — دون بحار العالم — بمغاصة اللؤلؤ وكثرة خيراته . ولعل ذلك راجع إلى دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لأهل عمان حين استدعاه مازن بن غضوبة بعد أن أسلم وقال له : ادع الله يارسول الله لأهل عمان . . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم أهدهم وأنبهم » .. فقال مازن : زدنى يارسول الله .. فقال النبى عليه الصلاة والسلام : «اللهم أرزقهم العفاف والكفاف ، والرضى بما قدرت لهم » .

فقال مازن - طامعا أكثر فى عطف الرسول - : يارسول الله ! البحر يضحضح بجانبنا ، فادع الله فى ميرنا ، وخفنا ، وظلفنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم وسع عليهم فى ميرتهم ، وأكثر خيرهم من بحرهم » . فقال مازن: زدنى . . فقال النبى: « اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم » ...وقال لمازن « قل آمين فإنه يستجاب عندها الدعاء » . . . .

آية الله فى الأرض :

وقال الزجاج : إن بلاد عمان تشبه اليمن بجوها المتناسق ، وأوديتها الخصبة ، وجبالها من أعمر بقاع العالم خصباً وعطاء، حيث تزرع فيها كل أنواع الزروع والزهور وتهب عليها ألطف الرياح ، وتتعامل معها الأمطار فى مواسمها بأدب وتلطف ورقة ، وفى عمان قنوات كثيرة ، وأفلاج عديدة ، تجرى فيها الينابيع العذبة إلى المدن والقرى ، من عهد نبى الله سليمان عليه السلام، وأهلها متحضرون ويسكنون العمران ، وعلى سفوح الروابى ، وفى الأودية السهلة المنبسطة ...

ووصف ابن أبى شيبة عمان فى كتابه « الوسيط » وتناولها فى كتاباته بالبسط والتحليل، حيث يقول: .. إن عمان هى المرادة فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحوض ، إذ يصف عرضه بقوله « .. وعرض الحوض من مقامى هذا إلى عمان».. ويتوغل فى أعماقها ويبرزها صورة واضحة أمام الناظرين ، ويرسمها بريشة فنان صادق يستقطب كل جوانبها ، وأهم زواياها ، ويقرر ... إن عمان يطلق على قطر كبير يمتد من الشحر على بحر العرب إلى شبه جزيرة قطر فى خليج البصرة ، كما يقرر كذلك — فى أكثر من موطن — إن بلاد عمان كبلاد اليمن من حيث خصوبة التربة ، وصفاء الجو ، وملاءمة المناخ ، وترتفع جبالها فى الداخل وعلى الساحل ، وتتجه إلى الشمال حيث تعلو بقامتها الشاهقة ورأسها الشامخة إلى كبد السماء ، غير أن كثرة المراعى الجيدة فى السهول الواقعة وراء الجبال، جعلت قسماً كبيراً من السكان يفضلون حياة البداوة ، وينتشرون فى تلك السهول ، وتشتهر عمان بالمهجن العمانيات التى تصدر منها لسائر أقطار جزيرة العرب ، ومن أهم مدنها صحار ، ومسقط ، ولوى ، وبركا ، وسمائل ، ونخل ، وشناص ، ومطرح ، والرستاق ، ونزوى ، وصحم ، والسويق ، وصور ،

وقلهات، وظفار، وتروى.. والساحل يقع على الخليج أمام سلسلة الجبل الأخضر وأخصب مناطقه سهل الباطنة، وأهم مدن هذا الساحل الشارقة، ودبى، وأبو ظبى، ورأس الخيمة، وعموما فإن مسقط ومطرح هما العينان الباصرتان فى الساحل، وأما الجبل الأخضر فهو أعمر بلاد عمان على وجه العموم، وهو عرش عمان، وحصنها الرفيع المنيع . . .

وقال صاحب كتاب « معالم الجزيرة » : إن عمان جزء كبير مهم من الجزيرة العربية يقع إلى الجنوب الشرقى منها، وهو فى تكوينه يشبه المثلث، رأسه إلى الشمال، وينطح به بلاد فارس، وأما قاعدة هذا المثلث فهى ترتكز على خط وهمى يمتد بين قطر ومسقط، والساحل العمانى فى تكوين هذا المثلث يشكل شبه جزيرة، وهو يشمل المحميات السبع، وبضعة من مسقط، وأما باقى القطر فيستوعب مسقط، والجبل الأخضر، وعلى قاعدة المثلث من جهة الجنوب تقع واحات البريمى، وتأتى صحراء الربع الخالى من الجهة الرابعة لعمان . . .

وقال المسعودى فى المروج : إن عمان إمارة عربية تمتد حدودها من ظفار غربا فى حدود حضرموت الشرقية حتى رأس الخيمة، والمشيخات الصغيرة الواقعة جنوب قطر شرقا على الخليج الفارسى، وتمتد جنوبا من البحر العربى حتى الربع الخالى فى الشمال، وأهم مدنها مسقط على الساحل، وهى عاصمة آل بوسعيد، ونظام الحكم فيها مدنى، أما عاصمة عمان فى الداخل فهى نزوى وهى عاصمة إمام عمان، ونظام الحكم فيها دينى . .

شوط ورحـــلة :

وفى تحفة الأعيان، قال ابن خلدون — فى تعريف عمان — : إن عمان من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن، والحجاز، والشحر، وحضرموت، وعمان وهى قائمة على بحر فارس من الغرب، وبحر الهند من الجنوب، وبلاد

حضرموت من الشرق ، والبحرين من الشمال ، وهى كثيرة النخل والفواكه ، وفيها الكثير من المياه والأسواق والبساتين ، وما ولى البحر منها فهو سهول ورمال ، وما تباعد عنه فهو حزون وجبال . .

وقال الأندلسى فى كتابه « زاد المسافر » — يصف أعمال البراكين فى تكوين الجزيرة — : إن البراكين فى القديم هى التى كونت الجزيرة ، على هذا الوضع الحاضر ، وأن الحرارة التى نحسها فى جزيرة العرب ، هى من فعل البراكين ، ولا تزال مخزونة فى احشاء الأرض وأعماقها ، وهى اندفاعات بركانية خلفت لنا الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة ، فأمسكتها عن التفتت والذوبان ، ولقد حدثت حركات أرضية عنيفة ، وهزات جيولوجية — فوق هذه الأدوار القديمة — تسبب عنها تكوين أخاديد البحر الأحمر ، وانقسام القارة العظيمة إلى قسمين ، قسم غرب البحر الأحمر ، وهو ما يعرف اليوم باسم القارة الأفريقية ، وقسم آخر شرق هذا البحر ، وهو ما نعرفه باسم بلاد العرب ، وقد تكونت عمان والجبل الأخضر كذلك بحركات أرضية مماثلة نتج عنها ما نلمحه وتتفاوت فيه العين من جبال ووديان ، ومرتفعات وأخاديد ، وسهول ورمال ، وعيون وأفلاج ، . . . ولعل هذه الحرارة التى نحسها بوضوح فى الجزيرة هى حصاد تلك البراكين أو الغازات ، ولعل عمان بالذات من أكثر بلاد الجزيرة غازات وبراكين . .

الانسان والخريطة :

أما المستر « توماس » — المؤرخ البريطانى — فيقول عن عمان :

إن عمان هى رأس شبه الجزيرة العربية فى الشرق ، وفى الرأس جميع الحواس ، وفيها الذاكرة والقوات المفكرة ، وتقع مسقط من هذا الرأس موقع العين اليمنى

أما صور ورأس الحد وما يليهما، فهي المنخفض بين الأذنين إلى أصل العنق، وأما مصيرة والدقم وما إليهما، فهي العين اليسرى لعمان، وأما الشرقية إلى نزوى وعبرى، فنيمن الهامة والوريد: وأما صحار والشارقة ودبي إلى أبوظبي، فمن العذار الأيمن، وأما الرمل الجنوبي إلى فهود والجبال، وما إليها من منابع البترول الحالية الواقعة في أحواز الدروع، فمن العذار الأيسر، وأما واحات البريمي، فهي البلعوم الذي يستساغ فيه الطعام والشراب، وقلب هذا الجسم العماني كله هو الجبل الأخضر، فيه يحيا، وبه يقوم ويحتفظ بمقومات الحياة، من عروقه وشرايينه وأوردته، يمد عمان بما يمد به القلب دائما سائرا لجسم، ويضخ فيه الدماء ولعله الجبل الذي اعتصم به ابن نوح وآوى إليه في حادث الطوفان حين قال — كما قص القرآن —: «سآوي إلى جبل يعصمني من الماء»، وهذا الجبل هو حصن عمان المنيع، وما يزال — حتى اليوم — يتحصن فيه أهل عمان من الغارات المزعجة المفاجئة، وأما قطر فهي قفص الصدر الأيمن، ورمل الأحقاف هي القفص الصدري الأيسر للكيان العماني المتكامل.

وانطلاقا من هذه الخريطة الأطلسية، فإن عمان من الجانب الشمالي، سهل مستطيل غير متسع عرضا تسبح فيه العين، وتعوم في محيطه الخواطر، وهو من الجانب الجنوبي، رمل ناعم متكدس مترا كم، بعضه فوق بعض خصب معشوشب ينبت الكلأ والشجر، وأما القلب فهو حجر خشن صلد لا تزحزحه الرياح ولا تنال منه الأعاصير، ولا يذوب في حر الشمس، ولا في صهد النار، تحف به الرياض الزهراء، والحدائق الغناء، والغياض الخضراء، والمراعي المتسعة، والأشجار الطيبة المثمرة، والأنهار المتدفقة المنهمرة، والمملكة السعودية — وسط هذا كله — أشبه ما تكون بالبطن المفرطح لهذا الجسم القوي السوي، وعموما فإن عمان هي القلعة الشامخة القائمة بين الهند وإيران والمملكة العربية السعودية،

وهى قلعة عريقة البناء ، متينة الأركان ، عالية الجدران ، محكمة الوضع ، بديعة الشكل والصنع ، وضع أساسها الله ، وأقام بناءها مالك بن فهم ، وأحاط سورها الجلندى الأكبر ، وشيد أركانها آل يعرب ، وحافظ على بقائها وبنائها أحمد ابن سعيد ، وأمدها بروح من عنده ، وقوى شبابها بشبابه قابوس بن سعيد .

كرسى الجزيرة :

وفى تحقيق ، هدهد الجزيرة ، للرحالة «فيلبى» — حين استعرض عمان قديما ، وقارن بينها اليوم — يقول : إن عمان الطبيعية تقوم على رقعة كبيرة جدا من الجزيرة لها أهميتها فى الجاهلية والإسلام ، وكان لها أئمة وملوك وسلاطين — ومازالت — ملء سمع الدنيا وبصر الحياة ، حين لم يكن للسعودية آنذاك ذكر أو خبر ، حيث أسسها مؤخرا سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان العنزى ، الذى زحف من الدرعية مع بعض رجاله فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى ، إلى ماصارت عليه السعودية اليوم ، أما عمان فلقد تبوأ عرشها ، وتولى أمرها ، وجلس على دست الحكم فيها أكثر من سبعين ملكا وإماما وسلطاناً على مدى ثلاثة عشر قرنا حققوا فيها العدل ، وأرسوا قواعد الحرية ، ووطأوا أكناف الحق ، ووضعوا الموازين القسط بين الناس .

وإن عمان باتفاق المؤرخين القدماء كانت تشمل إمارات كثيرة ، منها : أصياف البحرين ، وقطر ، والعقير ، وهجر ، وحضرموت ، وجزائر كوريا موريا ، وجزيرة مصيرة ، وغيرها من معظم بلاد العرب فى الجزيرة إلى رأس الرجاء الصالح ، فهى اسم شامل لهذه الامارات كلها ، وتقع واحات البريمى فى القلب منها ، ولا علاقة لها بأى قطر من أقطار الجزيرة .

فعمان — كما قيل عنها — كرسى الجزيرة فى الشرق ، وهى كثيرة المعادن المتنوعة ، والخيرات الناسعة الواسعة .

هكذا كانت عمان إلى أن تغير بها الواقع وصارت إلى ما هى عليه ، حتى

أن بعض الدول العربية اليوم — والتى كانت بالنسبة لعمان أشبه بحروف الجر فى تبعيتها لها ، وتعلقها بها ، ودورانها فى فلكها ، والتى كانت فى الحقيقة أجزاء متلاحمة منها — أصبحت وياللاسف تستنكف ذلك التاريخ وتعيبه وتنكره.. ولله فى أمره شئون...

جغرافية ومنـــاخ :

ويقول صاحب « جغرافية الشرق الأدنى » — إذ يذكر الشحر — : إن هذه المقاطعة تقع شرق شمال مهرة وهى قطعة من عمان ، كما أن جزر كوريا وجزيرة مصيرة هى كذلك أجزاء عمانية باتفاق جميع المؤرخين ، وإن قطر وأسياف البحرين والعقير وسائر البلاد التى تقع على ساحل الخليج بين البصرة وعمان كانت كلها بلدا واحدا عمانيا فى أيام بنى العباس ، ولقد أجمع كثير من المؤرخين المعروفين كالطبرى واليعقوبى والمسعودى وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم ، على أن عمان — بحدوده القديمة التى أسلفت الحديث عنها — كان يساوى الجزيرة العربية كلها ، وكان يعد لها جميعا ، ويتفوق عليها فى الحضارة والتقدم ، والسلوك العربى المهذب الذى استنته الشريعة الإسلامية الغراء .

هذا ، وأما مناخ عمان فهو طيب جداً شتاء وصيفاً ، وإن وصفت بالحر فى الصيف ، فقد صح أن غيرها من بلاد العرب أحر منها ، وكذلك سائر الجزيرة ، وإن كان العراق والشام وباقى بلاد العرب من غير الجزيرة لا حر بها .

فعمان طيبة الهواء جدا ، أما الرياح الحارة التى تهب فى الصيف فليس لعمان منها أكثر من غيرها ، بل إن هواء عمان دائما سجسج بارد ، أو معتدل ، كذلك البرد لم يكن بها شديدا بالنسبة إلى باقى بلاد العرب ، فالهواء فى الطرف الشرقى من جعلان ، إلى أطراف نزوى والظاهرة طلق نظيف لطيف ، وهواء البريمى كذلك ، أما هواء الباطنة ففيه بعض اللزوجة فى أوقات غير طويلة المدى ، ثم سرعان

ما تذهب هذه اللزوجة ويبقى الهواء بارداً رطباً تعشقه النفوس، وإذا تبرم منه أهل عمان فمعناه أنهم لم يتعودوا على هواء البلاد الأخرى ، فالرياح لا تكون زعزعاً إلا نادرا ولا تقف أيضاً بحيث يسبب توقفها ثقلا على النفوس كبيراً .

وأما هواء الجبل الأخضر فهو فى الصيف رخيم طيب ، يسلى النفس وينعش القلب وينشط الدم ، وأما فى الشتاء فهو بارد جداً بحيث تؤذى برودته غير المتعود عليها، فإنه يقدر ارتفاع الجبل بأكثر من عشرة آلاف متر عن سطح الأرض بحيث لا يمس الماشى بحر الشمس إذا مشى فيه وقت الحر ، وفى الشتاء إذا وقعت الأمطار وهبت الريح يتجمد الماء .

معها فى أعلا القمم :

وأهم جبال عمان، الجبل الأخضر وهو الجبل الخاص ببنى ريام عند الإطلاق ، ثم جبل الكور الخاص ببنى هناة ، ثم قنة وادى السحتن وهو الخاص بآل عبرة ابن زهران ، ثم تبقى قطع من الجبال بعمان لها حكم الجبل الأخضر فى بعض الأحوال ؛ كجبل صيا فى حفاط ، وهو جناح مستطيل بوادى الطائيين ، وقطعة منه بجعلان تدعى جبل قهوان ، ثم جناح يمتد من جبل بنى ريام مغرباً ، حتى يعانق جبال الحدان بن شمس ، فيستمر سائرا فى الغرب حتى يشرف على سفح البريمى، ثم تمتد جبال ليس لها من صفات الجبل الأخضر شىء أبداً ، لا اسما ولا معنى ، وبعض هذه الجبال التى ذكرناها ليس لها حكم الجبل الأخضر إلا فى اللون أو فى العلو أو فى البرودة فقط ، أما جبل بنى ريام فهو روضة عمان وجنتها ، وأما جبل الكور ففيه بعض من نوع ما فى جبل بنى ريام ، وأما قنة وادى السحتن ففى قطعة من الجبل فيها بعض الصفات الملحقة لها بحكم جبل بنى ريام ، ثم بقيت جبال فى عمان فخمة ضخمة فى ذاتها، لكنها تخالف ما ذكرنا فى صفاتها ، والجبل الأخضر على الإجمال حصن عمان من الغدر الغازى ، وحوض عمان لحفظ مياهها، ومركز

الأمن فى غالب الأحوال، ومستشفى المرضى من أمراض عديدة لا علاج لها إلا فى استنشاق هوائه وأكل ثماره ، إذ هو روض من الرياض فى فواكهه وزهره ولطيف نسيمه وحسن رياه .

عمارات النجوم :

ولقد أخذت عمان حظها من الرمال المتناثرة والمتكدسة، القارة والمتنقلة. ففى الباطنة رمال مفروشة عليها جنات معروشة وغير معروشة ، هادئة قارة ، لطاعمها فى الأرض ، صالحة للغراس على اختلاف أنواعه بإجماع أهل الفلاحة ، ولذلك صار إقليم الباطنة عامرا مأهولا مملوكا على طول الساحل ... إلى حيث ينتهى .. وفى عمان الداخلية رمال متنوعة منها الهادىء والمتنقل والمتراكم وغيره من جعلان والدقم وعوت ، إلى ظفار فى الجنوب وإلى الأحقاف فى الغرب، وإلى قطر، وبادية الظفرة إلى أبو ظبى ودبى فى الجانب الشمالى .

وبحر عمان هو بحر الخيرات ، ومخزن الارزاق لانه كثير الأسماك الطيبة . وفيه مغاص اللؤلؤ الذى هو أكبر الذخائر فى العالم ، ولا يوجد فى غير بحر عمان من ذلك شيء، وإن وجد فهو شيء غير كبير الأهمية ، ومازال بحر عمان هادئا مطمئنا قليل الأخطار، كثير الخيرات، عظيم البركات ، وعند أهل عمان يرجع ذلك لدعائه عليه الصلاة والسلام حين استدعاه الصحابى الكريم مازن بن غضوبة السعدى السمائلى رحمه الله ورضى عنه.

مشوار مع الوديان:

ولقد ذكرنا بعضاً من أودية عمان ونذكر هنا بعضا آخر منها.. وأهمها فى الداخلة وادى القريات ، وهو واد كثير المزارع طويل المدى، فيه قرى متعددة وأفلاج مبعثرة ومزارع متناثرة على طول خطه .

وقريب منه وادى عندام المنحدر من رؤوس العق والجرداء ، ويمر الى أن ينتهي في الرمل الجنوبي من عمان، وهو مأهول، مسكونة قراه وفلواته..إذ هو كثير الفلوات واسع الغابات ذو ريف جميل لا يخفى على من مشى فيه .

ووادى حلفين ينحدر من الجبل الأخضر من عند سفحه الشرقي ويمتد إلى الرمل الجنوبي ويسقط في الرمل.. وهو كثير البلدان والسكان .

ووادى سمائل، النازلة من الجبل الأخضر بعض شعابه الغربية، ثم تلتقي بشعاب أخرى عديدة وأيضاً هو كثير البلدان المحتوية على عشرات الآلاف من الرجال وذلك غير النساء والولدان، ولا يزال خصبه مستمراً إلى أن ينزل في رمال الباطنة بالسيب ، ويحتوي على أمهات القرى في عمان.

ووادى بني خالد في الجانب الشرقي وهو واد متسع ،أهول كثير السكان والبلدان ، وهو واقع في شرق عمان ، ومن أكبر الأودية العمانية التي لها أهميتها.

ووادى الطائيين وهو واد عظيم له شعاب واسعة ، وبه قرى وبلدان متعددة القبائل كثيرة العدد.

ووادى دماوهو يشتمل على قرى لبني شهيم وغيرهم من سائر القبائل، وبه بلدان واسعة بالنسبة إلى تلك القرى الجبلية .

ووادى المعاول المشتمل على تلك الديار الفيحاء ذات الحدائق الجميلة ، وفي رأسه نخل، وهي من أمهات القرى في هذا الوادى المنحدر من سفوح الجبل الأخضر المعروف أعلاه بوادى مسنل، وهذا الوادى من أكبر الأودية وأكثرها عمراناً .

ووادى الأبيض المعروف من أعلاه بوادى بني خروص لاشتماله على بلدان بني خروص، وفي آخره قرية الأبيض المأهولة بفنى صبح .

ووادى الرستاق أعمر الأودية العمانية وأكثرها أرزاقا على الإطلاق ، لأن

أعلاه قرى بنى عوف، وفى وسطه إلى آخره قرى الرستاق المتعددة ،ذات الحدائق الغناء، والبساتين الزهراء ،والرياض الخضراء وهو على الإطلاق وادى الخيرات، ووادى الارزاق وهو كثير القبائل واسع الفضائل .

ووادى بنى غافر من الأودية المتسعة التى لها أهميتها فى عمان وهو مأهول بقبائل عديدة تحت اسم بنى غافر فى بلدان رائقة حسنة يبتهج بها القلب .

ووادى الجماور كذلك من الأودية المأهولة العامرة بقبائله العريقة .

ووادى بنى عمر من الأودية الهامة المعروفة المتعددة البلدان والقرى والمزارع، والذى لا يزال عامراً كسائر أودية عمان وهو ذو أهمية قبائلية وأمنه التى تواطنه تعيش فيه عيشة الاحرار .

ووادى الجزى المنحدر من جبال واحـــة البريمى المنصب فى النواحى الصحارية ، وهو عامر بسكانه المتعددين من كنود ومقابيل وغيرهم من القبائل ، ويشتمل على بلدان معروفة لا تخفى على أحد ، لأنه طريق البريمى إلى صحار إلى الشمالية فى الغرب، وإلى مسقط فى الشرق .

ووادى القور وهو آخر الأودية فى الجهة الشمالية ، وهو معروف عند الجميع من مواطنين وأجانب ، وسكانه كذلك لا يخفى مقامهم، وبلدانه معروفة لا تحتاج إلى ذكر، وعلى كل حال فإن هذه الأودية التى ذكرناها هى من أمهات الأودية وعمان ، وإلا فقد بقيت أودية كثيرة مأهولة عامرة لم أذكرها لصغر بلدانها وقلة قطانها، ولكن مجموعها يسد فراغا هاما فى عمان الداخلية ، ولا يخفى أنا لم نذكر البلدان الواقعة فى هذه الأودية بأسمائها فضلا عن أممها وقبائلها ،فذلك شىء يطول شرحه وربما كان ذلك عسيرا، فإن مساحة عمان تقدر على الأقل بمساحة بريطانيا، وكلها مأهولة مسكونة بقبائل متعددة .

سنام البعير وغاربه :

ولايخفى أن الوضع العمانى ينقسم إلى قسمين ، والقاسم له هو الجبل الأخضر ، فانه صار سنام البعير وغاربه ، أما الجانب الشمالى منه من جوزة رأس الحد فى الشرق إلى رأس أم سندم فى الغرب ، فهو منخفض جدا نهايته البحر ، إذ أنه يسير فى الانحدار بحيث يغلب على القياس حتى يتصل بالبحر انحداراً ملموساً ، فترى أمطاره تنقض إلى البحر انقضاضا باهراً بحيث يحسبها الرائى انفجار براكين هائلة لاصاد لها ولا راد .

أما القسم الجنوبى بخلاف هذا الذى بينت ، فانه يتنازل تدريجيا إلى أن ينتهى فى الرمل كما قلنا ، ثم إن الله جلت قدرته جعل قيعان الأودية المنصبة إلى الشمال كلها صخرا يمنع بقاء الماء فى قيعانها ، بل سرعان ما يسيل إلى البحر ، وبالعكس نرى الأودية الأخرى ، ثم إن الجبال الواقعة فى الوسط العمانى هى الكفيلة بتقسيم مياه الأمطار على هذا الوضع الذى ذكرناه ، مع ملاحظة إن المنحدر الجنوبى أوسع مدى وأكثر مرعى ، وأهله أعرق فى البداوة ، وأبعد عن ذراع الحكومات ، فإن وهيبة والجنبة والدروع والعفار والحريت لا سيطرة عليها لاحد ، أيا كان ذلك الاحد .

يالها من آية :

هذا ، ويلاحظ أن عمان تشتمل على أكثر من أربعين ولاية فى الوقت الحالى ، والمراد بالولاية هنا منطقة يحكمها والى وقاضى ، أو أحدهما ، وينفذان فيها حكمهما بشرع الله ، ويحكمان على القوى والضعيف ، ويستمدان قوتهما من الحاكم الأعلى وهو الامام أو السلطان ، ولهما جنود مدنيون يقومون بتنفيذ الأوامر ، وأرزاقهم جميعا إما من السلطة العليا ، أو من خراج الولاية ، وصاحب السلطة ملكا كان أو سلطانا أو إماما هو القائم على تنفيذ القوانين الإسلامية عن السلف الصالح وكما هو معروف عندهم ، فهو أشبه بالخلفاء الراشدين .

أما عواصم عمان الساحلية فهى :

أولها :مسقط — قال الحموى : إن مسقط مدينة من نواحى عمان فى آخر حدودها مما يلى اليمن على ساحل البحر ، فهى على ساحل البحر مما يقابل فارس أو على الأقل مما يلى مكران ، وهى عاصمة عمان من البحر فى الجانب الشرقى الشمالى ، وهى مدينة من أهم المدن على البحر العربى الفارسى وقد علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادى عشر للهجرة ، حين حـــل بها البرتغاليون وبنوها حصنا لهم وسوروها من الجبال بأسوار مكينة حين صار ملك عمـان بأيدى الطغاة من آل نبهان ، واستمر بها الحال ايام اليعاربة الأجلاء الذين يفتخر بهم الدين وتبتهج بهم الدنيا ، ثم اتخذها آل بوسعيد عاصمتهم الوحيدة .

وهـكذا تطور وقتها حتى الآن ، ولله فى أرضه وبلاده نظرات وآيات .

والثانية : مطرح — وهى العاصمة الراقية وهى لا تبعد عن مسقط كثيراً وهى مدينة تجارية أقام صرحها الحالى البترول وأنعش روحها السلطان قابوس ابن سعيد ، فهى مصب التجارة العمانية على اختلاف أنواعها وهى الثغر الباسم فى وجه القادم إلى مسقط ، وهى محاطة بجبال منيعة كمسقط وبها الرصيف الذى أقامه السلطان قابوس .

والثالثة : صور — وهى العاصمة الثالثة ، ولها المقام المرموق فى العواصم الساحلية العمانية من نواح عديدة ، فهى بالجنبة عزيزة منيعة ، وهى بعمان قلعة رفيعة تمون عمان الشرقية وترمى بأبطالها فى المغامرات فى وجه الطليعة ، فى أفق مكشوف وفضاء معروف ، لها منظر بديع فى البلاد العمانية ، لا تباريها فيه بلدة من البلاد العمانية الساحلية مهما كانت ، إلا أن أهلها قد أمسكوا زمام الحضارة ولهم فى سير البحر زائد المهارة ، وبها فى الأعلى منها حدائق غناء ناشئة على مياه عذبة لا يتصل بها البحر ، وبها مزارع للخضراوات ولا تزال وافية بحاجياتها ومتطلباتها .

دهليز الشرق :

ثم تأتى فى الجانب الغربى : صحار — العاصمة الرابعة ، قال ياقوت الحموى فى الجزء الثالث : وصحار قصبة عمان مما يلى الجبل ، وتوام قصبتها مما يلى الساحل ، وتوام اسم للبريمى ، والبريمى فى عنق عمان ، وهى إحدى عواصم عمان . وأكبر مقاطعاتها فى الداخل ، قال الحموى : وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج ، وذلك لكون الحجر بعيداً منها فى الجبال العالية . والمرتفعات النائية ، قال الحموى : وهى كبيرة أى صحار . مدينة كبيرة . قال : ليس فى تلك النواحى مثلها ، سميت بصحار بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو رباب وطسم وجديس . قال اللغويون : إنها تلى الجبل ، ثم قال البشارى : صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين بلد أجمل منه عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجارة وفواكه ، وأسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، قال والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة فى آخر الأسواق ، قال : وللصحاريين آبار عذبة وقناة حلوة إلى فلج بحسب العرف العمانى قال : وهم فى سعة من كل شىء قال : وصحـــار دهليز الصين وخوانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن ، قال : والمصلى وسط النخيل ، ومسجد صحار على نصف فرسخ أى فى وسط البلاد والمسافة لمنتهى صحار نصف فرسخ من الشرق إلى الغرب أو من الجبل إلى البحر ، وجميع ذلك غير بعيد من الحق ، فان صحار كما وصفها الحموى دهليز الشرق ، وإن أهلها فى سعة من كل شىء وهذا ما ليس عليه من مزيد ، وأما أنها خوانة الشرق فذلك كناية عن كثرة الأموال والأرزاق بها ، إذ كانت تصب إليها أموال عظيمة ، قال الحموى وهو يذكر مسجدها :

وهناك بركت ناقة رسول الله ﷺ قلت : لم تعرف هذه الناقة متى بركت هناك ، ولعلها فى عهد عمرو بن العاص أيام جاء لإسلام أهل عمان ، وكان الركوب

على النوق وإن مركوبته هى ناقة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أى إحدى نوقه صلى الله عليه وسلم ، قال ومحراب الجامع مكوكب مدور ، فتارة تراه أصفر وتارة أحمر وأخرى أخضر ، وهكذا . وإن المحاريب فى المساجد أول من أحدثها عمر بن عبدالعزيز الأموى أيام تولى أمر المدينة قبل خلافته تعيينا لموضع الإمام من الجماعة فى الصلاة ، قال الحموى : ولا أدرى كيف كان بروك الناقة وكأنه أخـــذ ذلك نقلا عن غيره ، ولعل حقيقته ما ذكرت لك قال : وفتحها المسلمون فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى سنة اثنتى عشرة صلحاً .

ومن المعروف أن العواصم الساحلية هى المنظور إليها من الوجهة الاستراتيجية ، فإنها هى ثغور القطر وهى أبوابه .

والثغور هى أســـوار البلاد وهى حصون الأقطار وهذا مالا يمترى فيه أحد أبدا .

أما العواصم الداخلية ، فهى عبارة عن مواطن الحكام الذين يحكمون البلاد ، وأم العواصم الداخلية : نزوى — إذ هى مقر الإمامة وعرش العدالة وكرسى الشريعة منذ عهد غير يسير ، وأهل عمان بطبيعة مذهبهم غير وادعين إلى الزخرفة العصرية ، ولا قاصدين إليها لأسباب أبقتهم على هذه الحال وهى لا تخفى على عباقرة الرجال .

أما العواصم الأخرى الداخلية فنسبتها إلى نزوى نسبة بقية العواصم الساحلية إلى مسقط وصحار ، وقلهات وصور ، فرأس الخيمة والشارقة ودبى وأبو ظبى بالنسبة إلى مسقط وصحار نسبة التابع للمتبوع ، والمرءوس للرئيس ، كما أن بولى وأزكى وسمائل وسمد الشان وعبرى وينقل ومقنيات كذلك ، وقد قلنا إن مسقط ونزوى عاصمتا ملك أو إمام فى هذه العهود الأخيرة ، وأما مطرح ودبى فعاصمتا تجارة فى هذه الآونة ، وأما الرستاق فعاصمة زعامة ، وإما سمائل لخلقوم عمان الداخلية ، وأما صحار فسيدة الشميلية من قديم ومرجع المشيخات الساحلية فى سالف الأيام ، وأما رأس الخيمة التى قامت عن جلفار القديمة فهى

من الثغور العمانية الهامة ، ولذلك اتخذها الغزاة قاعـــدة ينزلونها فيتهيأون منها لغزو عمان ولتكون لهم مرجعا إذا انهزموا ، وقد اشتهرت بذلك ، وهي في الحقيقة بحكم موقعها الطبيعي لها تأييد من الناحية الجبلية واتســاع من الوجهة الساحلية ، وهذا الحال ليس لغيرها من بلاد الساحل ، إذ هي فضاء واسع لا يزال ممتداً إلى الجبال المحيطة بها من جانب الداخل ، وعمان وبذلك هدفاً بيناً بين أعين الطامعين والمعادين وسبحـــان الله الذي تفضل على عمان بهذا الفضل الكبير .

في طبيعتها الحديثة :

تلك هي جغرافية عمان قديما . أما عمان حديثا وحتى عام ١٩٨٤ فهي كالآتي :

١ — المعالم الجغرافية :

تشغل سلطنة عمان الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، ولها ساحل يمتد مسافة تبلغ ١٧٠٠ كيلو مترا تقريبا ، من مضيق هرمز في الشمال حتى الحدود المتاخمة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، ويفصل أرض السلطنة عن رأس مسندم في أقصى الطرف الشمالي من عمان جزء من أرض الامارات العربية المتحدة .

وتقع عمان على خط عرض ١٦ ٤٠ و ٢٦ ٢٠ شمالا وخط طول ٥٠ ٥١ و ٥٩ ٤٠ شرقا .

المساحة الأرضية	كيلو متر مربع
المجموع	٣٠٠٠٠٠
منها المناطق الآتية :	
منطقة ظفار	١٠٠٠٠٠
منطقة مسندم	٢٠٠٠
المناطق الأخرى	١٩٨٠٠٠
نوع التضاريس الأرضية :	
المناطق الجبلية ٤٥٠ م، فأكثر	٤٥٠٠٠
السهول الساحلية الماهولة	٩٠٠٠
أودية وصحارى أقل من ٤٥٠ م	٢٤٦٠٠٠

٢ — السكان :

لم تجر عملية إحصاء حتى الآن لسكان البلاد ، ولأغراض التخطيط قدر عدد سكان السلطنة ١٥٠٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٧٤ .

٣ — المناطق الجغرافية :

تنقسم عمان جغرافيا إلى عدد من المناطق المتميزة هى :

منطقة العاصمة :

تعتبر منطقة العاصمة أهم وأكثر مدن عمان كلها وتشمل المناطق التالية :

(ا) منطقة مسقط : وتشمل كلبوه ، ريام ، الدوحة ، سداب ، البستان ، قنتب ، يتى ، الخيران .

(ب) منطقة مطرح : وتشمل مطرح الكبرى،روى ، الوطية ، وادى عدى ، العامرات ، البحرية ، الأخضر المحج ، البيرين ، الحجـــاجر ، المنظرية ، جحلوت ، وادى المليح ، الرجع .

(ح) منطقة بوشر : وتشمل القرم ، الصاروج ، الخوير ، مدينة قابوس ، ، العذيبة ، الغبرة ، غلا ، فلج الشام ، صنب ، الحام ، المسناة .

(و) منطقة السيب : وتشمل الموالح ، الحبل ، الخريس ، الغشب ، المعبيلة، عرق الحديد .

منطقة الباطنة :

يمتد سهل الباطنة من منطقة حدود عمان مع الإمارات العربية المتحدة لمسافة تصل إلى ٢٧٠ كيلو مترا إلى الجنوب الشرقى حتى مدينة مسقط تقريبا، ويقع بين الساحل والحجر الغربى، ويتراوح عرضه من ١٠ إلى ٣٠ كيلو مترا ، وتنحصر الزراعة

فى شق ساحلى ضيق ،لايكاد يزيد عرضه على ٣ كيلو مترات،ومحاذيا للبحر، ويعتبر سهل الباطنة من أكثف مناطق عمان سكانا ، وأهم مدنه :

بركاء المصنعة ، السويق الخابورة ، صحم ، صحار ، لوى ، شناص .

منطقة الحجر الغربى :

وهى على غرار سهل الباطنة ، وتمتد سلاسل الجبال على إمتداد الساحل من الحدود المتاخمة للامارات العربية فى الشمال، حتى وادى سمايل فى الجنوب ، وأعلى قمة فى هذه السلاسل تقع فى الجنوب الشرقى على الجبل الأخضر، حيث يبلغ علو بعض القمم ٣٠٠٠ متر، وهناك مجموعات من مناطق الاستيطان الكبيرة على جانبى الحجر الغربى أما الجزء الواقع على الجهة الجنوبية فيعرف باسم داخلية عمان، أو قلب عمان، بينما المدن الواقعة على الناحية الجنوبية من سلسلة الجبال هى الرستاق، والعوابى، ونخل.

منطقة الحجر الشرقى :

ويعد الحجر الشرقى إمتدادا للتجمعات الجبلية لعمان من وادى سمايل حتى جبل خميس شرقا ، وهى مسافة تربو قليلا عن ٢٠٠ كيلو مترا ، أما على الشمالى فتمتد الجبال حتى الساحل، بينما تحدها من الجنوب منطقة الشرقية وجعلان ،وأعلى قمة فى السلسلة الشرقية هى ٢١٠٠ مترا، ومدن هذه المنطقة الهامة هى صور، طيوى وقريات الواقعة على الساحل .

منطقة الظاهرة :

هذا الجزء سهل شبه صحراوى، ينحدر من الأجنحة الجنوبية للحجر الغربى فى اتجاه الربع الخالى، ويحده من الشمال ينقل ، وبجو، والبريمى، أما من الجنوب فيفصله عن عمان الام جبل الكور ، ديار الدروع ، ومن الشرق ديار بنى هناه ، وثمة

مستوطنات كبيرة تقع على الواديين الرئيسيين، وادى ضنك ، ووادى العين، وفيها مدن ضنك ، وعبرى، وينقل .

منطقة الجو والبريمى :

إن الإمتداد الشمالى لسهل الظاهرة يسمى الجو . ففى هذه المساحة الصغيرة الواقعة بين منطقة الحدود مع الامارات العربية المتحدة والحجر الغربى ، يتركز السكان فى المناطق المزروعة بالنخيل على واحة البريمى .

منطقة داخلية عمان ، الجوف ، :

هى هضبة وسطى تنحدر من سفوح الجبل الأخضر من الشمال فى اتجاه الصحراء جنوبا ، يحدها من الغرب الظاهرة ، ومن الشرق الشرقية ، وهناك أربعة وديان رئيسية هى : وادى البطحاء ، ووادى حلفين ، ووادى بهلا ، ووادى سمايل ، ويشكل وادى حلفين ووادى سمايل معا فجوة طبيعية فى سلسلة جبال الحجر الغربى ، وهو طريق تقليدى يربط بين مسقط والمنطقة ، وهى أكثر مناطق عمان كثافة بالسكان وأهم مدنها :

ازكى ، بهلا ، نزوى ، منح ، آدم ، سمايل ، بدبد .

منطقة الشرقية :

الشرقية سهل رملى تتخلله الأودية ، يقع على الجانب الداخلى من الحجر الشرقى ويحدها من الجنوب الشرقى منطقة جعلان ، ومن الجنوب رمال وهيبة ، وأهم مدنها هى :

ابراء مضيبى ، سناو ، صعد ، بدية ، القابل .

منطقة جعلان :

جعلان سهل ساحلى يشكل الامتداد الجنوبى للمنطقة الشرقية ، ويمتد حتى بحر العرب ويحده من الشمال الحجر الشرقى ، ومن الناحية الجنوبية رمال وهيبة ، وتسكنها

قبائل جامعة، كبنى بوعلى ، وبنى بوحسن، وبنى راسب، والهشم، والجنبة وغيرها، ومدنها الرئيسية هى : بلاد بنى بوحسن ، والوافى، والكامل .

منطقة مصيرة وكسوريا موريا :

تضم جزيرة مصيرة التى يبلغ طولها حوالى ٦٠ كيلو مترا، على بحر العرب، أما الجزر الهامة الأخرى على ساحل بحر العرب فى مجموعة جزر كوريا موريا، فأكبرها هى جزيرة الحلانية .

المنطقة الجنوبية « ظفار » :

تشمل المنطقة الجنوبية لعمان حوالى ثلث مجمل مساحة البلاد ، وتتكون من منطقتين مناخيتين هما : الساحلى، ويمتد من ريسوت فى الغرب متجاوزا صلالة، ولا يزيد عرضه فى أى جزء منه عن ٨ كيلو مترات، غير أن التربة الطموية الخصبة تحصل على كمية كافية من الرى من الأمطار الموسمية ما بين يونيو وسبتمبر، وتصل الأمطار إلى التلال المشجرة التى تمتد مسافة ١٥٠٠ مترا فى إرتفاعها وراء السهل الساحلى، وإلى الشمال من الجبال إمتداد حدود المنطقة مع المملكة العربيه السعودية فى الربع الخالى، وأمطار هذا الجزء من المنطقة قليلة، وليس فيها سوى النباتات الصحراوية. وأهم مدن وقرى هذه المنطقة: صلالة ، مرباط ، ثمريت، رخيوت، مغشن، صلكوت.

منطقة مسندم « محافظة » :

هى الجزء الشمالى من السلطنة، وتتألف من جبال وعرة ترتفع إلى ١٨٠٠ متر من ساحل ترصعه سلسلة من سلاسل الصخور ، أما المدن الرئيسية فهى : خصب ، دبا ، مدحا ، بخا ، وتسكنها قبائل الشحوح، وهم من نسل لقيط بن الحارث بن مالك ابن فهم .

٤ — الولايات :

تنقسم سلطنة عمان إلى إحدى وأربعين ولاية يدير كلا منها والى ، بالاضافة إلى العاصمة ، مسقط ، ويديرها محافظ العاصمة بمساعدة والى فى السيب ، ونائب فى بوشر ، وهذه الولايات هى كما يلى :

مسندم
١ خصب
٢ دبا
٣ مدحا
٤ بخا

الباطنة
٥ بركاء
٦ المصنعة
٧ السويق
٨ الخابورة
٩ صحم
١٠ صحار
١١ لوى
١٢ شناص

الحجر الغربى
١٣ نخل، ووادى المعاول
١٤ الرستاق
١٥ العوابى

الحجر الشرقى
١٦ وادى بنى خالد
١٧ قريات
١٨ وادى دماء ، والطائيين

الظاهرة
١٩ ضنك
٢٠ عبرى
٢١ ينقل

٢٢	البريمي	الجوا والبريمي
٢٣	عجمة	
٢٤	الحمراء	داخلية عمان
٢٥	جلاء	
٢٦	نزوى	
٢٧	منح	
٢٨	أزكى	
٢١	آدم	
٣٠	سمايل	
٣١	بدبد	
٣٢	المضيبي	الشرقية
٣٣	ابراء	
٣٤	القابل	
٣٥	بدية	
٣٦	بلاد بني بوحسن	جبلان وصور
٣٧	بلاد بني بو علي	
٣٨	الكامل والوافي	
٣٩	صور	
٤٠	مصيرة	
٤١	ظفار	

نهضة وثيقة:

تلك هي عمان في منظور الماضي ، وفي أحضان التاريخ القديم ، أما عمان الجديدة ، أما عمان قابوس في نهضتها الواثبة ، فحسبي أن ألقي بعض الأضواء على بعض معالمها الحديثة .

وتكفي الاشارة عن الاستقصاء ، واللمحة عن الاسترسال والاحصاء ، ويكفيني في هذا المقام ، ويكفيك معي أيها القارىء ، أن نسير معا جنبا إلى جنب وسط هذه الروائع من الانجازات العمانية الحديثة .

والإشارة تغني عن العبارة ، واليك الحديث في اشارات عابرة ، مع رءوس مسائل وبعض من الفصول القصار .

الفصل الأول : معلومات عامة وذلك عن :

— المعالم الجغرافية .

— السكان .

— المناطق الجغرافية .

— المناطق الإدارية ، أولايات .

الفصل الثاني : الاحصاءات الجوية وذلك عن :

— درجات الحرارة العظمى والصغرى ، سقوط الأمطار والرطوبة العظمى والصغرى في مطار السيب الدولي .

— درجات الحرارة العظمى والصغرى ، سقوط الأمطار ، والرطوبة العظمى والصغرى في مطار صلالة الدولي .

— درجات الحرارة العظمى والصغرى ، والرطوبة وسقوط الأمطار في مصيرة . وصور ، صحار ، ثمريت ، بريمي لعام ١٩٨٣ .

ـ المتوسط الشهرى والسنوى لدرجات الحرارة العظمى والصغرى «بالسنتيغراد» حسب المناطق للفترات المبينة أمام كل منها .

الفصل الثالث : التربية والتعليم وذلك عن :

ـ المدارس الحكومية ، الطلبة والمدرسين .

ـ توزيع المدارس الحكومية حسب المناطق التعليمية المختلفة خلال السنة الدراسية ١٩٨٤/٨٣ .

ـ توزيع الطلبة فى المدارس الحكومية حسب المناطق التعليمية المختلفة، والجنس

ـ توزيع الطلبة فى المدارس الحكومية حسب المراحل الدراسية، الصف، والجنس

ـ طلبة المدارس الإبتدائية الحكومية حسب، الصف ، والعمر، والجنس فى العام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ .

ـ طلبة المدارس الإعدادية والثانوية الحكومية حسب الصف ، والعمر، والجنس فى العام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ .

ـ توزيع طلاب المعاهد الفنية الثانوية والإعدادية النموذجية حسب الصف والعمر والفصول الدراسية للعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ .

ـ الطلبة العمانيون فى الكليات والجامعات الأجنبية حسب بلد الدراسة والجنس والتخصص للعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ .

ـ توزيع هيئات التدريس فى المدارس الحكومية حسب الجنس والجنسية

ـ طلبة مراكز محو الأمية حسب المناطق التعليمية والجنس والصف .

ـ المراكز الحكومية لمحو الأمية ، وأعضاء الهيئة التدريسية والفصول حسب المناطق التعليمية والجنس .

— الدارسين فى المراكز الحكومية لتعليم الكبار حسب المناطق التعليمية والجنس

— مراكز تعليم الكبار والفصول ، والدارسين حسب المناطق التعليمية، والمرحلة والجنس للعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ .

— عدد المدارس الخاصة المسجلة لدى وزارة التربية والتعليم .

— طلاب المعهد الثانوى الإسلامى مصنفين حسب العمر، والصف ، والمرحلة، وعدد الفصول .

— طلاب وطالبات معهدى المعلمين والمعلمات الحكومى مصنفين حسب الجنس والعمر والصف للعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ .

— طلبة مركز التدريب المهنى التابع لوزارة الشئون الاجتماعية والعمل مصنفين حسب العمر والصف .

الفصل الرابع : الصحة وذلك عن :

— الوحدات العلاجية، ووحدات الصحة العامة لوزارة الصحة. وعدد الأسرة

— الوحدات الصحية العلاجية والوقائية المدنية، وأسرتها، موزعة حسب المناطق خلال عام ١٩٨٣

— توزيع الأسرة على التخصصات المختلفة لعام ١٩٨٣ .

— العاملين بوزارة الصحة .

— خريجى مدرسة الرحمة للتمريض خلال الأعوام ١٩٨٣/١٩٧٢ .

الفصل الخامس : الشئون الاجتماعية والعمالية وذلك عن :

— الأندية الرياضية للشباب ... موقعها وعضويتها .

— الاستخدام المدنى فى الحكومة « عمانيون وغير عمانيين » .

ـ موظفي الخدمة المدنية، موزعين حسب الوزارة، والهيئات العامة ، الجنس ، والجنسية في ٣١ ديسمبر ١٩٨٣

ـ موظفي الخدمة المدنية موزعين حسب الوزارات والهيئات العامة والحلقات الوظيفية ، الجنس ، الجنسية ، عماني/غير عماني ، حتى ١٩٨٣/١٢/٣١

ـ بطاقات العمل التي منحتها المديرية العامة لشئون العمل للمشتغلين خلال السنوات ٨١ ، ٨٢ ، ١٩٨٣ للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص مصنفة حسب المهنة ومتوسطات الأجور الشهرية

ـ بطاقات العمل الممنوحة للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص خلال عام ١٩٨٣ مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية والجنسيات

ـ بطاقات العمل التي منحتها المديرية العامة لشئون العمل للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص خلال عام ١٩٨٣ مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية والنشاط الاقتصادي

ـ بطاقات العمل التي منحتها المديرية العامة لشئون العمل خلال عام ١٩٨٣ للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية وموقع العمل

ـ بطاقات العمل التي منحتها المديرية العامة لشئون العمل للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص خلال ١٩٨٣ مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية وفئات الراتب الأساسي .

ـ بطاقات العمل الممنوحة من قبل المديرية العامة لشئون العمل للمشتغلين غير العمانيين في القطاع الخاص موزعة حسب الجنسية في الفترة من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٣

— عدد بطاقات العمل التى منحتها المديرية العامة لشئون العمل للمشتغلين غير العمانيين فى القطاع الخاص، مصنفة حسب المجموعات المهنية الرئيسية فى الفترة من ١٩٨١ إلى ١٩٨٣

— عدد بطاقات العمل التى منحتها المديرية العامة لشئون العمل للمشتغلين غير العمانيين فى القطاع الخاص مصنفة حسب النشاط الاقتصادى فى خلال الفترة من ١٩٨١ إلى ١٩٨٣

الفصل السادس : البريد والبرق والهاتف وذلك عن :

— المكاتب البريدية ، فروع المكاتب البريدية . صناديق الرسائل ، صناديق المكاتب البريدية

— الحركة البريدية

— عدد الخطوط الهاتفية المزودة من سنة ١٩٧٠ إلى ١٩٨٣

— عدد الخطوط الهاتفية المزودة ، حسب المحولات ،

— حركة البرق والهاتف والتلكس .

الفصل السابع : الطاقة الكهربائية وتجهيزات المياه وذلك عن :

— القوة الإنتاجية المركبة لدى المحطات فى السلطنة

— الطاقة الكهربائية المنتجة والموزعة

— الإنتاج الإجمالى الشهرى لوحدات الكهرباء المولدة فى منطقة العاصمة والمنطقة الجنوبية

— طاقة الكهرباء المنتجة والموزعة شهريا فى منطقة العاصمة والمنطقة الجنوبية ١٩٨٠ — ١٩٨١

ـ الكهرباء المنتجة فى محطات الطاقة بالسلطنة ، وتوزيعها بالإضافة إلى محطات العاصمة .

ـ إحصائيات المياه المتعلقة بمنطقة العاصمة وصلالة ، وإنتاج وتوزيع المحطات الحكومية .

ـ إنتاج واستهلاك المياه فى منطقة العاصمة .

الفصل الثامن : النقل وذلك عن:

ـ حركة الطيران والنقل بمطار السيب الدولى .

ـ حركة البضائع فى الموانىء ، ميناء قابوس ، ميناء ريسوت ، ميناء الفحل .

ـ حركة البضائع السلعية بالتفصيل فى ميناء قابوس .

ـ حركة البضائع المفرغة بميناء ريسوت .

ـ الكميات المستوردة شهريا من البضائع فى ميناء قابوس وميناء ريسوت .

ـ السفن الداخلة فى ميناء قابوس، حسب الجنسيات المختلفة خلال السنوات ١٩٧٧ — ١٩٨٣ .

ـ ملخص أطوال الطرق .

ـ الطرق المرصوفة بالأسفلت

ـ العربات المسجلة .

ـ رخص قيادة السيارات وحوادث الطرق .

الفصل التاسع : الإسكان وذلك عن :

ـ عدد اباحات البناء المستخرجة للمبانى المزمع تشييدها حسب نوع الاستعمال ومساحة القطعة، لمنطقة العاصمة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٣ .

ـ المساكن الشعبية التى تم بناؤها .

الفصل العاشر : الأسعار وذلك عن :

— الأرقام القياسية للسلع الاستهلاكية فى منطقة العاصمة للمواد الغذائية والمشروبات والتبغ ، سعر الأساس = متوسط الأسعار للفترة « يوليو — ديسمبر ١٩٧٨ »

— الأرقام القياسية لتكاليف مواد البناء للمقاولين فى قطاع البناء والتشييد

الفصل الحادى عشر : الزراعة والمواشى وذلك عن :

— المساحة المزروعة حسب المناطق

— إجمالى المساحة المزروعة بأشجار المحاصيل الدائمة من الفواكه حسب عدد الأشجار ونوعها

— إجمالى المساحة المزروعة بالخضروات والمحاصيل الحقلية حسب المناطق

— المزارع الإنتاجية ، محطات البحوث ، والمراكز الارشادية لعام ١٩٨٣

— إنتاج المزارع الإنتاجية ، ومحطات البحوث التجريبية من الفواكه والخضروات خلال عام ١٩٨٣

— التمور الخام المستخدمة فى الإنتاج والإنتاج النهائى

— عدد شتلات الفاكهة والزينة الموزعة على المزارعين

— كميات الأسمدة الموزعة على المزارعين

— كميات البذور والتقاوى الموزعة على المزارعين عن طريق المراكز الإرشادية

— المساحات المعالجة من مختلف المحاصيل الحقلية والخضروات والفواكه

— المساحات التى تم علاجها ضد حشرة دوباس النخيل

— مكائن الرش الموزعة على المزارعين

— خدمات الحراثة المتاحة للمزارعين

— بيان الحيوانات التى تم علاجها

ـ الحيوانات التي تم تحصينها بأنواع الأمراض

ـ تقديرات أعداد الحيوانات المختلفة موزعة حسب المناطق

الفصل الثاني عشر : التجارة والصناعة وذلك عن :

ـ الشركات والمؤسسات المسجلة في سلطنة عمان مصنفة حسب النشاط الاقتصادي ورأس المال

ـ الشركات والمؤسسات المسجلة في سلطنة عمان موزعة حسب النشاط الاقتصادي وفئة رأس المال للأعوام ١٩٨١ — ١٩٨٣

ـ عدد الشركات والمؤسسات المسجلة بسلطنة عمان مصنفة حسب الشكل القانوني وفئة رأس المال حتى نهاية ١٩٨٣

ـ عدد الشركات والمؤسسات المسجلة بسلطنة عمان مصنفة حسب فئات وملكية رأس المال حتى نهاية عام ١٩٨٣

ـ عدد الشركات والمؤسسات المسجلة بسلطنة عمان حسب المناطق ورأس المال

الفصل الثالث عشر : البترول وذلك عن :

ـ إنتاج النفط الخام وعدد الآبار المنتجة

ـ الأسعار المعلنة لصادرات النفط الخام من ١٩٦٧/٨/١ إلى ١٩٨٣/١٢/١

ـ الأقطار المصدر إليها النفط

ـ مبيعات المنتجات البترولية من قبل شركة شل للتسويق وشركة النفط البريطانية

الفصل الرابع عشر : التجارة الخارجية وذلك عن :

ـ ملخص الصادرات والواردات المسجلة

ـ الصادرات غير النفطية حسب التصنيف الدولي المعدل رقم «٢» للأعوام من ١٩٨١ إلى ١٩٨٣

ـ السلع المصدرة والمعاد تصديرها مصنفة حسب فصول وتقسيمات التصنيف الدولي المعدل «٢»

— الواردات المسجلة مصنفة حسب التقسيمات والفصول الدولية للتصنيف الدولى المعدل «٢» .

— الواردات المسجلة مصنفة حسب تقسيمات التصنيف الدولى المعدل «٢» .

— التصنيف الاقليمى للاقطار الوارد ذكرها فى الجدول .

— الواردات المسجلة خلال الأعوام من ٧٦ إلى ١٩٨٣ مصنفة حسب التصنيف الدولى ومجموعات الأقطار المصدرة وأهميتها النسبية «٪» .

الواردات المسجلة خلال الأعوام من ١٩٨١ إلى١٩٨٣ مصنفةحسب الأقسام الرئيسية للتصنيف الدولى ومجموعات الأقطار المصدرة والمعاد تصديرها .

— الواردات المسجلة خلال عام ١٩٨٣ مصنفة حسب التصنيف الدولى المعدل رقم «٢» ومجموعات الأقطار المصدرة .

— الواردات المسجلة مصنفة حسب القطـــاع الصناعى المنتج لها والقطاع المستخدم خلال عام ١٩٨٣ .

— قيمة الواردات المسجلة لبعض السلع المختارة من مواد البناء ١٩٨٠ — ١٩٨٣

— ميزان المدفوعات ١٩٧٩ — ١٩٨٣ .

الفصل الخامس عشر : البنوك وذلك عن :

— النقد المصدر والمتداول .

— عرض النقد .

— العوامل المؤثرة على كمية وسائل الدفع .

— البنك المركزى المعانى « المطلوبات — الموجودات » .

— الميزانية الموحدة للبنوك التجارية .

ـ توزيع الائتمان المصرفى على القطاعات الاقتصادية .

ـ البنوك العاملة فى السلطنة حتى ١٩٨٣/١٢/٢١ .

ـ قروض ومساهمات بنك تنمية عمان خلال عام ١٩٨٣/٨٢ مصنفة حسب القطاعات الإقتصادية .

الفصل السادس عشر : المالية وذلك عن :

ـ مالية الحكومة .

ـ الايرادات غير النفطية .

ـ نصيب كل قطاع من الاستثمارات الحكومية واستثمارات القطاع الخاص المنفذة فى الأعوام ١٩٨٣/٨٢ .

ـ المصروفات الانمائية موزعة حسب الواردات والدوائر الحكومية .

ـ المصروفات المدنية المتكررة موزعة حسب الوزارات .

ـ المصروفات المتكررة للوزارات المدنية حسب بنود الاتفاق .

الفصل السابع عشر : الدخل القومى وذلك عن :

ـ الناتج المحلى الإجمالى بالأسعار الجارية حسب نوع النشاط الاقتصادى .

ـ الناتج المحلى الإجمالى بالأسعار الجارية حسب نوع النشاط الاقتصادى ، معدلات النمو النسبية ٪ .

ـ الناتج المحلى الإجمالى بالأسعار الجارية حسب نوع النشاط الاقتصادى الأهمية النسبية ٪ .

ـ الانفاق على الناتج المحلى الإجمالى بقيمة المشترى بالأسعار الجارية .

ـ الانفاق على الناتج المحلى الإجمالى بقيمة المشترى بالأسعار الجارية ، معدلات النمو السنوية ٪ .

ـ الانفاق على الناتج المحلى الإجمالى بقيمة المشترى بالأسعار الجارية الأهمية، النسبة (٪) .

ـ المدخرات المحلية والقومية .

ـ صافى عوائد الدخل من العالم الخارجى .

ـ التكوين الرأسمالى الثابت حسب نوع النشاط الاقتصادى .

توزيع التكوين الرأسمالى الثابت حسب نوع النشاط الإقتصادى والقطاع المستثمر عام/خاص .

ـ توزيع التكوين الرأسمالى الثابت حسب نوع النشاط الاقتصادى والقطاع المستثمر عام/خاص ،الأهمية النسبية «٪» .

أما الحديث عن عمان فى ثوبها القشيب ، فى نهضتها الجادة ، فى حضارتها الواثبة العريقة ، فى عروبتها الأصيلة الشامخة ،فى إيمانها العميق الواعى ، فى كل هذا وأكثر من هذا، فلنا معها حديث آخر ، ووقفة طويلة متأنية فى الجزء الثانى من سلسلة « عمان .. والامبراطورية العربية» بمشيئة الله تعالى .

ومن هنا كان الطمع :

إن طمع كثير من الأمم فى عمان كان قديما،وقديما جدا ،بل حتى قبل التاريخ، أعنى قبل أن يتأهل التاريخ بمعداته وأدواته وآلاته وتكنولوجياته التى نراه عليها اليوم ، فى منظور المصطلح التاريخى الحديث ، وفى لغة المؤرخين .

ومن المعروف بداهة ، والمعلوم بالضرورة ، والمتفق عليه بين ساسة العالم، أنه العملة الرائجة المتداولة فى الأروقة السياسية ، والحارات الدبلوماسية ،والأزقة

والمخـــابىء أن الذى يدعو أمة إلى اقتناص أمة ، أو يغريها بالتلصص عليها ، أو التسلل إليها، أو غزوها واغتصابها — كما هو الشأن فى الأفراد والجماعات كذلك — هو أن الأمة المقصودة ، أو الدولة المطموع فيها ، تتميز بما لم يمكن عند غيرها من الأمم والدول ، وتحظى بأوفر نصيب من المواهب والمنح الطبيعية والخيرات، وتتمتع بما يثير الطمع ، ويغرى بالجشع فى نفوس الحاقدين، الحاسدين، الذين تتحلب أفواههم شرها فى الاغتصاب والاستلاب.

وكذلك كان الشأن مع عمان والأمم التى سكنتها أو غزتها حقباً متفاوتة من الدهر ، أو تداولت عليها بقصد الانتجاع والاسترواح ، نظرا لمناخها الجميل ، وجوها البديع ، وموقعها المتميز ، واستراتيجيتها البكر ، وخصوبتها العذراء ، وخيراتها التى فاتت الوصف ، وكبرت على اللغة ، وتراثها الفذ المتوحد ، الذى استعلى على التطلع وفاق التصور والخيال، حتى ليقرر الرحالة البرتغالى «برتون سبيك» فى كتابه — أيام فى عمان — : إن عمان هى الرئة الصحيحة التى تتنفس الجزيرة من خلالها ، وهى الذراع الطويلة القوية التى تلاحق المغتصب على مدى الخريطة العربية، وتطول كل أبعادها وجيوبها ، وهى إلى جانب ذلك كله ، الدماغ الواعية الذكية التى تستشار دائما فى الملمات والمدلهمات ، ولها رأيها الصائب ، وحكمها الصادق الناصع فى حل المشكلات ، وفض الألغاز ، وفك الرصد ، وإلقاء الأضواء على الطلاسم والمعميات .

هذا إضافة إلى أن عمان هى المدخل الفريد الوحيد للتعرف على الإنسان العربى الأصيل ، فى عروبته وشمائله ، فى صفاته ، وسلوكه ، فى أخلاقه ، وطبائعه التى لا توجد إلا فيه وحده دون خلق الله على إمتداد الحياة والأحياء ،

فعمان أشبه بالكتاب الذى تتراءى على صفحاته ، وتتضح بين سطوره وكلماته قصة الإنسانية كلها من بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، بما فيها من معادلات صعبة أو سهلة ، تجمع بين الجبل والسهل ، والخصوبة والمحل ، والرقة والوعورة .

حتى الأجانب :

وقد اهتم كل من القس ، بادجر ، — الباحث الفرنسى ، والمستشرق الهولندى « مايلز إير » فى كتابهما، رحلة مع التاريخ، — بالبحث الأكاديمى، والدراسة الذاتية لشخصية عمان ، عمان القطاع الواسع الممتد ،عمان المنطقة المشخصة ، عمان الامارة ، والمملكة .. ثم السلطنة الناهضة المتوثبة :

ما هى عمان ؟ وكيف تكونت ؟ وما هى القطاعات التى كانت تشملها؟ وماهى المناطق التى كانت تحدها وتحيط بها؟ وما هى إيجابياتها وفالياتها فى إعزاز العرب وإثراء العروبة ؟ ولم سميت بهذا الاسم؟ وما هو أهم الأمم التى دخلتها ؟ وكيف أعزها الله بالإسلام ؟ وكيف باركها الرسول وأصحابه بالثناء والدعاء ؟ وماهو دورها الفعال على صعيد الدعوة الإسلامية ؟ وكيف أنها لم تتمذهب إلا بالمذهب الاباضى ، مذهب الفرقة الناجية ، وأهل الاستقامة ؟!

فى شكلها الحقيقى :

لقد طرح الكاتبان كل هذه الأسئلة فى مؤلفهما، احتفاء بعمان، وتأكيدا لشخصيتها الأصيلة . وملامحها المتميزة فى منظور التاريخ ، وتحت « تلسكوبه » ليرى فيها الرأى العام العالمى رؤيته الموعودة ، ويجد فيها الرائى المنصف مالم يجده عند غيرها من الأمم السابقة واللاحقة .

ولعل الرحالة المساوى « ط.ف. مايلز » قد أجاب عن كل هذه الاستفسارات والتساؤلات بما ضمنه كتابه « بلاد لها تاريخ »، حيث استرسل فى شرح عوامل الجذب والطرد التى تعترى — أو تتخلى بها — بعض الأمم والشعوب ، نظرا لاستراتيجية عمان وما حبتها بها الطبيعة ، والتكوين الجيولوجى ، الذى يتلاءم فى بنيتها ، والذى يتفاعل أو يتعادل مع مكوناتها الشخصية التى لا تتخطاها

أو تتحداها أبدا ، والتى تشير إليها بما خلفته عليهـــا من بصمات ودلالات ، وما تركته فيها من سمات وعلامات .

وكان فيما قاله : إن تاريخ عمان القديم يعكس على صفحاته وفى مقولات رسومه البيانية أحاسيس ومشاعر هذه الأمم العديدة المتتابعة التى هبت فى زحوف هوجاء عبر عشرات الآلاف من السنين على الخريطة العمانية فى شكلها الحقيقى . وفى واقعها التى عايشت به الحياة ، ورافقت من خلاله كل الأحداث والحوادث فإن عمان وما حبتها به الطبيعة ، وما أضفت عليها من ظلال وأطياف ، وما حظيت به من التلوين الجمالى ، والإبداع الفنى ، والتخطيط الذى لا تتكرر نسخه ، ولا تتعدد طبعاته... كل ذلك كان من المقومات الذاتية فى بناء الهيكل العمانى الشامخ الذى جذب إلى ساحته ، وضاعف فى مساحته ، ووسع مداه ، إلى الحد الذى يفوق طاقة التسجيل والحساب ، ويتجاوز استطاعة العادين والكتاب ، بما أحصى واستقصى ، وساق وقدم ، ودلل ، وبرهن على مصاحبة الحق والخير والجمال ، وتعامله الشريف النظيف مع أوليات الحب وأبجديات الكمال ...

ومرد ذلك كله إلى هذه الهبات الإلهية التى فاضت على عمان تجسيدا ومبنى وتجاوزتها إلى أبنائها روحا ومعنى ، أقول : كان ذلك كله من مقتضيات هذا الطوفان الهائل من الزحوفات المتوالية ، والهجمات المسعورة المتتالية على عمان فى مداها الطويل ، ومن خلال مشوارها الذى بدأته مع رحلة الحياة ...

إذ مما لاشك فيه ان الحضارة العمانية من أقدم الحضارات العريقة ، ويرجع ازدهار هذه الحضارة إلى موقع عمان المتميز فى الجنوب الشرقى من الجزيرة العربية ، حيث ملتقى الطرق البحرية بين الشرق والغرب ، وما كان لهذا من أثر فى تبادل التأثير والتفاعل مع الحضارات الأخرى التى شـــهدها العالم فى مراحله التاريخية المتعاقبة ...

لم يجهلونها ؟

ومع هذا فلا يزال كثير من أبناء الأمة العربية يجهلون هذا الجانب المشرق من تاريخ عمان ، وغيره من تواريخ العرب ، وذلك لندرة ما كتب في هذا الباب، وقد ظل تاريخ عمان بالذات محفوظا في صدور الرواة ، أو مسطورا في بطون الكتب ، أو مبعثرا على ألسنة القصاص ، في حين أنه يجب أن يكون هذا التاريخ العماني قرآنا يتلى ، وانجيلا يردد ، وتوراة تقرأ ، وفخرا أكيدا فريدا يتوارثه الأبناء عن الآباء ، والاحفاد عن الأجداد، لأنه يمثل العروبة في أعلا أنماطها ، ويبرز العربي في أبهة صوره ، وأجمل أشكاله، ويجلي بطولته ورجولته ، ويريه للناس أنه رجل الدنيا وواحدها .

كما يكشف الستار ، ويلقي الاضواء ، ويبين للعالم أجمع ما كان لعمان والعمانيين من مساهمات فعالة ، وإيجابيات بناءة في تشييد الحضارة الإسلامية . وفي الأخذ بناصر العروبة والعرب ، وكيف شادت عمان قبل الإسلام وبعده حضارات عريقة شامخة ، وانجازات عربية إسلامية ، لا تزال حديث السمار ، ولا تزال آثارها ناطقة شاهدة على عظمة الإنسان العماني المبدع مع مر الدهور وكر العصور .

ومع ملاحظة أن تاريخ عمان سلسلة من الحوادث والأحداث ، كما كان امتداد سواحل عمان على بحرها الكبير ، وعلى الخليج العربي الطويل سببا في انطلاق الشعب العماني حتى إلى ما وراء البحار، وفي أن يكون لعمان نشاطات ملاحية ، وسفن تجارية ، وأساطيل حربية ، وحصون متينة ، وقلاع شامخة ، وأبراج مشيدة شاهقة ....

وتأسيسا على هذا كله . أو انطلاقا من بعض زواياه وجوانبه ، فانه يمكننا القول بأمانة وصدق ، وواقعية وحق ، إن عمان — موضوع هذه

الدراسة — قد أدت دورا كبيرا فعالا على مسرح هذه الحياة، مع كثير من الأمم والشعوب التى تعاملت معها ، أو تعاطت سلوكها ، منهجاً وأملا ، أو فعلا وعملا ، وإن هذا الأمر يقتضينا الغوص فى أعماق التاريخ ، والبحث فى بطون الكتب ، وقطع الشوط الطويل الأمد فى رحلات متتابعة راكضة ، إبان تداول هؤلاء المغامرين على « كرسى الجزيرة » — وأعنى به عمان — لاسيما وإن الكتابة عن عمان والبحث ، أو التأليف فيها قد نشط أخيرا على يد بعض الكتاب والمؤلفين العرب والأجانب ، مع اختلاف وجهات النظر أو تقاربها بين هؤلاء فيما يكتبون ويؤلفون ، ضرورة ان كل كاتب أو مؤلف يترك بصماته الذاتية ، وأحاسيسه الشخصية على كتاباته ، ومن هنا ، كان السر فى تغاير أحاسيس بعض الكتاب ، وتباين مشاعر بعض المؤلفين حيال هذه القضية . . ولو بعض الشيء ...

والكتابة عموما عن عمان تعتبر مرادا للحركة الفكرية ، والموارث العربية التى تضيء للناس عامة ، وللعمانيين — بالذات — طريق حياتهم ، وأسلوب تعايشهم ، واستمراريتهم فى هذه الدنيا على هدى وبصيرة ، من ماضى الآباء والأجداد ...

التاريخ والواقع :

وحسبنا فى هذا المقام بعض المصادر التاريخية المتاحة لتصور لنا بعض أوجه الوجود العربى ، وغير العربى على أرض عمان ، ولنتمكن — بالتالى — من ضبط التاريخ ووضع النقط فوق الحروف ، لاسيما فى الأحداث الكبيرة المهمة التى أفزعت الحياة ، وأيقظت فيها الأحاسيس والمشاعر .

ولنسر مع التاريخ فى خطواته المتئدة ، أو الراكضة ، وفى مشواره المهيب الوقور ، باحثين ومنقبين ، عن هؤلاء الأقوام الذين تتابعوا — أو تزامنوا — فى الدخول على عمان ، واقتعادها ، وهى « كرسى الجزيرة » كما أسلفنا البحث والحديث ...

لقد أكدت كتب التاريخ ، وشيوخ المؤرخين : أن أول من سكن قطر عمان فى القديم فرع من العرب البائدة ، هم « العمالقة » ، وهم بنو عملاق بن لاوذ بن سام

ابن نوح عليه السلام ، قال السويدى فى كتابه – رعاية الأحساب وأصول الأنساب – العمالقة قوم عظام الأجسام طوال القامات ، يضرب بهم المثل فى القوة والطول ، تفرقوا فى البلاد ، فكان منهم أهل المشرق ، وأهل عمان ، والبحرين ، والحجاز ، وكان منهم ملوك العراق ، وجبابرة الشام ، والجزيرة ، وفراعنة مصر ، ومنهم قبيلة جاشم ، وهم بنو جاشم بن عملاق ، وكانت مساكنهم يثرب والبحرين وعمان .

ويقال : إن من أهم الأمم التى سكنت عمان مع غيش التاريخ وضبشه – هم « السومريون » الذين استنبطوا منها النحاس ، وشكلوه فى مصنوعات لافتة مبهرة ، وهذا هو رأى المؤرخ البريطانى « توماس » فى كتابه – يوميات سائح – الذى يقرر فيه أيضاً : إن ذلك كان قبل الميلاد بأكثر من خمسة آلاف سنة ، وأنهم توطنوا عمان ، وأسموها « بلاد ماجان » .. وتمكنوا – كذلك – من إدارتها ، وتوجيه العمل فيها حقبة من الزمن ، ثم جاء من بعدهم « الكلدانيون » وسيطروا على عمان ، وأطلقوا عليها اسم « إبليتا » ، وخلفوا فيها بعض الآثار ، وتركوا بصماتهم على كثير من المرافق والمؤسسات هناك ، وعاشوا هناك زمنا غير يسير ، إلى أن أجلاهم عنها – ثم سكنوها من بعدهم – قوم عاد الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم حيث أفاضوا على الجزيرة ، وتوافدوا عليها ، وتوالت هجراتهم إليها ، فى موجات متتابعة ، وهجومات حاشدة مزدحمة من الاحقاف ، التى كانت مركز زعامتهم ، ومحل العتاة الجبابرة منهم ، حتى إذا بغوا وطغوا وعاثوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، سلط الله عليهم « الفينقيين » فطاردوهم من عمان شر طردة ، وراحوا يحلون محلهم ، ويسيطرون على شئون البلاد ، وأمور الحكم فيها ، واتخذوا « صور » العمانية عاصمتهم ، ومركز ثقلهم ، حتى إذا أذن الله لهم بالخروج منها ، ارتحلوا عنها – جلاء – إلى الشام ، وهناك ابتنوا فيها مدينتهم المعروفة إلى اليوم « صور » بدلا من صور عمان .

تدقيق وتحقيق :

ويذكر ياقوت الحموى : أن الذى حارب قوم عاد فى عمان وأخرجهم منها ، إنما هو عمان بن سباق الفنجديبى — أحد الملوك الاشداء أنذاك — فتولى عمان ، وطرد منها بقايا قوم عاد ، وعاش فيها هو وأرهاطه ردحا من الزمن ، ثم غلبهم عليها — ودخلها من بعدهم — عمان بن قحطان ، نائبا عن أخيه الملك يعرب بن قحطان وهم أول بذرة من بذور العروبة توضع فى أرض عمان .. إلا أن العويني — المؤرخ الكبير — ذكر فى الانساب عن الكلبى : أن الذى حارب الفينقيين فى عمان وأخرجهم منها هم « المعينون » — لا قوم عاد — وهم من عمالقة العراق ، وقيل : هم من الأراميين » ، ثم جاء بعدهم — فى حكم عمان — « الحمورابيون » ثم « السبئيون » — من آل سبأ بن حمير القحطانى — فكونوا دولة « الحميريين » الذين إمتد عهدهم فى عمان إلى أكثر من ألفى سنة . وفى « مروج الذهب » للمسعودى أن الذى أخرج الفينقيين من عمان هم « الحميريون » بعد حروب طاحنة بين الفريقين ، بدءا من مالك بن حمير ، ثم ابنه قضاعة ، ثم ابنه الحاف ، ثم ابنه مالك ثم السكسك الحميرى ..

وجاء فى نقول تحفة الأعيان ، أن الذين تولوا حكم عمان - بعد الحميريين — هم « الأشوريون » فى عهد ملكهم « تغلت فلاس الأشور » ثم حل محلهم فى حكم البلاد العمانية « البابليون » ، وكان ذلك فى القرن السابع قبل الميلاد . ولم يمكد البابليون يستقرون فى عمان بعض الشىء حتى اجتاحتهم جيوش « كورش » أحد ملوس الفرس الاشداء .. وتلك هى الهجمة الفارسية الأولى على عمان . ويقال أن « السبأيين » - وهم آل سبأ بن يقشان بن إبراهيم عليه السلام — هم الذين أجلوا القحطانيين من عمان ، وحكموها بعدهم ، إلى أن طردهم منها « الطسميون » —

آل طسم — ثم ، الجديسون ، — آل جديس — ...وهم من العرب البائدة ، وفى هذا خلاف كبير جداً بين المؤرخين .

من أعماق الدهور :

وعموماً ، فلقد أجمعت جمهرة المؤرخين على أن المدة التى قضتها الفرس الأولى فى عمان لا تقل أبداً عن سبعة قرون ، وأن الذى أخرجهم منها ، وحاربهم عليها ، وزاحمهم فيها ، هم قوم عاد — الذين اسلفت الحديث عنهم قبلا — وأن الذى أخرج عادا من عمان ، وتعقبهم فيها — بعد حرب ضارية — هو عمان بن سباق الفنجديبى ، ثم جاء بعده — على حكم عمان — عمان بن قحطان — واليا من قبل أخيه يعرب بن قحطان — ولعل هذا العهد القحطانى هو أول إرهاص عربى فى أرض عمان .

وهنا تتضارب الروايات التاريخية حول قوم عاد — هؤلاء — هل حاربوا الفينقيين فى عمان ؟ أم حاربوا الفرس الأولى ؟ أم حاربوهما معا ؟

وإن كان المؤرخون قد اتفقوا فيما بينهم — إلى ما يشبه الإجماع — على أن الذى حارب عادا فى عمان وأخرجهم منها ، إنما هو عمان بن سباق الفنجديبى الذى عاش فى عمان ردحا من الزمن ، ثم غلبه عليها عمان بن قحطان من قبل أخيه يعرب بن قحطان .

ويقرر الأمير شكيب أرسلان فى كتابه « حاضر العالم الإسلامى » : أن السبائيين — من أولاد سبأ بن يقثان بن ابراهيم عليه السلام — هم الذين أجلوا القحطانيين عن عمان ، ثم جاء الطسميون ثم الجديسون — وهم من العرب البائدة — فغلبوا السبأيين عليها ، ومازالوا بها ، حتى جاء الازديون الأول فاستولوا على عمان ، وطردوا منها كل غازلها ، أو دخيل عليها .

هم عمالقة التاريخ :

والأزديون هؤلاء نسبة إلى ازد . وازد هذا ،هو أبو العرب جميعا كما يجمع على ذلك جميع المؤرخين فى نسبته .

فهو : الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام .

ومن الأزد المذكور، تناسل ولده نصر ، ثم تناسل من نصر هذا، مالك بن نصر ، ومن مالك بن نصر تفرقت القبائل الأزدية فى كل أنحاء الجزيرة ، وتفرعت إلى البطون والأفخاذ .

وكان من تلك القبائل قبيلة « أزد شنوة بنى عثمان » وهو عثمان ، بن زهران بن كعب ، بن الحارث بن كعب بن عبد الله ، بن الحارث ، بن مالك بن نصر ابن الأزد أبى العرب على الاطلاق .

وتؤكد جماعة من المؤرخين — ومنهم « السمعانى » فى كتابه — الأنساب — و « السيوطى » فى — بغية الوعاة — و « الغرناطى اللخمى » فى موسوعته — الجزيرة هنا وهناك — والمستشرق الألمانى « هانز باولى » فى — رحلة على بساط الريح — والمستكشف البرتغالى « مايرجو سكل » فى — أعاجيب الدنيا — : أن الأزد الأول — وهم أقوام عمر بن عمرو الأزدى — ما كادوا يحطون رحالهم فى أرض عمان ، ويلتقطون أنفاسهم بعض الشىء ، ويستروحون نسائم الراحة الآتية إليهم من خلال الجبال ، وثنايا الهضاب ، وعبر أنابيب البحار والأفلاج ، ومن فوق أو من بين المروج الخضراء ، والحدائق الممرعة الغناء، وما كادوا كذلك يذوقون فيها طعم الراحة ، حتى ينقض عليهم الفارسيون بقيادة ملكهم «كورش» فى هجمتهم الثانية .

وتمر الأحداث متتابعة ، وتشتبك المعارك ، وتتعانق السيوف ، وتتصافح الرماح مخضوضبة من دماء الأقوام المتعاركين على أرض عمان . . حقبة طويلة واسعة عريضة عميقة من الزمن .

بين النص والإجتهاد :

ويختلف التاريخ فى رواياته ، ويختلف — بالتالى — كل مؤرخ مع رواياته ويحل الاجتهاد والتخمين ، محل الاعتقاد واليقين ، وتتراءى الأحداث فى فكر المراقب المطلع كما يتصور ويتخيل ، أو كما يشتهى ويأمل . . وذلك نظراً للأمية المتفشية فى العرب آنذاك ، بل وفى العالم كله والتى ذكرها القرآن الكريم فى أكثر من موضع . ومن هنا كان يصعب تماما على الكتاب والمؤرخين — والمشتغلين عموما بشئون الفلك والحساب ، أو المتعاملين مع وقائع الضبط والتسجيل ، او الاستنباط والتعليل — أن يقيسوا الأمر من جميع زواياه وأبعاده ، أو يذرعوه فى شتى مساحاته وأماده ، أو يدركوه على الوجه الصحيح ، الذى توصل وسيلته إلى غايته ، وتتضح نتيجته من خلال مقدمته ، وعبر الطريقه المجربة التى يمارسها أوفياء العلم والبحث وأمناء التاريخ والدرس . .

وعلى هذا ، وانطلاقا من مأتيات الماضى ، وتطلعات الآتى ، يمكننا أن نقيض المجهول المحجوب ، على المشاهد المرئى ، فى منظور الواقع ، ومرصد الممارسة الحقيقية مع ذاتية الدنيا ، وأكاديمية الحياة . .

والأمر كله لايعدو المعاناة والمقاساة والمشقة الباحثة الدارسة التى توصل فى النهاية إلى مايصبو إليه الإنسان من الإمساك . ولو بطرف الخيط — كى يصل من وراء ذلك إلى إدراك اليقين ، ومعايشة الصواب .

ويجيء الإسلام ، وتشرق ومضاته على العالم كله ، ومع مجيئه واشراقاته ، يجيء الإسلام ويشرق بالتالى على عمان مع الرجل الطيب الصالح ماذن بن عضوبة ، ويتمزق ملك كسرى أخيرا من عمان وتندحر الجيوش الفارسية فى مواجهة هؤلاء

الأشاوس العرب من الأزد المغاوير ، الذين حاربوهم أضرى حرب واشرسها بقيادة مالك بن فهم - كما سنفصل ذلك فى مكانه — حتى أخرجوهم منها إلى غير رجعة ...

الحميمة والوند:

وبدأت العروبة من ذلك التاريخ تحط رحالها ، وتدق أوتادها ، وتنشر أطنابها وتقيم سرادقاتها ، وتزرع خيامها فى تلك المنطقة العزيزة الكريمة — عمان — ، التى اختصها الله أرضا ، وطيب مناخها ، ونشر الأريج فى آفاقها ، وأعبق جوها . وزرع الأمن فى ربوعها ، وفضل بحرها على سائر البحار بما اختصه من مصائد السمك ومغاصات اللؤلؤ ، وجعل أهلها خير أناس الأرض ، أخلاقا وسلوكا ، وعقيدة وإيمانا .

ولقد نوه بذلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى أحاديثه الغراء . وشهد بها الخليفة الأول أبو بكر رضى الله عنه . وأكده بلغاء العرب على ومؤرخوهم اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ....

قال صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه ابن عمر — : « إنى لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان . على شاطىء البحر . الحجة منها خير من حجتين من غيرها ، ...

وقال صلوات الله وسلامه عليه أيضاً : « رحم الله أهل الغبيراء — عمان — آمنوا بى ولم يرونى » ...

تلك هى بعض الرؤى والتطلعات التى رآها كل من حاول دخول عمان أو الاقامة فيها ...

هذا إلى جانب ما تتمتع به طبيعة هذا البلد من مناخ طيب . وهواء رقيق . وجبال وأفلاج . وحيوانات ومراعى ، ورمال وأودية ، وبحر منفرد دون أبحر العالم جميعا بمغاصات اللؤلؤ والأحجار الكريمة . مما يلفت الأنظار . ويسترعى الخواطر والأبصار .

وهكذا ... وبعد هذه الانتصارات العظيمة . بدأت عمان — فى ثوبها الأنيـــق ، وفى حجمـــها الطبيعى الصحيح . وفى رونقها الشيق . وفى شـــكلها الشمولى الوضيئ المضيئ — تمـــارس عملها المنوط بها وتؤدى رسالتها فى خدمة الإسلام والعروبة على أرضها الثابتة . وفى أجوائها وآفاقها. بما وهبها الله من قوة . وبما شد به عزمها ، وقوى عزيمتها . وهيأها لتحمل الأمانة . والقيام بأمر الدين . وإفـاح الطريق أمام قنواته وأنابيبه ، وجسوره كى يصل نوره إلى كل مكان فوق جغرافية هذه الحياة ...

ووجد العمانيون أن دورهم لم — وان — يقف عند حـدود الجزيرة ، بل يجب أن يتعداها ويتخطاها إلى خارج الدائرة ، وإلى أبعد من الاصطلاحات الجغرافية ، والحدود المتعارف عليها . من خلال الرسوم البيانية التى يصنعها مهندسوا المساحات والحدود . والتى يحبذها ويدعو اليها المستعمرون والمغتصبون والدخلاء ...

عمان فى شرق أفريقيا .

إن عمان تميزت عن غيرها من حواضر العالم العربى ، بأن لها اليد الطولى . والباع القوية، فى انتزاع أسباب الحضارة والتقاط خيوط الكشف ، والفتوحات ولمبتها سريعا بين أصابعها . وشدها أو جذبها إلى مغناطيسها ، وفى أذرعتها ومجالها . وماعجزت أبدا عن أن تطول السماء. أو تصرت دون أن تجدل من نجومها وكواكبها أكاليل غار . أو تنظم من تاريخها وأمجادها قصائد مدح وآيات فخار ...

ومن هنا كانت عمان — بأهلها وأناسها — تشرق وتغرب وتشمل وتجنب منذ فجر التاريخ وحدائقه . فى بقاع العالم. وفوق خريطته، باحثة منقشة. تجرى وراء كل مايفيد الإنسانية أو يمتع العمانى هنا وهناك. .ذلك لأن عمان تعتقد تماما أنها جزء .

وجزء فعال جدا فى تركيبة الحياة ، وأن عليها دوراً هاما لابد أن تمارسه وتتعاطاه ، ثم تتعامل معه، بما يدفع بالنوع البشرى نحو تحقيق الهدف الذى من أجله خلقه الله .

وماخلقت عمان ، ولاكان لها هذا الوضع الاستراتيجى المتميز ومامنحها الله مامنح ، ولاأفاض عليها مما أفاض، ولا اختصها وحدها بهذه الجغرافية الأرضية والسماوية ، وماسرب إليها هذا المناخ البكر ، ولاجاملها بهذه النسمات الفواحة العذراء ، أقول : ماجعل الله عمان هكذا لتنغلق على نفسها ، أو تستأثر وحدها بخيرها ، أو تغض الطرف عن حاجات غيرها ، دون مشاركة الجار ، أو النظر إليه بعين الجدية والاعتبار ، مستشعرة فى هذا كله قول انقائل ـ وهو يدعو إلى الإيثارية ، وفناء الفرد فى المجموع — :

فلا هطلت على ولا بأرضى — سحائب ليس تنتظم البلادا.

هذا إلى جانب الطموحات الشريفة الواعية التى يتسم بها العمانى عموما ، والمشاركة المجردة المنزهة التى يحث عليها الإسلام والسلوك الإنسانى الحريص الذى يتراءى دائما أمام — وفى خيال — أهل عمان جميعا من ملاحظة حتمية الاقتداء بهم ، وسلوك نهجهم ، والغزل على منوالهم ، فكانوا لذلك — ومن أجل ذلك — أسوة وقدوة ، وائمة هداة فى الدنيا والدين ، ولقد كان لهم فضل السبق فى نشر الدعوة ، وفى تسليط الأضـــواء الإسلامية على الدنيا ، ماوسعهم النشر والتسليط فى أى زمان ، وفى أى مكان ، لاسيما فى القارة السوداء، وفى شرق أفريقيا بالذات ، فإن مما يحفظه التاريخ وتعيه ذاكرته إن العوامل الجغرافية والبشرية ، قد صنعت من عمان — قديما وحديثا — بلدا ذات قيمة استراتيجية وحضارية — كما سبق القول — حتى منذ أقدم العصور ، فالبحر يحيط بها من أجزائها الثلاثة ، ورمال الربع الخالى الناعمة تلفها ، وتلتف بجزئها الرابع الذى يفصلها عن بقية شبه الجزيرة العربية ، ويقوم التركيب السكانى فيها على أساس قبلى صرف ، منذ أن بدأت هجرة القبائل العربية إلى عمان فى فترة مبكرة حوالى القرن العاشر قبل الميلاد ، وقد استمرت هذه الهجرات —

ومن أمم مختلفة — فى التدفق الزاحف على إمتداد العشرة قرون التالية أو أكثر منها بعد ذلك .

كانتا واحدة:

حتى ليذكر خبراء الجيولوجيا ، وعلماء الأرض ، والمتخصصون فى طبيعتها وطبقاتها: أن شرق أفريقيا والجزيرة كانتا أرضا واحدة متصلة ، وقد انفصلتا فى العصور السحيقة العميقة بفعل الزلازل والبراكين والهزات إلى ما تراهما عليه اليوم وأن هذا كان شأن زنجبار أيضا هو الآخر .. أو شأن العرب الضاربين فى أعماق الصحراء معها ، وذلك كنتيجة للغضبات الطبيعية ، والعوامل أو الثورات المناخية المتفلتة من الهزات الأرضية ، والتشققات العنيدة المتمردة فى جسم البيئة ، كما يقرر ذلك علماء الإجتماع ، وكما يقررون ويؤكدون — فى أكثر من بحث أو مقولة — بأن الصحراء تعتبر من البيئات الطاردة ، التى يهاجر سكانها إلى ما حولها من الأقاليم ذات الخضرة والماء ، والخصب والنماء ، ومن هنا — وكما حللت وعللت سابقا من الايثارية العمانية ، والاستعجال الخير فى غرس بذور العروبة ، وباسقات الاسلام وتعميق الأصالة العربية فوق خريطة العالم وفى حقول وعقول أبنائه — كانت هجرة العمانيين إلى شرق أفريقيا ، واستيطانهم لعديد من الجهات والجبهات الداخلية ، والجيوب العميقة البعيدة فى القارة الأفريقية .

ولقد احتوى القصص العربى ، والأساطير النادرة صوراً عديدة ، وألواناً شتى من نشاط العرب فى هذه القارة السمراء ، وبالأخص أهل عمان ومغامريها من الرواد والملاح والبحارة والمكتشفين حول النيل ، ومنابعه وتوابعه ، وبحوره وبحيراته ، وهضاب أفريقيا وتضاريسها ، والأدغال والاحراش والغابات التى تحتوى الكثير من الخيرات ، والتى هى فى حاجة إلى من ينفض بكارتها ، ويقف على أسرارها وأخبارها .

هم لاغيرهم :

هذا، إلى جانب المعارف والفنون والنوادر التى اختص الله بها أبناء عمان من هندسة البناء وزخرفة الهياكل ، والتشييد والعمارة ، والتفنن فى الزراعة والملاحة إلى غير ذلك من العبقريات التى إختبأت بذورها وجذورها جنينة سوية فى رحم البيئة العمانية ، والتى لم تكد تستكمل مدة الحمل ، حتى يجيئها المخاض دائما فى شكل نوعية حضارية يوزعها العمانيون بين ربوع هذه القارة الحبيبة، فهم أساتذة ومعلمون، فوق أنهم منتجعون ومهاجرون طلبا للرزق ، وارتياداً لمصارح الخضوبة والخير والراحة .

وقبل ذلك أو بعده — وفى ظل الإسلام — فإن الحجاج بن يوسف الثقفى عامل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان على العراق وعمان ، لما ضاق ذرعا بابنى عبد بن الجلندى سعيد وسليمان اللذين هزماه فى أكثر من معركة ، أخرج لهما جيشا جرارا كان قوامه أكثر من أربعين ألفا بقيادة بجاعة بن شعوة المزنى ، مما اضطرهما إلى أن يحملا دراريهما ومن لحقهما من الاتباع والأشياع — وقد آثرا السلامة — أن يخرجا فى رحلة مهاجرة إلى شرق أفريقيا ، وفى زنجبار بالذات . . وقد تخطيا الأراضى العربية والبحار الواسعة ، والكاداء الشاقة الشرسة والمفازات الشاسعة الرهيبة ..

أحراش وأدغال :

وقد ذكر العلامة الأسبانى، هنرى كراى ، فى كتابه، أدغال وأحراش، — الذى ألفه فى العقد الأول من القرن العشرين — قصة هجرة العمانيين إلى الشرق الأفريقى ، وقصدهم إلى زنجبار، وأكد أن ذلك تم فى القرن الأول من الميلاد، وانه لم يكن من فراغ ، أو ينشأ من لاشىء، ثم ألقى بعض الظلال، وساق بعض الأضواء والمعارف التاريخية التى

اعتقادها عن سبقه من المشتغلين بأمر التأليف فى التاريخ من الأوربيين وغيرهم ، ولا يضير المؤرخ أن يعتمد بعض الشىء أو كل الشىء على السابقين له فى الدرب ، بقطع النظر عن ملتهم ومعتقدهم ، ضرورة إن الانسان — أيا كان ذلك الانسان — والكون ، والحياة التى يعيشها بأحداثها ، وموقعه منها . . . تاريخ واحد متصل الحلقات ، متسلسل الربط ، لايعييه أن يحكم على الأشياء فى منابتها الأولى ، أو بعيدا عنها بعدا لايقطع علاقته بها ، أو ينسيه تدوينها وتسجيلها فى إطار الواقع والصدق . والحيدة والحق . . بيد أن المطلع على الكتابات التى تناولت تاريخ عمان يجدها فى مجموعها أو فى جميعها قد تناولت الأرضية الطبيعية ، والمنطلقات التى إبتدأ منها المشوار العمانى شوطه ورحلته إلى القارة الافريقية . وإن ذلك كان فعلا — كما تشير المراجع والمخطوطات — قبل الميلاد ، وبذلك تتضح الرؤية التى نحن بصددها فى ربط العلاقة بين عمان وأفريقيا ، وأن ذلك كانت له خلفية عريضة متينة . . . وإن ظل تاريخ زنجبار والوجود العمانى بها ، وفى شرق أفريقيا ، غير واضح المعالم ، بحيث لا يجد المفكر العربى فيه زادا متكاملا الفيتامينات والعناصر ، مايقنع الغلة ، ويقطع غائلة الجوع ، ويزيح الستار عن ما انبهم عليه ، أو استغلق دونه ، إلا أن ذلك حسبنا ويكفينا . . إذ لم يكن من هم العرب العمانيين الذين هاجروا إلى هذه البلاد أن يدونوا تواريخهم . أو يسجلوا أعمالهم ونشاطاتهم . أو يقيموا الاحتفالات والاحتفاءات حول اكتشافاتهم وفتوحاتهم ، ولم يكن فى استطاعتهم — كذلك — أن يخلفوا لأبنائهم ولمن جاء بعدهم إلا الأقاصيص والحكايات ، والا الصفحات المسطورة القليلة ، التى عادة ما يتوارثها الخلف عن السلف ، والتى تتعرض لما يتعرض له فى الغالب كل مناخ موروث من سلب ونهب ، وفساد وضياع . .

دين وعروبة :

وعموما فلقد أزاح شكيب أرسلان — المؤرخ العربى — فى كتابه « حاضر

العالم الاسلامى ، الغموض عن كثير من التساؤلات والاستفسارات التى تعترض طريق البحث فى هذا الموضوع ، حيث قرر فى أكثر من موضع : إن قيام العلاقات بين عمان وأفريقيا ، واتصالهما المباشر بعضهما ببعض، كان من أجل التجارة — التى قام فيها العمانيون غيرهم — أولا، ومن أجل التبشير بالدعوة الاسلامية — فيما بعد — ثانيا، ثم إظهار الابداع الفنى والتراث العربى — الذى يجيده العمانيون — ثالثا وأخيراً، على مسرح الفنون والمعارف الانسانية ، والثقافة التى أهلت القارة لمفاخرة ومطاولة أعرق القارات حضارة ورقيا فوق خريطة الدنيا ومسرح الحياة . . . وقد ذكر ابن بطوطة — فى رحلاته — : أن الذى اكتشف بلاد السودان، ونهر النيجر، ومنابع النيل، وهضاب السنغال، وسواحل شرق أفريقيا ، وأعماق زنجبار، وتحسس أحشاء القارة السوداء عن آخرها، إنما هى القبائل العمانية التى سبقت الى هناك فى هجرات واستيطان، وشيدوا الكثير من مراكز التجارة، وبنوا المستوطنات، واتخذوا مقار الدعوة الاسلامية ، وشقوا الترع ، وأقاموا المساجد ونشروا سلطانهم ونعيمهم من فوق منابر الرأى ، وفى محافل الفكر والذن، وكانت لهم الأذرع الطويلة التى تمس المستوطنات الدربية، وتطاول مؤسساتها فى الكونغو، وكينيا ، وتنجانيقا ، والصومال ، وموزنبيق ، والجزيرة الخضراء ، وزنجبار ومدغشقر والسودان، وغير ذلك من هذه القارة السوداء العذراء .

وقد امتزج العرب العمانيون بسكان هذه البلاد ، وانعقدت بينهم وبين السلاطين والملوك الأفارقة صلات مودة ، وحسن جوار ، حتى لقد أبقى العمانيون لهؤلاء الملوك والسلاطين نفوذهم وسلطانهم على رعاياهم ومواطنيهم فى حدود الشرع والتقاليد والعادات المؤدبة المهذبة ، إذ أن المذهب الإباضى الذى يتمذهب به أهل عمان ، والروح العمانية على وجه الاطلاق ، لا تعرف تفاضلا لجنس أو للون ، وإنما التفاضل بالتقوى والعمل الصالح ، كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ولعل أبرز مثل لذلك هو السلطان

« منى مكوا » — وهو من السلاطين الوطنيين الذين حكموا زنجبار ، وسادوا أهلها قبل الوجود العمانى هناك — فقد ناصفه السيد سعيد بن سلطان الحكم فى زنجبار ، وأنصفه فيها ، فكان حاكماً يسود رعاياه ، وله قدرته بينهم ، وسلطانه عليهم ، وإلى جانب هذا ، فلم يتعرض العمانيون أبداً لأهالى البلاد بشىء من الأذى أو القهر ، ولم يفرضوا عليهم ذلا أو إمتهاناً ، أو إستعباداً أو استرقاقاً ، بل إنهم عملوا جاهدين على تخليصهم من ربقة العبودية التى ربطها بأعناقهم أبناء جنسهم ، واستعرقوهم لنزواتهم ، وصيروهم كالأنعام أو اضل سبيلا ، ولم تكتف الإنسانية العمانية بمعاملة هؤلاء الخلق من الآدميين هكذا فقط ، بل راح العمانيون يعلمونهم الحرف والصناعات ، والفلاحة والزراعة ، وأضفوا عليهم مما أفاضه الله الشىء الكثير ، وأشركوهم معهم فى شئون العيش ، وأعطوهم الأملاك والمزارع يتبايعونها ويتوارثونها فى حرية تامة ، وتملك صحيح ، وليس هذا فحسب ، بل عملوا على فك رقاب هؤلاء الزنوج ، وتحرير أعناقهم من أسباب الرق ، ودواعى العبودية ، وحببوا لهم الإقامة بين ظهرانيهم والعيش معهم ، وعلموهم آداب الإسلام ، وثقفوهم بتعاليمه ، وحرروهم من شوائب الكفر ، وأدران الشرك ، وأوزار الوثنية ، والوقوع على أقدام السادة والطواغيت ، وعرفوهم طريق الله الحق ، وأفهموهم أن ليس لهم رباً سواه ، وأحسنوا معاملتهم معهم ، وتزوجوا منهم ، فصارت بعض نسائهم أمهات السادة النبلاء ، والعلماء الأفاضل الأجلاء .

• إثنان فى مسيرة :

وهكذا أصبح الزنجى الإفريقى شريك العمانى العربى فى كل شىء حتى فى التناكح والتوارث ، والعقيدة ، والدين ، كما أصبح — كذلك — هذا الزنجى قدوة وإماما فى أمور الدنيا وشئون الحياة ، بعد أن صيره الله إلى قوم آمنوا بربهم ، وعبدوه على شريعة نبيهم ، وتمذهبوا فى سلوكهم بمذهب ابن أباض .. — وأعنى بهؤلاء القوم أهل عمان الأوفياء الأصفياء — ولما توفى السيد سعيد بن سلطان

سنة ١٨٥١ ميلادية، دخل كل من شرق إفريقيا وزنجبار فى عصر جديد ، فقد انفصلت زنجبار عن مسقط أيام حكم السيد ماجد أكبر أبناء السيد سعيد ، وتوالى على حكم زنجبار السيد برغش بن سعيد سنة ١٢٨٧ هجرية ، ثم السيد خليفة بن سعيد سنة ١٣٠٥ هـ ، ثم السيد على بن سعيد سنة ١٣٠٧هـ ، ثم السيد حمد بن ثوينى بن سعيد سنة ١٣١٠هـ ، ثم السيد حمودة بن محمد بن سعيد سنة ١٣١٤هـ ، ثم السيد على بن حمودة سنة ١٣٢٠ هـ ، ثم كان عهد دولة السلطان خليفة بن حارب ابن ثوينى بن سعيد سنة ١٣٢٩ هـ — ١٩١١ — الذى تعتبر أيام حكمه هى العصر الذهبى، والتاج المرصع فوق مفرق زنجبار ، ثم السيد عبدالله بن خليفة سنة ١٩٦٠م وفى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٣م أعلن استقلال زنجبار ، وانحسر الحكم العمانى عنها ، وعن شرق أفريقيا بعد أن خلف وراءه آثاره الوضاءة فى زنجبار خاصة وفى شرق أفريقيا على وجه العموم ، ..

ومما تركت عمان بصماتها وتأثيرها على الشعوب والأمم التى نزحت إليها ودخلتها قبل الميلاد بعشرات الآلاف من السنين ، تركت كذلك عمان بصماتها وملامحها الشخصية مع الميلاد أو قبله بقليل على الشعوب والأمم التى عاشرتها وامتزجت بها، وهاجرت إليها ، وأعنى بها أمم وشعوب القارة الأفريقية ، وزنجبار، وعباسة بالذات ..

وهكذا كانت عمان — وما زالت ، ولم تزل ، وان تزال — مصدراً ثراً ، ومعيناً فياضاً ، ومنبعاً سلسلا صافياً ، — قبلا وبعداً — للحضارة الإنسانية، والملامسات العبقرية ، والمعارف الفنية ، والإبداعات الجمالية ، والإنجازات الشامخة لعملاقة ، التى زرعتها يد القدرة ، واستنبتتها مشيئة الله وعنايته فى حقول عمان ، وفى عقول العمانيين جميعاً ، والتى وسعت الكون ودفعت به خطوات واسعة واثبة نحو التقدم والحضارة ، وإلى الرقى والأمام ...

رواد وأساتذة :

ويقرر العلامة الفيروزابادى فى « القاموس المحيط » والمقريزى فى « امتاع الاسماع » : ان العمانيين هم أول من اكتشفوا وسط افريقيا ، وقد توغلوا فى أحراشها وأدغالها. وكان لهم الفضل الأكبر فى نشر الدين الإسلامى هناك . وقد رادوها منذ القرن الأول للمسيح عليه السلام . وكان اتصالهم بها عن طريق التجارة ، وانهم أول من عمروها بالقرنفل . والنارجيل والبرتقال . وزرعوا فيها شجرة « الدوريات » .

ويؤكد ابن خلكان فى « وفيات الاعيان » : انأهل عمان هم أول من نقلوا خبراتهم الزراعية إلى أفريقيا الشرقية كما نقلوا إليها فن العمارة والهندسة. وبنوا فيها القصور البيضاء الناصعة التى لا تزال شاهدة على الحضارة العمانية حتى اليوم .

وإن المؤرخين والكتاب ليشدون اذهان العالم . ويفتحون عيونه وجفونه إلى ما خلفه العمانيون فى أفريقيا من حضارات وإنجازات . وفى ذلك يقول المؤرخ الفرنسى « بايرليونيه » :

لقد امتد الوجود العربى العمانى فى داخل القارة الافريقية ، حتى وصل إلى بلاد الجابون ، على المحيط الأطلسى واستقر العمانيون فى أنحاء كثيرة متفرقة من القارة السمراء . وكانت لهم فيها نشاطات تجارية ومعمارية . ولهم أيضا صلات وطيدة بالسلاطين الوطنيين وقد أفاد العمانيون السياح الأجانب فى هذه القارة بمعلوماتهم القيمة وخبراتهم الواسعة . وقدموا لهم الكثير من المساعدات والمعونات التى ساعدتهم على إنجاز أعمالهم الكشفية والسياحية . وكانت لهم المراكز الثقافية والتجارية عبر القارة كلها . وكانت لهم — بالذات — قوات ، وسلطات متصلة من الصومال إلى مدغشقر منذ مطلع العصر الميلادى ، بل أن بعض المؤرخين العرب من أمثال ابن بطوطة قد

زار سواحل أفريقيا ، وتوغل فى بطونها ، ودخل جيوبها وأحشاءها ووصف بدقة المصور الفوتوغرافى ما رآه هناك من الآثار العمانية القديمة المندثرة ، من المساجد والمعابد ، والقصور والقبور ، واللمسات الحضارية الرائعة ، وكتب يقول : إن عرب عمان هم فى الحقيقة قد أحرزوا الجزر والسواحل والأعماق من شرق أفريقيا ، وجاء البرتغاليون - كعادة الدخلاء دائماً - فانتزعوها منهم عام ١٥٠٣ ميلادية ، ثم سرعان ما استردها العمانيون ثانية بقوة السياسة والسيف فى عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربى سنة ١٦٩٤ ميلادية ، وما كاد القرن السابع عشر ينتهى حتى تمكن الإمام العمانى سلطان بن سيف من طرد البرتغاليين جميعاً ، من كل أنحاء أفريقيا ، وبالأخص من « زنجبار » ومن « مباسة » ومن « بمبار » ومن « كلوة » ومن كل مطرح أو مكان رموا أثقالهم فيه.

الأسطورة والبطل :

إن عمان بلد عربى مسلم ، له أصالته العريقة ، وتراثه الضخم ، وأمجاده القديمة الضاربة فى أعماق الحياة ، وضمير الانسانية ، ووجدان العروبة ، وهو يعبر فى مجموعه عن صفحات مشرقات فى تاريخ الأمة العربية قبل الإسلام وفى ظله . . .

وإذا كان التاريخ العمانى قد تعرض فى بعض الأحايين ، لبعض الإهمال أو النسيان فإنما كان مرد ذلك كله إلى بعض المؤرخين من غير ابناء البلاد و كتاباتهم المجنحة المغرضة ، والذين سلطوا فيها الأضواء على بعض الدول الإسلامية فقط ، وعلى بعض التيارات السياسية بالذات دون تعميم التاريخ و تشميله لكل الدول فى كل المواقف والأحداث .

ويلاحظ تماما - كما يقرر ذلك ابن المجاور الشيبانى فى كتابه « تاريخ

المستبصر ، والبرادى فى « الجوهرة المنتقاة » ـ مدى اعتزاز أهل عمان بجذورهم الحضارية القديمة ، وتاريخهم المجيد العريق ، واصالتهم الراسخة المتينة ، على مدى آلاف القرون ، ومن خلال الحوادث الضخمة ، وعبر المواقف العملاقة التى مارستها وتعاملت معها عمان ، حيث يحرصون على الإشادة أو الإشارة ـ مثلا ـ إلى الأيام العشرة التى أقامها نبى الله داود عليه السلام بين ظهرانيهم وفى عمانهم ، وأنه حفر هناك أكثر من خمسة عشر ألف نهر أو فلج ، هذا . . إلى جانب اعتزازهم بالقائد البطل الأزدى القومى مالك بن فهم ، فهو عند العمانيين أشبه بالأبطال الأسطوريين الذين يعتز بهم كثير من الأمم والشعوب ، ويعتبرونهم المؤسسين الأوائل لهذه الأمة ، أو ذلك الشعب ، ضرورة إن مالك ابن فهم هو البطل العربى الذى طرد الفرس من عمان ، وبالتالى فإنه المؤسس الأول لأمة عمان ، وشعبها العربى الأصيل ، وسيرته ـ عند أهل عمان ـ تتصف بكل ما تتصف به سير الأبطال فى الملاحم الشعبية ، من مثالية ، وسمو ، وأريحية ، وكرم ، وبطولة ، وإنسانية ، فهو القائد الشجاع الذى لا يلين أو يضعف أمام العدو ، وهو المحارب الباسل الذى يتقدم الصفوف ، ويقود الزحوف دفاعا عن الأرض والعرض ، وهو الفارس الذى يتحلى بشمائل الفروسية العربية من مروءة وشهامة ونجدة .

. . وإن الحقائق التاريخية تؤكد ـ فى بسط واطناب ـ فضائل العرب ، والعمانيين منهم على وجه الخصوص ، كما تسلط الأضواء الباهرة على مواقفهم الشجاعة النبيلة فى تمسكهم بما اشتهر به أهل البادية من غيرة على الشرف واحترام لأعراض الناس ، وأسراع إلى نجدة الملهوف ، ويبدو هذا واضحا جليا فى خروج سليمة بن مالك بن فهم إلى بلاد الفرس ، وكيف ساعدهم على الخلاص من ملكهم الماجن الفاسق « دارا » الذى دأب على انتهاك أعراضهم والعبث بشرفهم .

مجابهة ومواجهـــة :

ويبدو جيدا — فى هذا المجال — أن المواجهة التى تمت بين العرب . والعجم على جانبى الخليج بفعل الأقدار والمصادفات ، جعلت عرب عمان بالذات — دون عرب الجزيرة كلها — أكثر اعتدادا بعروبتهم ، وتعصبا لها . .

ومن هنا تحملوا — وحدهم — العبء الثقيل الجسيم الضخم الملقى على عاتق العروبة ، والذى كان يجب على العرب — كل العرب — أن يتحملوه أو يشاركوا فى حمله ، وكأن العمانيين — وما زالوا وسيظلون كذلك — أكثر العرب تمسكا بفضائل العروبة ، وروح الشهامة والمروءة ، والذب عن الشرف والعرض ، والدفاع عن القوم والأرض . .

وهذه — ولا شك — هى الصورة الأخاذة التى تبدو على طرفى نقيض مع ما كان عليه المجتمع الفارسى — آنذاك وهو يقيم على الجانب الآخر للخليج — والذى نفشت فيه المثالب والمسالب ، واللامبالاة والنواقص ، والتسيبات والانحرافات، والفوضى والديماجوجية، التى خرفى مستنقعاتها الفرس — غارقين — إلى الأذقان . . . أما متى ؟ وكيف دخل هذا البطل الأزدى العربى أرض عمان ؟ وما مدى اقتراب ذلك أو بعده من عهد المسيح عليه السلام ؟ وما هى المسالك والدروب التى سلكها ومشى فيها مالك بن فهم للوصول إلى غايته ، وتطهير عمان من هؤلاء الأنجاس الأرجاس عبدة الكواكب والنار من المجوس الفرس، والكفار ، فهذا ما سيحدثنـــا عنـــه التاريخ ، وتتناقل أخباره القصاص والسمار .

مع مالك بن فهم :

إن دخول مالك بن فهم عمان كان قبـــل الإسلام بألفى عام . وذلك

يقتضى سبقه على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقرون ، وإذا كان هذا قبل الإسلام بألفى عام ، وقد علمنا أن عمران بن عامر نزل عمان قبل مالك ابن فهم بمدة طويلة ، وكان قد سبقه إليها أيضاً عمان بن قحطان ، فكان بين عمان ابن قحطان وعمران بن عامر قرون متطاولة ، وبين عمران بن عامر ومالك بن فهم أيضاً كذلك ، فغير مستنكر إذا قيل: كان بين ذلك وبين الإسلام ألفا عام، فيكون القحطانيون قد تولوا عمان ثلاث مرات ، وهذا قريب من الصحة بحسب استقراء التاريخ ، ولما قضى الله على مأرب بالخراب ، وقضى على أهلها بالانتقال والذهاب ، وأن يتفرقوا فى نواحى الأرض لحكمة أرادها الله عز وجل وقضى بها فى محكم الكتاب ، أرسل الله على مأرب سيل العرم ، فاجتاح السد الذى بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فهلكت البلاد وتفرقت العباد ، وخرجت الرواد ترتاد لهم الخصب، فكان بعضهم قد خرج إلى مكة ، وبعضهم إلى المدينة ، وبعضهم إلى الشام ، وبعضهم إلى السراة ، ثم إلى عمان .

وهكذا كان مالك بن فهم — على ما يظهر — آخر من خرج منهم إلى عمان ، لأن قرناءه الأجلاء — الذين سبق لهم العلم الأكيد بخراب السد ، ورأوا الآيات الدالة على ذلك ، كما اشتهر من أمر كاهنتهم وطريفة، — قد خرجوا إلى البلاد، وتوطنوا فيها آهلين ، وعاشوا عيداً طويلا ، ولعل مالكا كان يفضل المقام ببلاده مهما كان الحال ، حتى إذا تحقق الأمر ، ورأى ضرورة الخروج خرج ، ولا بد أن يكون له سابق علم بعمان ، من حيث إن أقيال الأزد وعباهلتها الذين قطنوا عمان فى تلك العهود المشار إليها ، هم من قومه ، وبنى جلدته ، فلذلك — على ما يظهر — أختار مالك عمان ، لا سيما أن عمران وآله حلوا بالشام .

تفرقت بهم الطريق :

قال فى المنتخب — إذ يذكر تفرق الأزد — : ومنهم من سار إلى السراة ، ومنهم من سرا

إلى مضر ، ومنهم من سار إلى العراق ، ومنهم من سار إلى عمان ، قال : فأما من سكن عمان من الأزد فيحمد ، والحدان ، ومالك ، — يعني بن فهم — قال: ومن الأزد الحجر ، ولهب ، ونارة ، وعائذ ، وبارق ، وسوام ، وحارثة ، وسنجار ، وعلي ، وعمان، إلى آخره ، فدل ذلك على أن قبيلة من الأزد تدعى عمان، قد سكنت عمان في جملة من سكنها من الأزد ، فلعل اسمها أطلق على عمان ، فشاع ذلك على القطر كله ساحلياً وداخلياً ، أما يحمد فهو بن حمي بن الأزد ، وأما الحدان ، فهو ابن شمس فرع أزدي ، وأما مالك ، فهو معروف ، وأما الحجر ، فليس من الأزد ، وأما لهب ونـــارة وعائذ وبارق ، فلم يبق منهم أحد بعمان — فيما علمنا — ولعلهم دخلوا في القبائل الأخرى ، وكذلك سوام ، وحارثة لم تعرف عنهم شيئاً ، وكذلك سنجار .

وجاء في تحفة الأعيان : أن سنجار قصبة عمان ، والمراد بها صحار ، والله أعلم بما قاله صاحب المنتخب . وكذلك علي، وعمان ، أما إن كان أراد بهم بني علي، فهم موجودون بعمان ، أما بنو عمان فلا .

قال الإمام السالمي — نقلا عن المروج للمسعودي — : إن مالكا سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمر بن عامر مزيقيا ، فسار بنو جفنة نحو الشام ، وانفصل مالك نحو العراق كما سبق . وبقي عند المضريين بالعراق ملكا مكرماً محترما معظما . إلا أنه كان مملكا ولم يكن ملـكا . كما هي العادة عند الملوك ، واستمر به الحال عهداً غير يسير .

وقال أبو حاتم السجستاني — عن أبي عبيدة عن أبي اليقظان — : أن سبب خروج مالك بن فهم عن قومه بعد تفرقهم في البلاد حين أخرجهم سيل العرم من جنبي مأرب ، ونزلوا بالسراة ، أن راعياً لمالك بن فهم خرج بغنم — وكان في طريقهم كلبة — وفي رواية ثانية ، ففيها كلب عقور لغلام من دوس ، فشد

الكلب على راعى مالك ، فرماه الراعى بسهم فقتله ، فتعرض صاحب الكلب لراعى مالك، فخرج مالك من السراة هو ومن أطاعه من قومه ، وذلك لان دوسا من أعياص مالك الأقربين إليه ، فخشى الفتنة بينهم ،وخرج مالك يريد عمان فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته من الأزد ، ومن أطاعه واتبعه من أحياء قضاعة ، وسار متوجها إلى عمان ، وقد اعتزل عنهم من قبل ذلك ولده جذيمة الأبرش بمن صحبه إلى العراق من سائر أبطال الأزد .

حنين وشوق :

قال أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبى : أخبرنى ابن القطامى، قال : لما خرج مالك بن فهم من السراة يريد عمان وتوسط الطريق ، حنت إبله إلى مراعيها ، وأقبلت تلتفت نحو السراة وتردد الحنين ، والإبل دأبها ذلك . لانها تألف المواطن ، وتستوطن الأماكن دون سائر الحيوان ، وعند ذلك أهاجت حميظة مالك فأنشد شعراً يهز الوجدان ، ويهيج الخواطر . وقال التاريخ: لقد سار مالك من فوره يريد عمان ، فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من قبائل اليمن ، إلا سالموه ، ووادعوه لمنعته وكثرة عشيرته .

ودل ذلك على أن المسير كان على الإبل عن طريق البر . وانظر من أين يدخل مالك عمان ؟ قال التاريخ: ثم سار مالك فى مسيره ذلك حتى نزل على برهوت وهو واد بحضر موت . فلبث فيه ريثما يستريح فوجه قصده إلى عمان، فبلغه أن بعمان جماعة الفرس . وهم أهلها . وساكنوها . ولابد أن تقع بينـــه . وبينهم منافرات . ومنازعات . فاستعرض رجاله . فاذا هم زهاء الستة آلاف فارس وراجل . فرأى أنهم يمثلون كتائب تغنى عند الحاجة عن كثير من الجيوش لاسباب لاتخفى على الفطن فأقبل بهم يريد عمان على الرضى . والسخط . وقد جعل على مقدمته هناة بن مالك، وفراهيد بن مالك ــ أى ولديه ــ وكان هذان الإبنان النجيبان

عنده من أنجب أولاده . فجعلهما فى ألفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها . ثم سار يؤم عمان . حتى أنصب إلى الشحر . فتخلفت عنه هناك جماعات مهرة بن حيدان ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير .

وفى رواية :

قال الكلبى : كان أول من خرج من العرب من تهامة ، مالك بن فهم الأزدى ، وعمرو وابنا فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير ، فنزلت الشحر ، وتقدم مالك بن فهم فى قبائل الأزد ومن معه من أحياء قضاعة إلى أرض عمان ، فوجد بعمان أقوام الفرس من جهة الملك دارا ابن دارا بن بهمن بن اسفنديار ، وهم يومئذ أهلها وسكانها ، وكان المتقدم عليهم المرزبان عامل ملك فارس آنذاك ، فعند ذلك أنزل مالك بن فهم من كان معه من الأولاد والنساء والأثقال إلى جانب تلهات استعدادا لمعركة ستقوم حتما بينه وبين هؤلاء الفرس ..

ويؤكد إتجاهات مالك فى مسيرته — وتخطيطاته التى تفرعت عن هذه المسيرة — المسعودى أبو الحسن فى كتابه « التنبيه والاشراف » إذ يقول .

ثم إن مالك لما تحقق من قيام الفرس عليه وأنهم غير تاركيه وتحقق ذلك يقينا بعدما كان يظنه ، أثبت دعائم استقراره ، وقرر فى نفسه عدم الخروج مهما كانت الحال ولا بد من الصراع بينه وبين القوم ، ومن هنا رتب أعماله ونظم رجاله ، ولم ينظر إلى الفرس إلا نظرة النهم للأكل ، وقرر أن يحتسيهم إحتساء السم ، فاما شفاء وإما قضاء ، وعلى العز يحيا العربى أو يموت ، وكان معسكر مالك بن فهم وقومه بواحة منح فى قلب عمان — وهو الذى حفر بها الفلج المعروف بفلج مالك — والفرس

إذ ذاك بالساحل من عمان ومعسكرهم بصحار — عاصمة عمان وخزانة الشرق ولما رأت الفرس أن لابد لها من حرب مالك بن فهم ، قامت فى عدها وعديدها ، نفخت فى أبواقها ، ونادت لحشدها ، وضربت طبولها — وجاء جيشها الضخم الكامل فى تعبيته ، الشديد الشكيمة فى صرامته — حنقاً على العرب الرابض فى قلب عمان ويقصدون به مالك بن فهم ، وصال المرزبان وجال ، وأمر أن ينفخ فى البوق الذى يؤذن فيه للحرب ، وركب هو فى جنوده وعساكره ، وخرج من صحار فى عسكر ضخم حتى ليقال: إن عسكره كان سبعين ألفاً ، وقيل تسعين ألفاً ، وأخرج معه الفيلة ، وكان الفيل الواحد فى الحرب يعدل ألف محارب ، وتوجه المرزبان لإخراج مالك من عمان ، وكان مالك بن فهم فى جوف عمان اسما ومعنى ، فخرج المرزبان إليه وعسكر بصحراء سلوت — بالقرب من الجبل الأخضر — ، وبلغ ذلك مالك ابن فهم فركب ومن معه وكانوا فى زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، وعلى مقدمته البطل هناءة بن مالك فى ألفى فارس من صناديد الازد وفرسانها ، وأقبل فى تلك الهيئة حتى أتى صحراء سلوت وعسكر بإزاء عسكر المرزبان فمكثوا يومهم ذلك والروع ملء القلوب ، والشنشنة التعصبية تشتد بين الفريقين وانتصر من الله ، ولم يقع بينهم ذلك اليوم حرب ، ثم بات الفريقان يعبئان قومهما وينظمان جندهما ، وإذا بجند مالك بن فهم بالنسبة إلى جيش عدوه قليل العدد إلا أنه قوى العزيمة فكتبوا كتائبهم وجهزوا جهاز الحرب .

وأوقف مالك بن فهم رجاله فى مواقفهم ، وعهد إليهم بأوامره ، وكان هناءة ابن مالك على الميمنة وفراهيد بن مالك على الميسرة .

وبات المرزبان أيضاً يعبىء جيشه ويرتبه على نظام الفرس فى ذلك الوقت . ولما أصبحوا فى اليوم الثانى واستعدوا للقتال ، وتأهب كل واحد من الفريقين لقتال عدوه ، قام مالك بن فهم ، فظاهر بين درعين ، ولبس عليهما غلالة حمراء ، ولبس على رأسه قطعة حديد تكون وقاية من ضرب السيوف وطعن السهام والرماح ،

وغطى عليها بعمامة صفراء ، وركب جوادا له أبلق ، ثم ركب معه أولاده على تلك التعبئة ، وقد تقنعوا بالدروع والجواشن ، وكذلك فعل أبطال الأزد الذين معه ، والبيض على رءوسهم ، فلا يرى الناظر إلا حدق العيون تلمع كالنجوم .

فلما توافوا للحرب خطب مالك بن فهم فى رجاله خطبة الحرب ودعاهم دعوة القتال وحرضهم تحريض المستميت وجعل يطوف عليهم راية راية وكتيبة كتيبة وهو يقول فى خطبته : يامعشر الأزد يا أهل النجدة والحفاظ دافعوا عن أحسابكم ، وذبوا عن مآثر آبائكم وقاتلوا عدوكم وناصحوا ملككم وسلطانكم فإنكم إن انكسرتم وهزمتم اتبعتكم العجم فى كافة جنودكم فاختطفوكم بين كل حجر ومدر وباد عنكم ملككم وزال عزكم وسلطانكم فوطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والجلد فإن هذا اليوم له مابعده .

وهاجت المعركة :

ويستعرض المؤرخ اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب بن واضح هذه الموقعة بدقة المصور الفوتوغرافى المستوعب الحريص فيقول :

ولما رأى المرزبان الهيئة العربية حوله مستعدة لقتاله زحف بعسكره وجميع قواده وجعل الفيلة أمامه ، وأقبل نحو مالك بن فهم وأصحابه ، ومالك يحرض جنوده ويقول لهم : يامعشر فرسان الأزد ، احملوا معى فداكم أبى وأمى على هذه الفيلة فما كتفوها بأسلتكم وسيوفكم فإنها قوتهم القوية التى يعولون عليها وجنتهم التى يستترون بها ، ثم حمل مالك بن فهم — وحملت أبطاله معه — حملة عربية مملوءة حماسا وشدة ، ورموا الفيلة بالرماح والسهام ، ثم أردفوها بالسيوف ، فولت الفيلة راجعة قافلة على عسكر المرزبان ، فوطئت منهم خلقاً كثيراً .

ثم حمل مالك فى كافة رجاله الصناديد وأصحابه الأبطال على المرزبان وأصحابه فانتقضت تعبئة المرزبان وجالوها جولة ، ثم بانت العجم ورجعت إلى بعضها

البعض ، وأقبلت فى حدها وحديدها ، وصاح المرزبان فى أصحابه وكافة جنوده وأمرهم بالحملة، والتقى الجميع ، واختلط الضرب، واشتد القتال ، وهاجت المعركة فلا يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف ، واقتتلوا يومهم ذلك أشد مايكون القتال ، وثبت بعضهم لبعض إلى أن حال بينهم ظلام الليل فانصرفوا ثم أعادوا الحرب فى اليوم الثانى على ذلك النظام ، فكثر فى الفرس القتل ، وقويت جرأة العرب على القتال ، ومازالوا كذلك حتى حجز الليل بينهم مرة أخرى ،وفى اليوم الثالث زادت المعركة وتلظت أكثر من ذى قبل، فكان القتل آخذا مأخذه من الرجال والسيف يضحك فى أكف الأبطال والأسنة لها الطعنات النجلاء فى ثغور الأفيال، والحرب نار تلتهم كل ما تلحق بغير جدال .

بطل وايم الله :

فلما أصبحت الحالة على هذا الأمر خرج أربعة رجال من المرازبة والأساورة ممن كان يعد الواحد منهم بألف رجل حتى دنوا من مالك بن فهم سيد الأزد ، وزعيم هذه الحرب ، فقالوا له : هلم إلينا أيها العربى لتصفك من أنفسنا ، ويبادرك منا رجل برجل ، فلم ير مالك إلا إجابتهم ، ولم يظن بنفسه رهبة منهم ، إذ كان جأشه ثابتة ، ونفسه أبية ، وقد تجرد لهذا الأمر ، ووقع فيه ، فلا مناص ولا خلاص منه ، إلا بأحد الوجهين ، فتقدم سيد الأزد وقلبه جنة ، وخرج له واحد من أولئك الأربعة الأعاجم ، وتطاردا وتحاورت فى أيديهما السيوف ، فما هى إلا دقائق حتى اختطفه مالك بالسيف ، فأرداه قتيلا ..

ثم خرج له الثانى فعطف عليه مالك ومعه نجدة الملوك وحمية العرب ، فلم يتمالك أن قضى عليه بطعنة — طعنه إياها — خر بها صريعاً على الأرض .

ثم خرج له الثالث فكأن مالك بن فهم أسداً فاغرا فاه ليلتهم مايلاقى ،وكان

الفارس الثانى قد ضرب مالكا على رأسه فلم تصنع ضربته شيئاً ، كما يضرب اليائس رأسه فى الجبل .

ثم لما ضرب مالك الفارس الثالث ،ضربة فلقت البيضة وانتهت إلى رأسه ثم رمت به فى الأرض قطعتين نظر الفارسى الرابع أفعال مالك بأصحابه فاندهش وهاله الأمر وأحجم عن ملاقاة مالك بن فهم، وعلم أنه إن خرج فهو لا محالة مقتول.

فخافت نفسه القتال ، وولى راجعا إلى أصحابه، ودخل فيهم جبانا يرتعد .

ثم انصرف مالك الى موقفه ونفسه فى نشاط بالظفر ، وفى قوة بالفوز والنصر .

وزغردت الانتصارات :

وفرحت الأزد بذلك الانتصار وأحس كل عربى بنشوة هذا النصر وأنهم منتصرون دائماً على العجم ، وان المنتصر لا يزال يأمل فى النصر فيزيد فى نشاطه ويعظم من إغتباطه ،ويتفاعل الرحالة الانجليزى المؤرخ جيمس هنرى، مع هذه المعركة العربية الفارسية فيصفها و كأنه ينقل فى ذلك عن آلة فوتوغرافية تجيد التصوير واللقطات حين يقول :

فلما رأى المرزبان ماصنع مالك فى قواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب ، وخرج من بين أصحابه ثائراً وقال : لاخير فى الحياة بعدهم ، ثم نادى مالكاً قائلا له : أيها العربى ،أخرج إلى إن كنت تحاول ملكاً ، فأينا ظفر بصاحبه كان له ما يحاول ولا تعرض أصحابنا للهلاك ، وكأنه أنصف مالكاً فيما دعاه له ،وفضل الفارسى العاقل الموت على الحياة فى سبيل العز والشرف ، ولعله يرى من نفسة سطوة على مالك لم يهتد لها أولئك ، وإذا بمالك ذلك البطل المقدام يزحف إلى قرينه المرزبان الفارسى الغضبان على قتل من قتل فى ذلك الميدان، فخرج إليه مالك برباطة

جأش وشدة قلب ، فتجاولا ملياً — والناس تنظر إليهما حيث هما زعيما تلك الحرب وقائداً رحاها — ، وقد قبض الجمعان أعنة خيلهما ينتظرون ماذا يفعل الزعيمان .

وصال المرزبان على مالك صولة الأسد الباسل ، إلا أن البطل الماهر المحنك بلبان الحرب راغ روغان الثعلب ، ثم عطف عليه عطفة فارس جبار فلق برأس المرزبان من مفرقه بضربة قطعت البيضة ، وأبانت الرأس ، فخر هذا الطاغية الأعجمي ميتاً على الأرض .

وحملت الأزد على الفرس حملة أدارت رحى الحرب وأداخت رءوسهم من جديد ، وأخرجوا آخر ما تبقى فى كنائنهم من أسلحة للاقاة مالك وأصحابه . واقتتل الفريقان قتالا شديداً من ظهر النهار إلى عصره ، وأكل السيف فرسان الفرس وتغذى على جسومهم وأجسادهم وصدقتهم الأزد ضرباً ، وطعنا ، فولوا منهزمين حتى انتهوا إلى معسكرهم ، وقد قتل منهم خلق كثير إلى حد ألقى معه التاريخ آلته الحاسبة ، وجعل يتعجب لما جرى ، وما يجرى من أفعال هذا البطل العربى الأزدى .

أما المستشرق الهولندى « أرثـــر جفرى » فيقول — فى بسط واطناب المعركة — :

بعد هذه الحرب استشعرت الفرس العجز عن حرب مالك بن فهم ورأوا طالع نحسهم يظهر فى السماء كل أن ، وإقبال الأزد فى إستقبال ، وأيقنوا بالهزيمة وما ينتظرهم غداً ، فلعل رجال مالك تقضى عليهم نهائياً ، فعند ذلك أرسلوا إلى مالك يطلبون منه أن يمن عليهم بأرواحهم ويجيبهم إلى الهدنة والصلح ، وأن يكف عنهم الحرب ويؤجلهم سنة كاملة ليستظهروا على حمـــل أهلهم من عمان ، وأن يخرجوا منها بغير حرب ولاقتال ، وأعطوا على ذلك العهد والجزية

فأجابهم مالك على ماطلبوه منه ووافقهم على ماسألوه، فتحملوا من سلوت إلى صحار مقر زعامتهم وماحولها من البلدان المنتشرين فيها، ومكثوا فى تلك الأطراف الساحلية على المهادنة بينهم، وأعطاهم مالك عهداً على ذلك وميثاقاً أنه لا يبادرهم بشىء إلا أن يبدأوه بحرب وقتال، فكف مالك عنهم الحرب وأمرهم فى عمان على ماسألوه، وظلوا فى حال أمن مسالمين للعرب ملازمين الساحل. وأصبحت الأزد ملوكاً فى عمان، سهولها وجبالها، واليهم أمر زعامتها، وقد اندقت عصا الفرس وانهار صرحهم.

بالهامن بطولات:

ويقول العلامة عمر رضا كحالة فى كتابه — معجم قبائل العرب — :

وبعد إتمام حرب الفرس زحف مالك بن فهم إلى قلهات ليؤيد زعامته فيها، وهى الكورة المنيعة والفرضة الرفيعة، التى لها الشأن إذ ذاك فى ساحل عمان، لالتقائها بالوارد من الهند إلى عمان، والوافد من بحر العرب إلى الخليج العمانى قبل صحار وأغلب محطات التجارة العمانية من هذه الوجهة هنا، وربما كانت أقرب لاستطلاع الأحوال الفارسية، فانتقل إليها مالك ريثما يتمهد أمره وتستقر دعائمه ويتوطد ملكه، ولم يدخل بذراعيه إلى داخلية عمان لعلمه أن العدو لابد أن يرى منه مايكره، ويقصد العدو بيضة القوم فتكون الذرارى فى مأمن من الحوادث المتوقعة، وهذا من بديع سياسته، ولما رأى أن الدائرة تدور على الفرس. حيث خرجوا من قلب عمان مدحورين، هب إلى قلهات وللملوك سياسات بقدر ماهم فيه.

وقد تمرس مالك بقتال العجم، وشاع أمره فى أحياء العرب، فزاد ذلك من إكباره، وإجلاله فى القلوب، وعلت هيبته الهامات، وصار لا ينتظر إلا حربا ولا يهوى إلا طعنا وضربا، وفى أثناء مهادنة مالك بن فهم للعجم كانوا يطمسون

الانهار الكبيرة ، لانهم يعلمون أنهم لاقرار لهم بعمان إلا ريثما يرتحلون منها فى تلك المدة المحددة .

وقد أشعر الفرس ملكهم بما وقع عليهم من مالك بن فهم ، وذكروا له من قتل منهم من أبطالهم ومرازبتهم وأساورتهم ، وما حل بهم من الهوان ، وأن مالك ابن فهم حكم عليهم بالجلاء من عمان ، فهم فى هدنة منه ليرتحلوا من البلاد لا ليقروا فيها .

مهلا على رسلك :

وهنا أخذت الملك الأعجمى الحمية لمن قتل من أصحابه وقواده ، فعند ذلك دعا بقائد من المرازبة العظام عنده ، وأمره بالمسير إلى عمان وعقد له على سبعة آلاف من رجاله الشجعان المجربين ، وقدمه على المرازبة والأساورة ، وسيره مدداً لأصحابه المذكورين هناك بعمان الذين نكبهم مالك بن فهم ، وعهد إليهم حرب العرب وإخراجهم من عمان إن استطاعوا ، فتحملوا إلى البحرين ونزلوا بها وواصلوا سيرهم حتى أتوا إلى عمان ، فلما وصلوا صحار ، واجتمعوا بأصحابهم ، أخذوا يتشاورون فيما بينهم ، ويتأهبون للحرب ، حتى انقضى أجل الهدنة ، فبلغ مالك بن فهم خبرهم واهتم لهم اهتماما كبيراً وجعل يستطلع الأخبار عنهم ويرسل عيونه حولهم ومعهم وأحس بقبضهم وضغطات الدماء فى عروقهم واقسم بعروبته وأزديته على تأديبهم ، وإخراجهم تماماً من أرض العرب .

ولكن هيهات :

ويتلقف طرف الخيط فى هذا العرض التاريخى الشيق المؤرخ العربى الزبيرى بكار ، ويعرض أمر المعركة فى أسلوبه الذى يكاد يتفرد به فيقول :

ولما تحقق مالك من نزول المدد الفارسى المذكور ، ووصوله إلى صحار ، وأنهم

قاصدين لاعالة إلى حربه ، كان من مقتضى سياسته أن يظهر التجلد ويبتهج باللقاء حتى لا يرى الفرس منه وهنا أو ضعفا أو استكانة ، فلذلك كتب إليهم يهددهم قائلا : إنى وانبت لسكم بما كان بينى وبينكم من العهد ، وتأكيد الاجل ، وأنتم بعد مقيمون بعمان ، وبلغنى أنه أتاكم مدد من قبل الملك ، وأنكم تستعدون لحربى وقتالى ، والآن إما أن تخرجوا من عمان طوعاً ، وإلا زحفت عليكم بخيلى ورجلى ووطأت ساحتكم وقتلت مقاتلتكم ، وسبيت الذرارى وغنمت الاموال .

ولما وصلهم رسول مالك هالهم أمره ، وعظم فى أعينهم خطره ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وأكبروا الأمر إذ جربوه بالأمس ، وأنه لا يقول إلا ويفعل وينفذ ما قاله ، مع قلة عسكره ، وكثرتهم بالنسبة إليه ، وقوتهم المتغلغلة بعمان وبذلك — وبما صار عليهم منه سابقاً من القتل — تحمسوا وتجردوا لقتاله لاسيما وقد هيئوا لذلك ، ولم يسعهم إلا مصادمته ، فردوا عليه أقبح رد وأغلظوا له فى المقال ، فلما رأى منهم ذلك الحال زحف عليهم وخرج إليهم بخيله ورجله ، وقامت الفرس للقاء البطل العربى والملك الازدى الذى عرفته بالأمس وعرفها ، فجاءوا بالفيلة أمامهم وبدأت المعركة .

ولما تقارب الزحفان وتلاقى العسكران ، قام مالك بن فهم يتفقد أصحابه راية راية ، وكتيبة كتيبة ، ويحرضهم ويلقى إليهم تعاليمه كما هى عادته فى حروبه وتركبهم يتشوقون للقاء العدو الذى جاءوا له ، وكان هناءة على الميمنة ، وفراهيد على الميسرة ، وهما الجناحان وبهما يطير الجيش وهما قوته القوية وأركانه الحربية ، ونزل الشيخ القائد فى القلب مع الأبطال المجربين ، والتقوا هم والفرس لقاء رائعاً ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ودارت رحى الحرب كأشد ما تكون جزءا من النهار ثم انكشفت العجم وزالت عن مواقعها ، وذهبت إلى غير رجعة .

والطاحونة تدور :

ولما رأت الفرس فى هذه المعركة لوائح التقهقر ، وأن مالكاً لا بد أن يأخذهم وينفذ فيهم ما صرح به لهم ، من أنه يقتل المقاتلة ، ويسبي الذرية ، أعلنوا لرجالهم الهجوم على مالك بغير مبالاة ، وأن يصبروا لحربه صبر المستميت المقاتل ، ورأوا أن يحملوا على الأزد حملة رجل واحد ، بحيث لا يبقى منهم أحد فى موقعه ، فإما النصر على مالك وإما الهزيمة الكبرى ... وزحفوا عليهم بغير مبالاة وجالت الأزد جولتها ، ونادت فى رجالها البواسل ، وناداها مالك الهمام قائلا : يا معشر الأزد اقصدوا إلى لواتهم فاكشفوه ، فإن لهذا اليوم ما بعده ، وتهاروا عليهم من كل وجه .

وحمل الشيخ البطل حملته المعهودة فهوى على العجم كالنجم الثاقب المنقض ، وسرعان ما انكشف لواء القوم ، واختلط الطعن والضرب والتحم القتال ، وعظم النزال ، وارتفع الغبار ، وثار العجاج . حتى حجب عين الشمس ، فلا تسمع إلا وقع السيوف ، وصليل الحديد ، وغمغمة الأبطال ، الذين تراموا بالسهام وتجالدوا بالسيوف فتكسرت ، وتطاعنوا بالرماح فتحطمت ، وصبروا صبراً جميلا ، وكثر الجراح والقتل فى الفريقين ، وبدرت بوادر الهزيمة للفرس ، ولم يروا لهم قوة يقاتلون بها العرب غداً إذا زحفوا عليهم ، وهنا فكروا فى المصير ، ورأوا الهزيمة أو الموت المحقق ، وهما أمران أحلاهما مر ، فانضلوا الهزيمة وولوا هاربين على وجوههم ، فأتبعهم فرسان الأزد الأبطال المنتصرون بنشوة النصر يقتلون ويأسرون من لحقوا ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا كذلك ، والنصر معهم والغلبة تمشى فى ركابهم ، وعلى طول الخط .

إلى غير رجعة :

هذا ، ويحدثنا التاريخ عن هؤلاء وهؤلاء فيقول .

ثم سارت فرسان الأزد فى أثر العجم يطاردونهم ، وظلوا يقتلونهم ويأسرون منهم طيلة يومهم ذلك ، حتى حال بينهم الليل فحجزهم بعضهم عن بعضهم ولم ينفلت من الفرس إلا من ستره الليل . وتحمل من بقى منهم من تحت ليله . هارباً مستخفيا يتدارك النجاة ، ويستبقى الحياة ، حيث لم تنفع الحرب وما كانت يوماً فى صالح الفرس طوال تلك المعارك ، مع هؤلاء العرب الصناديد . وركب الفرس السفن وعبروا إلى أرض فارس ، واستولى مالك بن فهم ومن معه على سوادهم ، واستباحهم وغنم أموالهم ، وسجن من الأسرى خلقاً كثيرا ، فمكثوا فى السجون زمناً ثم أطلقهم ومن عليهم بأرواحهم ، وكساهم وأوصلهم وزودهم وحملهم فى السفن إلى أرض فارس — وتلك شيمة العرب — وهكذا استولى مالك بن فهم على عمان كلها ، وملكها وما يليها من أعمالها على الخليج العمانى ، وسار فيها سيرة جميلة ، وبذلك انتهى جلاء الفرس من عمان .

أحاديث السمار :

وبالتالى فقد انتشرت أخبار مالك فى أحياء العرب ، وأصبحت أحاديثه ألهوجة السامرين وأحاديثة المؤرخين ، فتنادت العرب إليها وتزاورها للحاق بالملك الفاتح المنتصر ، وإن بعمان الخيرات المتنوعة والحياة العربية العزيزة ، فما مضى وقت طويل إلا ورايات العرب تتوالى على عمان ، ولم يسكن ليهدأ روع مالك بن فهم خوفاً من العجم ، وقد علم ما وقع بينه وإياهم ، ولم يزل مالك بن فهم يلاحظ الحركة الفارسية بدقة ، وما زال مستعدا للقاء القوم غير مطمئن إلى جانبهم لما سبق بينه وإياهم وهم من عرف ، وقد خرجوا من عمان مابين أسير ، وجريح ، والذى يظهر

من استقراء التواريخ أن العجم لم يعودوا لحرب مالك بن فهم ، ولعل ذلك لأمور داخلية عندهم، فكان «دارا بن دارا» قد مات فى تلك الأثناء وتولى الملك بعده ولده ، الذى لم يتحرك بعد ذلك لحرب عمان ، فإنه كان جبارا ظالماً عاتياً بالغاً فى العتو أقصى المبالغ ، ثم كان قتله على يدى سليمة بن مالك بن فهم فى خبر عجيب ذكره المؤرخون.

من آل فهم إلى آل الجلندى :

ثم لم يزل الملك فى أولاد مالك بن فهم ، ولم يرجع أحد من الفرس إلى عمان حتى انقضى ملك ولد مالك بن فهم ، وصار ملك عمان إلى آل الجلندى ابن المستكبر الأزدى ، وهو من معولة بن شمس ، ثم صار ملك فارس كذلك إلى آل ساسان. ولم رهط الأكاسرة، فتهادنوا هم وآل الجلندى بعمان على أن يجعلوا فيها أربعة آلاف من الأساورة والمرازبة مع عامل يكون لهم هناك عند ملوك الأزد ، فكانت الفرس فى السواحل وشواطىء البحر ، والأزد ملوك فى سائر البلاد والأمور كلها منوطة بهم ، فكان الساحل للفرس والداخل للعرب ، وكان أمر العرب هو النافذ فى البلاد، وإن الخراج إذ ذاك فى الساحل لا فى الداخل ، وإنما المنعة فى البلاد لأهل الداخل ، وكان الفرس يفضلون الوجود بالساحل وذلك لإمكان اتصالهم بقومهم ، فإن بين الساحل وبلاد فارس ذلك القرب المعروف ، إذ أن بين ساحل مكران تترائى من الساحل العمانى ، فبقى الفرس هكذا فى عمان حتى جاء الإسلام فأجلاهم ملوك بنى الجلندى من عمان إذ لم يقبلوا الدخول فى الإسلام ، وحينئذ ارتحلوا كليا من عمان .

وكان مالك بن فهم ملكاً عظيماً ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم عددوهم يهابونه ويخافون بأسه فيفتخرون به ويعتزون بمنعته ، وكانت له

جرأة وإقدام ما ليس لغيره من الملوك ، ولم لا تهابه قبائل اليمن وغيرهم وقد علمت ما صار بينه وبين الفرس من التعارك فى عمان حتى أجلاهم منها راغمين مدحورين بعد قتال عنيف ، ومالك لا يزال وسط المعمعة وتتساقط القتلى حوله وبين يديه ؟ ولم لا يخافون بأسه وهذا حاله وقد عرفت جرأته وإقدامه ؟ ثم أن نزوله ما بين عمان واليمن كان للاستطلاع على أحوال البلاد لما تحقق انكسار العصا الفارسيه ، ولعله أيضا وافق حسن الحظ بموت الملك دارا بن دارا كما أشرنا إليه سابقا ، فكان مالك بن فهم يتجول فى النواحى العمانية ، ويتفقد أحوال الوطن .

قال التاريخ : وكان أكثر نزول مالك بشاطىء قنهات من شط عمان ، وينتقل منها إلى غيرها .

وقال أيضا : وكان فى ناحية من نواحى بلاد عمان قد نزل ملك من ملوك الأزد يقال له مالك بن زهير — من ولد عبد الله بن الأزد — ولكنه لم يحقق الناحية التى نزلها . ولا من هو من قبائل الأزد ؟ ولا على أى كيفية كان نزوله ؟ وكاد يكون مثل مالك بن فهم من العزة والمنعة والقدرة ، فخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد أو تحاقد ، وأن يطمع أحدهما فى ملك الآخر فتقع بينهما الحرب — ، وهما عربيان — وهذا يدل على أنه كان لمالك بن زهير قسم من ملك عمان ، ولكنه لم يسبق له ذكر فى حروب الفرس ، ولعله كان قد نزل على بعض العواصم العمانية ، فرأى مالك بن فهم أنه من الحكمة والكياسة الأغضاء والتغافل عنه ، ليكون له عوناً وعضدا إذا تحركت الفرس عليه مرة أخرى فإنه ما يزال فى قلق من القوم ، ولذلك لم يعارضه ، وكان من التفكير بمكان ، فوسع المجال لمالك بن زهير .

ومن هذا الباب خطب مالك بن فهم ، الحزام ، بنت مالك بن زهير قطعاً لدابر

التحاسد والتباغض بينهما وتأكيدا للمودة والصلات ، وتقوية لظهره كعادة العرب فى مثل هذه الأمور .

يأخذ كل سفينة غصبا :

ولما رأى مالك بن فهم انهيار صرح العجم فى عمان ، وانكسار شوكتهم رجع إلى شؤونه الداخلية ليؤيدها بسياسته الحكيمة ، وآرائه السديدة ، وألقى نظراته إلى ما حول عمان من الممالك وما يتبعها من البلدان ، وظل يتردد على الأطراف لأنها الأبواب ، وكان ينزل فى النواحى المختصة ، ويقيم فى الأمكنة المنظور إليها ، وهو الذى كان يأخذ كل سفينة غصباً ، فكان ملكا عظيما فى العرب .

وكان ينزل قلهات من شط عمان ، وينتقل من هناك إلى أى ناحية أخرى ، وكانت تلك عادته ، وقد علمت أمر قلهات فى عمان إذ ذاك . . . وفتح بذلك للعرب دار الهجرة إلى عمان ليطمئن بهم وتقوى شوكته بقومه ، وسرعان ما هاجرت العرب إلى عمان زرافات ووحدانا ، يمانية ونزارية ، حتى ملأوا عمان فامتد سلطان مالك فى عمان وضم إليها البحرين وأطراف العراق . فكان الملك الكبير العظيم السلطان . بين ملوك الجزيرة العربية كلها .

وكان ينتقل فى النواحى العمانية متفقدا شؤونها ومتطلعا أحوالها ، ومراقبا سير الأعمال فى الجزيرة . ولم يكن له معارض أو مزاحم ، ولم يذكر التاريخ عن مالك بن زهير شيئا من الأعمال فى عمان . بل كان السلطان الوحيد والأمر النافذ لمالك بن فهم . وقد طال عمر مالك بن فهم فى الملك . فقد ملك عمان وما حولها حوالى سبعين سنة ، ولم ينازعه فى ملكه منازع من العرب أو من العجم ، وملك على مضر عشرين سنة ، وعاش مائة وعشرين .

أما كيف قتل مالك ؟

وكانت وفاة مالك بن فهم نتيجة الكيد الاخوى الاشبه بكيد إخوة يوسف وهي كما يرويها البغدادى السويدى فى كتابه « قبائل العرب » حيث يقول :

وذلك أن مالك بن فهم تزوج «الحزام» بنت مالك بن زهير كما قدمنا ، الذى اشترط على مالك بن فهم أن يكون الملك فى ذريتها فوافقه مالك بن فهم ؛ ولا بد أن يكون ذلك مؤثراً فى قلوب أولاد مالك بن فهم خصوصاً إذا جاءت برجال يتولون الملك بالوراثة عن بقية إخوتهم ، فكان من القضاء والقدر أن جاءت «الحزام» بولد سموه سليمة مبالغة له فى السلامة ، وكان ولدا تلوح عليه مخائل النجابة ، وأحبه مالك بن فهم حباً بالغاً ، فقال إخوته : هذا ما كنا نتوقعه ، وإن سليمة لاشك أنه سيكون الملك علينا تبعاً للشرط الذى شرط والده مالك بن زهير ، فتآمروا عليه وأن يكيدوه بمكيدة تسقطه من كرسى محبة الوالد الذى له الشفقة التامة به.. ، والعطف البالغ له حد الغاية ، وكان مالك بن فهم قد وضع الحرس الداخلى الذى يسميه المصريون اليوم حرس الشرف على كواهل أولاده إذ لا يطمئن لغيرهم مهما كانوا ، وكان لكل واحد منهم نوبة ، فقالوا لوالدهم : أيها الملك إن ابنك سليمة لا يقوم بواجبه فى الحرس ، وإنه ينام فنخشى عليك من قبل نوبة سليمة ، وكان القصد من ذلك أن يغضب الملك على سليمة فيطرده أو يرفضه ولا يقبل منه فى الأعمال الخاصة شيئاً فينتج عن ذلك سقوط سليمة من عرش الملك ، وكان قد بلغ من حب مالك لولده سليمة أنه كان يعلمه الرمى بالسهام إلى أن أتقنه ، وكان ذلك هو القوة فى الحرب فى ذلك العهد ، وكان سليمة يحرس أباه كما خوته فنسب إليه إخوته ضعف الهمة ، وأنه إذا جن الليل يعتزل فرسان قومه ويتشاغل

بالنوم والغفلة عما يلزمه ، وجعلوا يوهنون أمره عند أبيه وينسبونه إلى العجز والتقصير، فقال لهم مالك: إنكم لكذلك وما أحد منكم إلا وهو مانزم بما وجب عليه، وأما قولكم فى ابنى وأخيكم سليمة فليس هو كذلك وإن ظنى فيه كعلمى به ، قال : ولم تزل الإخوة يحسد بعضهم بعضاً لإيثار الآباء بعضاً دون بعض . فانصرفوا من عنده أجمعين راجعين بغير ماكانوا يأملون .

خسارة لينها ما كانت :

ثم إن مالكا دخله الشك وهو فى الحقيقة لم يكن شكاً ولكنه كان حرصا ورعاية وهذا شىء من واجب كل أمير أن يملك حتى لا يكون متهما بالتقصير أو الإهمال الذى لاينبغى ، فأسر مالك كلام أولاده فى نفسه إلى أن كانت الليلة التى فيها نوبة سليمة ولده ، فخرج سليمة فى فرسان قومه للحرس كعادتهم ، ثم اعتزل عنهم سليمة فى المكان الذى يكمن فيه، وما كان لسليمة علم بذلك الذى تآمر به الإخوة شأنه ، ولم يكن منه قصور ولا تقصير فيما وكل اليه. فكمن سليمة فى مكمنه المعتاد بالقرب من دار أبيه ، فبينما هو كذلك إذا أقبل مالك من قصره فى جوف الظلام مختفيا من حيث لايعلم به أحد ليحقق مقال أبنائه فى أخيهم . فتوجه قاصداً الموضع الذى فيه سليمة ليرى ماهو عليه من الحال، فكان من قدر الله الذى لامحال عنه أن لحقت سليمة سنة من النوم فى تلك اللحظة التى ساق الله فيها مالكاً لتكون سببا فى حتفه. فأغفا سليمة على ظهر فرسه وهذا طبعاً يعترى الإنسان . وكان سليمة قد تنكب كنانته وفى يده قوسه وهو على ذلك الحال. فأحست الفرس بشخص مالك وقد ألهم الله الخيل من الحس وجعل لها من البصر مالم يجعله لغيرها . وكان مالك بعيداً فصهلت الفرس عند ذلك لتعطى راكبها إنذاراً بما أحست به . فانتبه سليمة ذلك البطل الشاب الحديد فى حركاته كلها . القوى على أداء أعماله كما يلزم مذعورا من صهيل الفرس . إذ من عادة الخيل ألا تصهل إلا لأمر تراه . فنظر سليمة إلى فرسه وهى ناصبة أذنيها إلى الشخص الذى أحسته. وكان ذلك إخباراً

منها لصاحبها . فتوق سليمة سهمه فى كبد قوسه ورمى نحو الشخص الذى تشير إليه الفرس ولا علم له أنه أبوه . وأطلق سهمه فسمع مالك صوت السهم حين جذبه سليمة موجها له نحو أبيه المالك . فصاح به مالك : لا ترم أنا أبوك ، فبينما هو يقول أنا أبوك . كان السهم قد أنطلق محلقا فى طيرانه نحو الشخص المرمى فقال سليمة عند ذلك بصوت المنوم على مافرط : « السهم ملك قصده » أى لا حيلة لى على رده . فأصاب السهم مالكا فى قلبه فخر صريعا . وأرسلها سليمة مثلا . وعند ذلك أنشد مالك تلك القصيدة التى جعلها تاريخا لحياته وعبر فيها عن مهام أعماله . وفيها يقول عن سليمة أبنه :

جزاه الله من ولد جزاه ... سليمة ما أبر وما جزانى

أعلمه الرماية كل يـــوم

فلما اشتد ساعده رمـــانى

نزل خانى بسهم شك لبى ... دقيق قد برته الراحتان

فاهوى سهمه كالبرق حتى ... أصاب به الفؤاد وما عدانى

ألا شلت يمينك حين ترمى ... وطارت منك حاملة البنان

والمعنى أنى علمته الرماية ليرمى عنى الاعداء . فلما اشتد وقوى كان راميا إياى . وفيه تأنيب لسليمة ولعله يظنه أنه قد عرف الشخص حين رماه فلم يكن منه إلا الرمى . ومن أين لسليمة العلم أنه أبوه ؟ ولما سمع نداء مالك لم يكن للسهم أن ينثنى مالك . والقدر حاكم على الإنسان ولا بد من وقوعه . ولكل شىء غاية ينتهى إليها . وليست الجريمة على سليمة فإن ذلك واجبه . ولكنها نتيجة التكيد الأخوى كما قلنا . وحب الرئاسة والتنافس فيها يقتضيان مثل هذه الأحوال . ولكن لم نعـــلم وقوع هذا الحادث فى أى موضع من عمان . لأن التاريخ العمانى قد ضاع بعدم النشر وتطاول الأيام عليه . .

وهل بقى شيء فى الأعماق ؟ :

ولاشك أن خبر مقتل مالك كبير له أهميته الكبرى ولابد أن يكون له ذكر فى السير ، إلا أن السير العمانية ذهبت كغيرها فى أحشاء النسيان وطى الاهمال والكتمان .

وسيأتى — وقد اتى فعلا — ذلك اليوم الذى يزيح التاريخ فيه أو ضار تلك التسميات . وأو زار هذه الانحرافات — أو الكتابات الغير أمينة — عن باد له مكانته الشامخة ، وقاعدته الأصيلة الراسخة . مثل عمان . ذلك الباد الذى اعتدت به التقاليد العربية . وفاخرت بسلوكه ومنهجيته كل من البداوة فى أعلا أنماطها ، والحضارة الحديثة فى أرق صورها ؛ وأرقى طبعاتها .

ولقد رصدت سلطنة عمان اليوم ذلك الكم الهائل من الاستعداد الضخم . والتهيؤ الراصد الواثب ، لتسخير الطاقات والقدرات . وتوظيف الأدمغة وشتى الامكانات فى استئناف العمل بجدية وصدق ، وأمانة وحق ، . على خريطة التاريخ العمانى الشاسع الواسع . وفى أعماقه وجيوبه . وبين أبعاده . وأماده . تعويضا عن ماضى . واحتفاءا بما هو آت .

إن عمان — بما خبأت فى أعماقها . وما أجنت فى بطنها ورحمها . بما يفيد الإنسانية . ويثرى النوع البشرى . ويضيف إلى الحياة جديداً ، وأى جديد — لهى المتربعة فى الحقيقة والواقع على عرش الثقافات والحضارات . والايحاءات والمعطيات الرائدة الواعدة .

وهى التى يجب أن تحتل بؤرة الشعور . ومكمن الحس فى وجدان العالم وضميره ، نظرا لما ستقوم به من دور إيجابى فعال . وما تضطلع به . وتحمله

فوق عاتقها من مسئوليات ضخام وتبعات هائلة جسام . بدءا من المد المادى . ومرورا بالتراث العلمى الاكاديمى .ووقوفاً مع هذه النهضة الروحية الرائعة التى استقطبت كل عناصر التقدم والوعى . واستوعبت فى شمولها .و بين أطراف عباءتها أسباب التمكين فى الأرض . والصعود إلى السماء .

وذلك كله إنطلاقا من ذلك الوعد الكريم الذى وعد به جلالة السلطان المعظم،قابوس بن سعيد ، العالم كله . مع إطلالة صباح الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٧٠ . مكن الله له واسعد به الحياة ...

ومما لاشك فيه ، أن الحضارة الانسانية — التى تعمل عمان دائما على إنمائها واثرائها — إنما هى مجموعة المعارف والذكريات والمأثورات — التى اضطلعت بأعبائها ، ووظفت نفسها لاداتها ، وأخلصت فى الاستجابة لكل متطلباتها وحاجاتها وزارة التراث القومى والثقافة ،بسلطنة عمان — والتى تجمعت و تراكمت على مر الأجيال والعصور ، والحقب والاحداث ، وهى أيضا الموروثات التى تركها الآباء والأجداد ، عبر الممارسات والاجتهادات ، والتفاعل الصادق مع الحياة .. وإن الإنتماء الحقيقى إلى هذه الحضارة ، والإسهام فيها ،والمشاركة فى تطويرها ، لايكون إلا بالتفاعل بها ، والتجاوب معها ، والتزود بما تنطوى عليه تلك الحضارة من أفكار السلف،وإيجابيات تجاربهم مع المواقف،واقتحاماتهم لها ، وإن السبيل الوحيد إلى ذلك الإنتماء ،وذاك الإسهام،وهذا التفاعل والتجاوب إنما هو فى تدوين الكتب ، وطبع المخطوطات ، ومطالعتها ، والاستئناس بها ، ونشرها واذاعتها ، وافساح الطريق أمام مسيرتها ، والحفاظ على المخلفات والسلفيات والأثريات ،التى تكشف الغموض ،وتزيل الابهام عن تاريخ البشرية عموما ، وعن الدور الفعال العظيم الذى قامت به عمان فى خدمة العروبة والاسلام على وجه الخصوص ، وهذا مافعلته عمان ، وتقوم به وزارة التراث القومى

والثقافة مع سائر الأجهزة وشتى المرافق والمؤسسات فى السلطنة العمانية . ولقد أسمى جلالة السلطان «قابوس» .. المعظم ، طريق النهضة الحديثة فى أسلوبها المتميز وصيغتها المشرقة ، وعلى المستوى الحضارى العريق ، عبر سلطنة عمان ، بما يحقق لها « أستاذية » العالم ، ويدفع بها إلى « إمامية » الدنيا، فى محراب البحث والدرس وفى مصلى العلم والمعرفة ، وفى « المعمل الأكاديمى » العام ، الذى يصنع الأدمغة والأمخاخ ، ويعد الأولويات والأولويات فى المنهج المبرمج السائد ، وفق منطق الواقع ، ومع منطلقات الحياة ، وذلك من خلال «وزارة التراث القومى والثقافة» التى أكدت — وتؤكد دائماً — حتمية ربط الماضى البعيد، بالحاضر المجيد ، بالغد المأمول السعيد ، بما تقوم به من توظيف الطاقات البشرية ، وتوصيف الامكانات والقدرات ، وتكليف العلماء والباحثين — على مستوى عمان ، وغيرها من بلاد المسلمين والعرب — بالتنقيب والتفتيش، والغوص فى أعماق المقتنيات والآثار، والركض وراء المخلفات والحطامات ، وتتبع حصاد الوعى الانسانى ، وتجميع متناثرات وماثورات الفكر العمانى ، وابداعاته الفقهية ، والتشريعية ، والقانونية، والفنية ، والتاريخية ، والعلمية ، و « التكنولوجية » عموما .. مما سيكون له الأثر الكبير ، والدور الفعال الخطير ، فى إثراء الحياة ، وترقية الانسان ، وتصحيح معتقده وسلوكه ، حتى يتمكن فى النهاية من افتعاد المنابر الشامخة العالية، ويصبح أهلا — وفعلا .. لأن يتعامل حقيقة مع ايجابيات ، وواجبات « أهل الاستقامة » و « الفرقة الناجية » ...

الباب الثانى

كيف دخل الإسلام عمان؟

وأشرق النور :

إن التاريخ الصادق يؤكد فى سجلاته ومخطوطاته، ويحفظ فى مرويانه ومقولاته لدى الرأى العام العالمى ، أن عمان كانت أسبق الأمم إلى إعتناق الاسلام منذ ظهوره على خريطة العالم ، وذلك على يد رجل أزدى من طى ، إسمه « مازن بن عضوبة ابن شماسة بن حيان بن مر ، بن أبى بشر بن خطامة بن سعد بن نبهان ، بن عمرو ابن الغوث بن طى الأزدى ، وكان من أهل سمايل ، وهى مدينة تقع على الجانب الأيمن والأيسر من وادى سمايل بسلطنة عمان ، وأهم معالمها التاريخية حصنها الذى يقع على شاطىء الوادى ، ويبلغ طولها نحو سبعه أميال تقريباً .

ومن خبر إسلام هذا الرجل أنه كان يعبد صنما فى الجاهلية يقال له « ناجر » ويقوم على خدمته ، وتعظمه بنو خطامة كلها ، وبنو الصامت من طى .

قال مازن: فعنزت عنده ذات يوم عنيزة — اى ذبحت له عنزة — فسمعت صوتا جائيا من الصنم يقول : يامازن : أقبل إلى أقبل ، تسمع ما تجهل ، هذا نبى مرسل، جاء بحق منزل ، فآمن به كى تعدل . وأتق حر نار تشعل . وقودها الناس والجندل .

قال مازن : ففزعت من ذلك فزعا أرعبنى .

وقلت : إن هذا لعجب . ثم عنزت أخرى فسمعت صوتا من الصنم أيضاً

يقول: يامازن إسمع تسمر ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبى من مضر ، يدين بدين الله الأكبر ، فدع نحيتا من حجر ، تسلم من حر سقر، وإياك إياك أن تتأخر .

قال مازن : فقلت إن هذا لهو العجب، وأنه لخير يراد بي، قال: وبينما أنا كذلك تلفني الحيرة ، ويغشاني القلق ، وتستبد بي الهواجس، وتعصف بي الأظانين .. إذ ورد رجل من أهل الحجاز يريد أن ينزل ديا — أحدى وديان المنطقة الشرقية على الساحل العماني — فقلت له : ما الخبر وراءك ؟ .

قال الحجازي : ظهر رجل في مكة يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، يقول : « أيها الناس أجيبوا داعي الله ، وآمنوا به فلست بمتكبر ، ولاجبار ، ولامتسلط ، ولاعتال ، أدعوكم إلى الله ، وترك عبادة الأصنام والأوثان ، وأبشركم بجنة عرضها السماوات والأرض، وأستنقذكم من نار ، لايطفى لهبها ، ولاينعم من سكنها » .

قال مازن : فقلت : والله هذا هو النبأ العظيم الذي لم ينصح عنه الصنم، وما سمعته منه .. فقمت إليه ، ووثبت عليه ، وأعملت فيه المعول حتى جعلته جذاذا ، وركبت راحلتي واستعنت بالله ، وقصدت إلى رسول الله ﷺ .

بيني وبين الرسول :

وهناك، وفي المقر النبوي الكريم دار بيني وبين الرسول حوار ، وسألته عما بعث به؟ فشرح الله صدري للإسلام ، وأسلمت على يديه . وقلت له ﷺ — فيما قلت — : يارسول الله ! أدع الله تعالى لأهل عمان . فقال عليه السلام : « اللهم اهد أهل عمان وأتهم » .. فقلت : زدني يارسول الله ! قال : « اللهم أرزقهم العفاف والكفاف والرضى بما قدرت لهم » . . قلت — مستزيدا طامعا في بركاته ودعواته — : يارسول الله ، إن البحر ينضح بجانبنا ، فادع الله في ميرتنا ، وخفنا ، وظائفنا .

قال عليه السلام : « اللهم وسع عليهم فى ميرتهم ، واكثر خيرهم من بحرهم ، وبارك لهم فى حياتهم ».. فقلت : زد يارسول الله ، قال ﷺ :« يارب..ولا تسلط عليهم عدوا من غيرهم .. قل يامازن : أمين .. فإن أمين يستجاب عندها الدعاء » .

قال مازن: ثم قلت يارسول الله : إنى مولع بالطرب، وشرب الخر،ولجوج بالنساء ، وقد نفد أكثر مالى فى هذا ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ، ويهب لى ولدا تقر به عينى ، ويمدلى فى الحياة . فقال ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالعهر عفة الفرج، وبالخمر ريالا إثم فيه، وآته الحياة وهب له ولدا تقر به عيناه » .

قال مازن : فأذهب الله عنى ما كنت أجد من الطرب ، وحببت حجا ، وحفظت شطرا من القرآن ،وتزوجت أربع عقائل من كريمات العرب ،ورزقت ولدا أسميته وحيان بن مازن» ،وأخصبت عمان فى تلك السنة وما بعدها من السنوات وبارك الله فى الخف ،والظلف ، وكثر صيد البحر وفاض لؤلؤه ، وتضاعف الخير ، وربحت التجارات ، وأمن أهل عمان من كل خوف ، وحفظ الله عمان وكلأها بعينه ، ورعاها برعايته، وذلك ببركة دعاء النبى لها ،صلوات الله وسلامه عليه .

وفى هذا يقول مازن :

إليك رسول الله حنت مطيتى ... تجوب الفيافى من عمان إلى الحرج
لتشفع لى ياخير من وطئ الحصى ... فيغفر لى ربى وأرجع بالفلج
وكنت أمرأ، باللهو والخمر مولعاً ... شبابى حتى آذن العمر بالنهج
إلى معشر خالفت فى الله دينهم ... فلا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى
فبدلنى بالخمر خوفا وخشية ... وبالعهر إحصانا فأحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى ... فلله ماصومى ولله ماحجى

عمان فى منطوق النبوة :

قال باذن : فلما كان العام القابل الذى وفدت فيه على رسول الله ﷺ ، وقصصت عن حال عمان ، وما أصابها وأصاب أهلها من الخير والبركة ، قلت لرسول الله : يارسول الله ، يا المبارك ابن المباركين ، والطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوما من أهل عمان ، ومن عليهم بدينك ، وقد أخصبت عمان خصبا هنيئا ، وكثرت فيها الأرباح والصيد والخير والبركات .. فقال عليه الصلاة والسلام: « دينى دين الاسلام ، وسيزيد الله أهل عمان خصبا ونماء وصيدا ، فطوبى لمن آمن بى ورآنى ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، ولم يرمن رآنى ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاما ، وسينتشر الإيمان من ديارهم » .

ثم كتب عليه السلام إلى ملك الفرس « كسرى ابوويز ابو شروان » يدعوه إلى الإسلام — وكانت الفرس لم تزل أنذاك تملك أمر عمان حتى ذلك العهد — فمزق كسرى كتاب النبى ﷺ ، فدعا عليه وقال : « اللهم فرق شمله ، ومزق ملكه كما مزق كتابى » ، ولم يفلح كسرى بعد تلك الدعوة فاهلكه الله ، وفرق ملكه ، فما بقيت بعد ذلك للفرس دار يملكونها إلى اليوم ، فهم فى كل بلد رعايا واتباع ، ورحل وسواح ، وسلط الله عليه ابنه « شيرويه » فقتله .

ثم اهتم شيرويه بأمر النبى ، وبهذا الدين الجديد ، وخاف على نفسه من مغبة العناد والتحدى ومكابرة الحق ، واتباع الهوى.. واتعظ بمن سبقه ، واخذ العبرة من أبيه ، فكتب إلى عامله « باذان » — الحاكم القائم على عمان — وقال له: أرى أن تبعث من قبلك رجلا عربيا فارسيا — يحسن العربية والفارسية ، صدوقا يمكن أن نعتمد على مقاله ، ويكون قد قرأ الكتب ، وله دراية بها ، وعلم بخبر ما يأتى من النبوات — إلى الحجاز ، كى يتعرف خبر هذا النبى العربى ، الذى يشيع الآن فى العالم .. فبعث باذان على الفور رجلا يقال له « كعب بن برشة العودى »

أو الطاحى — وكان قد تنصر وقـــرأ الكتب — فأتى النبى ﷺ ، وكلمه وسأله واستفهمه ، ورأى فيه الصفات والسمات التى يجدها فى الكتب ، فعرف أنه النبى المرسل الذى بشرت به التوراة ، والإنجيل ، والكتب السماوية المقدسة وعرض النبى عليه الإسلام فشرح الله صدره له ، وأسلم من فوره ، وقفل راجعا إلى عمان ، فكان الصحابى الثانى بها بعد مازن رضى الله عنهما وأرضاهما .

وهكذا أنبتت أرض عمان صحابيين جليلين ، مع خطوات الإسلام الأولى ثم تتابعت الصفوف وكثرت الزحوف بعد ذلك من العمانيين مسرعة متتالية كى تحظى بشرف الانتماء إلى الإسلام مع الســـابقين السابقين ، والأولين المقربين .

ورجع كعب إلى « باذان » عامل الفرس على عمان ، وقص عليه الأعاجيب المدهشات ، وأخبره بأمر النبى ﷺ ، وأنه النبى المرسل للعالم كافة ، وأنه خاتم الأنبياء . والمرسلين . .. فقال باذان — فى نفسه — هذا أمر أريد أن أشافه فيه الملك وأطلعه شخصيا على جوانبه ومخبآته .

ثم استخلف على قومه بعمان رجلا منهم اسمه ... مسكان ... وخرج هو إلى كسرى فى فارس ليشافهه فيما هو بصدده ، ويطلعه على خبر هذا النبى الوارد ذكره على مسامع العالم ، والذى احتفت به واحتفلت بقدومه كل أصقاع الدنيا وأبقاع الحياة .

من محمد رسول الله :

هذا ما كان من أمر الإسلام فى مطلعه من الأفق العمانى مع كينونة الوجود الفارسى هناك .

وفى عهد « كسرى أنو شروان » وابنه « شيرويه » ، أما ما كان من أمره — أى الإسلام — وكيف دخل إلى عمان ، ولا سيما بعد أن أسلم كل من مازن بن على ، وكعب بن برشة العودى ويعرف كذلك بالطاحى — فإن التاريخ يحدثنا على ألسنة شيوخه ، وجهابذته الأمناء الثقاة : إن النبى ﷺ كتب إلى أهل عمان أولا يدعوهم إلى الإسلام ، ثم كتب ثانية إلى الجلندى بن المستكبر ملك عمان ، أو إلى ولديه عبد وجيفر — بعد موته — على اختلاف بين المؤرخين ، وقد يكون من الجائز أن يكون الجلندى هو المدعو أولا ، وقد أجاب الداعى ، ثم إنه مات فكتب النبى إلى ولديه من بعده ، أو ان الجلندى هذا مراد به الملك ، وأنه لقب لكل ملوك عمان فى الجاهلية . كما يقال « تبع » و « فرعون » و « قيصر » و « كسرى » و « نجاشى » لكل من ملك اليمن ، ومصر ، والروم ، والفرس والحبشة .

وكتب ﷺ إلى أهل عمان يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله رسول الله ، إلى أهل عمان ، أما بعد :

أقروا أن لا إله إلا الله . وانى محمد رسول الله ، وأدوا الزكاة ، واعمروا المساجد ، وإلا غزوتكم ، والسلام ، ولم يذكر النبى ﷺ فى هذه الرواية الصلاة ولعلها كانت مفهومة بدليل أمره عليه السلام فى كتابه بعمران المساجد ، وعمرانها لا يكون إلا باقامة الصلاة فيها ، وأما نصه عليه السلام صراحة على أداء الزكاة فلأنها عبادة ماليـــة . تتطلب الانفاق والاخراج ، والنفوس عادة تشح بهذا الأسلوب من التعامل ، وتبخل فى تعاطيه أو ممارسته ، أو بذله ، إلا من عصم الله

وشرح صدره ، وفتح قلبه ، وسهل عليه ، ويسر له ، فأعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، ووقاه الله شح نفسه ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، كما كتب صلوات الله وسلامه عليه إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى ، ملكى عمان ، يدعوهما وقومهما إلى الإسلام ، ويقول فى نص الكتاب الذى يقع فى أقل من الشبر كما يرى ذلك الواقدى باسناده :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعو كما ومن معكما بدعوة الإسلام اسلما تسلما فإنى رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالإسلام وليتكما ، وابقيتكما فى حكمكما ، وان أبيتما أن تقرا بالإسلام ، فان ملككما زائل عنكما ، وخيلى تطأ ساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما » ،

هذا ، مع ملاحظة إن كاتب هاتين الرسالتين بخطه هو أبى بن كعب ، والرسول عليه السلام هو الذى املاهما عليه ، وطوى كلا من الصحيفتين ، وختمهما بخاتمه الشريف المبارك ، وكان نقش الخاتم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وبعث بالرسالة عمرو بن العاص بن وائل السهمى ، إلى الجلندى بن المستكبر ملك عمان فى ذلك العهد .

فاجاب الداعى ، وأرسل إلى الفرس الذين كانوا فى عمان — وكانوا مجوسا يدينون بعبادة النار — يدعوهم إلى إعتناق الدين الذى جاء به محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فأبوا ذلك ، وأصروا على عدم المبالاة ، والاهتمام بأمر هذا الدين ، فحاربهم الجلندى وأرغمهم على الخروج من عمان فى قصة طويلة معروفة ، أشبه بالأساطير ويرى كل من صاحب « تحفة الأعيان » وابن خلدون ، فى « مقدمته » إن السر فى إقبال أهل عمان على الاسلام ، واستجابتهم السريعة إلى المبادرة إليه ، واعتناقه

إنما هو شيء أشبه مايكون برجع الصدى للصوت القوى المجلجل ، أو برد الفعل المضاد للسلوك الفارسى المعربد بين هؤلاء العرب العمانيين حقبة طويلة من الزمن وحينا أميدا بعيدا من الدهر المعتم القاتم فى معاملة الأعاجم لهم، وتسلط المرازبة عليهم، وتحكم الفرس فيهم، وتغطرس الأساورة فى معاملاتهم ، حتى كانوا كثيرا مايمنون الخلاص منهم ، والتفلت من قبضتهم، والعمل على ازاحتهم وإزالتهم ، فما أن لمحوا نور الإسلام يتهادى فى آفاق مكة بادىء ذى بدء ، ثم ينتشر سريعا إلى بقاع العالم وأصقاعه ، — وهو الدين الذى انصب فى وعاء العروبة — حتى توافدوا عليه — وهم العرب الأقحاح الصحاح — زرافات ووحدانا، وحتى بحاملة وتعصبا لعروبة نبى هذا الدين ، وأيضا لأن هذا الدين هو الذى سيخلصهم حتما مما ذاقوه وعانوه ، وشربوا مره وصابه ، وتجرعوا علقمه وعذابه على أيدى غير العرب من الأعاجم والمستعربين ، والدخلاء على العربية خاصة وأن المواجهة كانت دائما على طرفى نقيض بين العربى والأعجمى فوق الخريطة الخليجية أو الجغرافية ، مع ما كان عليه المجتمع الفارسى على الجانب الآخر المقابل للخليج العربى، من الميوعة والمثالب والسلبيات، فى حين كان عرب عمان اكثر اعتدادا بعروبتهم واصالتهم وكانوا أشد مايكون تمسكا بفضائل العروبة ، والدفاع عن العرض والشرف ، كما هو شأنهم دائما فى كل المواقف والمواقع ، وابدا وعلى طول الخط .

وهكذا دخل العمانيون جميعا فى دين الله أفواجاً ، وسرعان ماالتأموا به ، والتحموا فيه، ونهضوا — فى همة ونشاط — بدورهم الكامل ، كعضو فعال فى المجتمع الاسلامى الجديد ، وأخذوا بثأرهم الحانق ، وغيظهم المتلمظ الغاضب واحتجاجهم المكتوم العارم من هؤلاء الرعاع الأوزاع الأعاجم .

وهل ينتظر من أهل عمان الأشاوس الأخيار غير ذلك ؟ وهم الذين أسلموا طوعا ، ووالوا رسول الله ولم يروه . فسمعوا له ، واطاعوا رسوله ، على بعد

دارهم وكثرة عددهم ، بينما أهله وذووا عشيرته عادوه ، حتى أخرجوه من وطنه وتألبوا على عداوته ، وتواصوا بالكيد له ، إلا من شاء الله ممن سبقت لهم منه الحسنى ، كما أن أكثر العرب تآمروا عليه ، وعارضوا معجزاته ، وأنكروها ، وهي واضحة رأى العين ، بينما أهل عمان قالوا لرسوله : أهلا ومرحبا ، وسلموا إليه مقاليدهم ، وكانوا لدعوته دعاة مخلصين ، ولداعيه بينهم وفي بلادهم عضده الأمين ولأوامره وتعليماته خاضعين مستجيبين .

لذلك — ومن مثل هذه المنطلقات — قلدهم الرسول وسام الشرف ، وزين صدورهم بالشارات ، والعلامات ، وترك لهم في سجل الحياة أفضل الشهادات ، وأجمل الاعترافات ، مع قوله صلوات الله وسلامه عليه :

« رحم الله أهل الغبيراء — أهل عمان — آمنوا بي ولم يروني » .

معا على الطريق :

وفي سيرة ابن هشام الحلبية : أن عمرو بن العاص حمل رسالة النبي ، وقدم بها إلى ابني الجلندى عبد وجيفر ، وأن أول موضع نزل به في عمان ، دستجرد ، — إحدى مدن صحار التي بنتها الفرس على الساحل — وكان نزوله بها وقت الظهر ، ومن هناك بعث إلى ابني الجلندى وهم ببادية عمان ، ولعلهم في الداخل كما هو المعروف من أن العرب كانوا في الداخل وفي الأعماق ، والعجم في الساحل وعلى المشارف تأهبا للهرب أو الفرار .

وكان أول من التقى به منهما عبد الذي أوصله بدوره إلى أخيه جيفر ، حيث دفع اليه كتاب رسول الله مختوما ، فقرأه أو استقرأه حتى إذا انتهى من قراءته دفعه إلى عبد فقرأه هو الآخر ، ثم التفت جيفر إلى عمرو وقال له : إن هذا الذي يدعو اليه صاحبك ليس بالأمر الهين ، ولا بالشيء الصغير أو المقال اليسير ، وأنا

أعيد فكرى فيه مرات ومرات ، وأعلمك برأيي مع الغداة .

وأكد ابن الأثير فى «الكامل» ، والبلاذرى فى «انساب الأشراف» ، والمسعودى فى «إمتاع الاسماع» ، والزمخشرى فى «الكشاف» ، وأحمد أمين فى «فجر الاسلام» وأحمد كامل الخضرى فى «المواريث الاسلامية» . إن أول من لقيه عمرو بن العاص فى «دستجرد» بعمان هو عبد بن الجلندى أخو جيفر — وكانا ملكين — وهو احكم من أخيه رأيا ، وأحسن خلقا ، وأرحب صدرا ، فأوصله بكتابه إلى جيفر ، الذى استحضر جماعة من الأزد وأهل الرأى فيهم ، وبعثوا إلى كعب ابن برشة — وكان من علماء المسيحية ، وممن أدمن كثيرا على قراءة الكتب التى تبحث فى النبوات — وسألوه عن أمر النبى ، فقال لهم : أنه نبى مرسل ، وقد عرفت صفته من الكتب التى بشرت به ، وأنه سيظهر على العرب والعجم جميعا ، وكان العرب فى عمان آنذاك يدينون بالدين المسيحى ، أما الفرس فكانوا يعبدون النار ، ويدينون بالمجوسية .

ودار حوار بين عمرو وجيفر حول العقيدة التى يجب أن يكون عليها الانسان واشتد الحوار بينهما ، ودارت رحاه قوية ضاغطة ، وهنا قال عمرو لجيفر : على أى الديانات كنت تعبد الله ومن معك ؟ فأجابه جيفر : كنت أعبد الله على ديانة عيسى عليه السلام ، قال له عمرو : وهل تعلم أن عيسى كان يعبد الله ؟

قال : نعم . . . قال عمرو — فى حجة بالغة ، وبرهان ساطع ، ومنطق واثق أكيد — : إذن فأنا أدعوك إلى عبادة من كان يعبده عيسى ! فأسلم جيفر وعبد أبنا الجلندى ، وأسلم أهل عمان ، وحسن إسلامهم ، وقويت بهم الكتيبة الاسلامية الفتية .

وهذه أيضا من كرامات ومكرمات أهل عمان .

ومن هنا ، بعثوا إلى وجوه الناس وأعيانهم يدعونهم إلى الاسلام.. وبايعهم الجميع للنبي عليه السلام ، وادخلوهم فى دينه، وألزموهم بتسليم الصدقة التى أخبرهم بها عمرو ، والتى حددها الاسلام ، وأمروا بن العاص بقبضها على الهيئة التى أمر بها النبى ﷺ ، وبعثوا — أيضا — إلى مهيرة والشحر ونواحيها ؛ وإلى دبا ، ومايليها إلى آخر عمان فى الاطراف الساحلية الشمالية ،فما ورد رسولهم على جهة وماجاء داعيتهم إلى أحد بالدعوة الاسلامية إلا واسلم، وأجاب الدعوة، وماتخلف أحد أبداً عن تلبية داعى الإيمان غير الفرس المجوس عبدة النار والأوثان .

واجتمعت الأزد إلى جيفر وأجمعوا أمرهم جميعا على أن يسلم الفرس ، أو يخرجوا فوراً عن عمان ، وقالوا . . لن يلتقى الشرك والإيمان بعد اليوم فى مكان واحد ، ومادام الأعاجم هكذا فلن يجاورونا أبدا .

ودعا جيفر بالأساورة والمرازبة وأعلن عليهم الحرب حين أصروا على موقفهم وأبوا الخروج . وشمرت الحرب عن ساقيها بين الطرفين ، وقتل . مسكان . وكثير من أصحابه وقواده ، وحوصرت دستجرد التى أختبأ هؤلاء الجبناء .. وراء جدرانها ،وانتهى الأمر بالمصالحة على أن يتركوا وراءهم كل صفراء وبيضاء وكراع ومتاع، ويرحلوا وأولادهم عن عمان إلى غير رجعة أو عودة .

بين عمرو والجلندى :

وقد أفرد بعض المؤرخين مساحات واسعة من مؤلفاتهم حول النقاش الذى دار بين عمرو بن العاص وبين كل من عبد وجيفر ابنى الجلندى بن المستكبر فى كيفية ، وحول طريقة إسلامهما ، ومن معهما من جماعة الأزد ،وأهل عمان جميعا ، والناس على دين ملوكهم ، كما يقول رسول الله ﷺ ، فلقد ذكر ابن عبد ربه فى

«العقد الفريد»، والأصفهاني في كتابه «الأغاني»، وابن خلكان في «وفيات الأعيان»، وابن قتيبة في «عيون الأخبار»، والجاحظ في «بخلائه ومؤلفاته»، وأبو المحاسن في «النجوم الزاهرة»، وابن حجر العسقلاني في «الاصابة»، وابن حزم الأندلسي في «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، وابن النديم في «الفهرست»، والثعالبي في «يتيمة الدهر»، وغير هؤلاء من أئمة المؤرخين الاثبات، والأمناء الثقات من العلماء والفقهاء، وأهل الاطلاع، فلقد ذكروا ما دار حول ما سبق ذكره من الطريقة التي آمن بها أهل عمان، بعد الصحابيين الجليلين مازن بن عضوبة الأزدي، وكعب بن برشه العودي، أو الطاحي، وكان أسلوب هؤلاء جميعا متقاربا في القاء الضوء على هذا الحدث الإسلامي الكبير، وفي دور أهل عمان العظيم في هذا المقام المتفرد النابه الذي أعطانا طرف الخيط، ووهبنا منهجية الطريق، وأطلعنا على السلوك القيم والصيغة الصحيحة التي يجب أن تدار دائما، أو تكون لغة المعاملة في الصراع الذي يتأدى عادة بين الحق والباطل، والخير والشر، واليقين والشك، والهدى والضلال.

وبدأت المبارزة بين عمرو بن العاص الداعية الداهية، وعبد بن الجلندى الأزدي — أحد ملكي عمان — على مرأى ومسمع من علية القوم وأجلائهم، وأهل عمان فوق الساحة العمانية الرحيبة.

أي شيء تريد ؟

قال عبد بن الجلندى لعمرو بن العاص: أي شيء تريده، وماذا تطلبه منا ؟ وما الذي كلفك به النبي أن تؤديه لنا، أو تبلغنا إياه يا ابن العاص ؟

قال عمرو بن العاص: أدعوك إلى عبادة الله وحده، وان تخلع ما تعبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، وترفض سائر المعبودات، وتعترف برسالة النبي ونبوته،

قال ابن الجلندى : فما بالك ، وأنت ابن سيد قومك ، وماذا صنع أبوك وهو من لايجهل شرفه ، أو ينكر قدره فى قومه ؟

قال عمرو : مات أبى ولم يؤمن بمحمد ﷺ ، ووددت لو آمن وصدق ، لكان خيراله ، وقد كنت على دينه ، وعلى مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام ...

قال عبد : فتى تبعته — أو اتبعت — محمداً ؟ قبل موت أبيك أم بعده ؟

قال عمرو : لقد اتبعت محمدا حديثا ومن عهد قريب .

قال عبد : أين ، ومتى كان إسلامك ؟

قال عمرو : فى سنوات البعثة الأولى ، وعند النجاشى ملك الحبشة ، حين أرسلنى قومى إلى هناك — وكنت لا أزال على دينهم — لاستخلص منهم بعض فتيان قريش الذين آمنوا بالدين الجديد . واتبعوا دعوة الاسلام ، وفروا بها — مهاجرين — إلى الحبشة ، وأن النجاشى قد أسلم وآمن بدين محمد ، وترك المسيحية .

قال عبد : وكيف صنع قومه به وبملكه بعد إسلامه ؟

قال عمرو : أقروه واتبعوه ...

قال عبد : والأساقفة ، ورؤساء النصرانية ، والرهبان ، ما بالهم ؟ ، وايان ذهبوا ؟

قال عمرو : اتبعوه ، وآمنوا بالله ...

وهنا تحركت فى نفس عبد بن الجلندى عوامل الشك ، ودواعى الإتهام ، والإنكار لما يقول عمرو بن العاص ، واستدرك ابن الجلندى حواره مع ابن العاص قائلا :

ابن الجلندى : أنظر يا عمرو فيما تقول ، واعلم أنه ليس فى الرجل خصلة أفضح له من الكذب ، وإن الذى تخبرنى به كبير ، ولا يتأتى هكذا بهذا اليسر والسهولة ، ولا سيما مع نصارى الحبشة وهم أعداء العرب .

قال ابن العاص : لقد قلت يا ابن الجلندى ما سمعت آنفاً ، وما كذبت فى حديثى ، وما لستحله ، أبداً ولا يكذب العربى ، فإن الكذب خسة ونذالة ، ويتنافى مع الطباع العربية الأصيلة ، وخلائق العروبة .. الشهمة والشجاعة ..

وهل علم هرقل ؟

قال عبد بن الجلندى — مستمراً فى حواره مع عمرو — : ما أرى هرقل عظيم الروم علم بإسلام النجاشى ، وهو تحت سيطرته ، ومن أخص أهل طاعته. بصفته ملكاً على الحبشة ، وهى داخلة فى الجناح الذى يستظل به النجاشى ، أو ضمن الكنانة التى يحكمها هرقل ، وتدين له بالطـــاعة والولاء ، أو تحت العباءة التى ينشرها الروم فى غرب الجزيرة هنا وهناك ...

قال عمرو بن العاص : بلى ، لقد علم هرقل بذلك .. وبكل تفاصيله ، وجزئياته ، ومفرداته ..

قال عبد : بأى شيء علمت ذلك يا عمرو ؟، وما هو مصدرك إلى هذا الذى تقص وتقول وتحكى ؟

قال عمرو : كان النجاشى يخرج قبلا خراجاً ، ويؤدى أتاوته إلى هرقل ، فلما أسلم ، وصدق بنبوة محمد عليه السلام ، قال: والله لا أخرج شيئاً لهرقل بعد اليوم ، ولو سألنى درهماً واحداً ما أعطيته ، وكيف أعطيه وأقويه على جماعة المسلمين ؟ ذلك لأن العطاء أو الخراج يكون عوناً له ، ولا تصح إعانة الكافر فيما يتقوى به على المسلمين ... وبلغ هرقل ذلك الرأى الشجاع الجرىء الذى آرتاه نجاشى الحبشة ، وعاتبه أخوه على فعـــل النجاشى من الإسلام والامتناع عن الخراج ، وقال له — فيما قال — : أتدع عبدك نجاشى الحبشة لا يخرج لك خراجا ، ويدين بدين جديد محدث ؟ فرد عليه هرقل بقوله : إنه رجل رغب فى دين ، واختاره لنفسه ، فما أصنع به ؟ والله لولا الضن بملكى ، والخوف من أن يضيع منى ، لصنعت كما صنع ، وأسلمت كما أسلم النجاشى خاصة بعد أن سمعت من أبى سفيان فى وصفه لنبى هذا الدين .

وقد جاء ذكر إسلام هرقل فى روايات كثيرة شهيرة يتداولها صناع التاريخ وكتابه فيما بينهم .

واستأنف عبد بن الجلندى حديثه مع عمرو بن العاص قائلا :

قال عبد — لعمرو — : أنظر ما تقول وتروى فى حديثك يا عمرو ؟ — وكأنه يتهمه أو يشك فى حديثه —

قال عمرو : والله لقد صدقتك الحديث ، وأخبرت بالواقع ، وما كذبت عليك أبداً.

قال عبد : فأخبرنى ما الذى يأمر به ، وينهى عنه ؟

قال عمرو : يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته ، وعن كل ما يحط بالإنسان ، أو يزرى بشرفه وكرامته .

قال عبد : وبماذا أيضاً ؟.

قال عمرو : يأمر بصلة الرحم ، وبالبر ، وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنى وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، و تلك التى ذكرت هى عمود الإسلام وجوهره ، وجماع كل خير وبر .

قال عبد : ما أحسن هذا الذى يدعو اليه ، ولو كان أخى جيفر يطاوعنى لركبنا اليه فورا حتى نؤمن به ، ويكون لنا شرف الأولية ، والأولوية فى اتباعه ، فنصدق به ونواجهه ، ونتلاقى معه على بساط الإيمان بالله ، واعتناق دينه ، واعتقاد عقيدته ، فذلك خير لنا من الإيمان به من بعيد .

ولكن لعل أخى لا يطاوعنى . أو لعله يضن بملكه من أن يدعه ويصير تابعا وواحدا من الناس . بعد ان كان ملكا متبوعا ... يهيمن على الجميع بسلطانه وهيلمانه ..

قال عمرو : انه ان أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه ، ولا غرض للنبى فى أمور الدنيا أبداً ، وإذا لم يستجب للدعوة ، ويخضع للاسلام ، فلن يتركه النبى أبدا على ملكه ، فإن حجة الله على الأمة هم الأنبياء على الملوك ، والملوك على الرعية ، فباصرار الملوك الحكام على البطر والبطش والعناد والغش ، تستباح منهم الحرمات وينتزع الملك ، والسلطان ، وبانقيادهم للحق ، وحسن معاملة الناس ، تكون المصالحة بينهم وبين الله من جهة ، وبينهم وبين الرعية من الجهة الأخرى .

قال عبد : إن هذا الخلق حسن ، وتلك أنبه المعاملات ، وهذه أحكم سياسة وأرقى أسلوب .

قال عمرو : كيف لا ، وهى سياسة الحكيم العليم ، خالق الحكمة ، ومنظم الأمة ، سبحانه ما أعظم شأنه ، وأعدل ميزانه ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، .

قال عبد : وما الصدقة التى يقول عنها صاحبك ؟

قال عمرو : هى شىء فرضه الله من الأموال والزروع والمواشى يؤخذ من الأغنياء ويعطى للفقراء ، تكاملا وتكافلا ، وتراحما وتقاسما .

قال عبد — فى استنكار — : ياعمرو .. ويأخذ من سوائم المواشى التى ترعى الشجر ، وترد المياه ؟ .

قال عمرو : نعم ، والله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

قال عبد : — فى ضيق وغيظ — : والله ما أرى قومى فى بعد دارهم ، وكثرة عددهم ، وعظيم عتادهم ، يطيقون هذا أو يطيعوه ، أو يعطوه ، وأنهم ليرون عارا أن يتصرف أحد هكذا فى أموالهم ، ويعتبرونه عظيما لا ينال ولا يطال .. وانتهى ما بينهما من حديث .

تكلم بحاجتك :

قال عمرو بن العاص : فبقيت أتردد على باب جيفر مرات عدة ، وقد أوصل اليه أخوه عبد خبره معى ، وأطلعه على ما أدرناه معا من شئون القول والحديث فيما جئت من أجله من أمر النبوة ، وكتاب النبى له .

ثم إنه دعانى وأذن لى بالدخول عليه ، فأخذ أعوانه بعضدى ، فقال لهم : دعوه ، وذهبت لأجلس ، فأبوا ذلك على ، فنظرت اليه — فى شبه عتاب واستنكار — فقال من فوره : تكلم بحاجتك ياعمرو .

فدفعت إليه بكتاب النبي مختوما ، ففضه وقرأ فيه ، حتى إذا انتهى إلى آخره دفعه — بالتالى — إلى أخيه عبد ، فقرأه هو الآخر ، ثم أدار بينى وبينه نقاشا من نوع نقاش أخيه.. بدأه هكذا : —

جيفر : ألا تخبرنى ياعمرو عن قريش ، كيف صنعت مع صاحبك ، وهم أشد مراسا ، وأطول باعا ، وأحد لسانا ، وأقوى حجة ، وأخص به من غيرهم ؟

عمرو : آمنوا به واتبعوه ، ومنهم الراغب فى الدين عن عقيدة ، أو الرهبَ المقهور .

جيفر : ومن هم الذين آمنوا به واتبعوه ؟

عمرو : إن الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم وقلوبهم — مع هدى الله لهم ، وتوفيقه أياهم — أنهم كانوا فى ضلال مبين ، ومتاهات ، ودوامات ، من الشرك والحيرة والضياع ، وما أعلم أحدا بقى على درب التيه والضياع والشك غيرك ، وأنت إن لم تسلم اليوم ، وتعتنق دين الله ، وتعتقد عقيدة محمد وتتبعه ، فستفوتك الخيل ، وتبيد خضراءك الجيوش ، أنت وجماعتك ، أسلم تسلم أيها الملك ، ويستعملك النبى على قومك ، ويبقيك فى ملكك ولا تكون عرضة أبدا لحرب المسلمين ، وهم من هم فى الحروب ؟ وقد دوخوا الأكاسرة والقياصرة ، ولست من هؤلاء فى شىء وان تكون أقوى منهم إلا بالإسلام ياجيفر .

جيفر : دعنى يومى هذا ياعمرو ، وارجع إلى غدا ، أكون قد فكرت فى الأمر ، وقلبته على جميع وجوهه ، فإنه من الأمور الكبيرة الخطيرة .

قال عمرو : فلما كان الغد أتيت جيفر — كوعده باللقاء — فأبى أن يأذن لى ، وحيل بينى وبينه ، ورجعت إلى أخيه عبد ، وأخبرته بأنى منعت ، فأوصلنى إليه ، واستمر النقاش بيننا كما بدأنا ه ، متواصلا متتابعا ..

جيفر : إنى فكرت ياعمرو فيما دعوتنى إليه بالأمس ، وماهددتنى به ، وماخوفتنى منه ، ومثلى لايهدد ولايخوف ، ولايؤخذ بالقوة ، أو بلى الذراع ، أو الضغط ، والاكراه . وإنى لاكون أذل العرب وأضعفهم ، إن أنا ملكت رجلا مافى يدى ، وألقيت إليه زمامى ، وحكمته فى أمرى ، وهو لاتبلغ وان تبلغ خيله إلى هاهنا ، وأن بلغت خيله ألفت قتالا شرسا عنيدا ليس كقتال من لاقى .

عمرو : غدا سيكون اللقاء فى الساحة تحت ظلال السيوف ، وسنابك الخيل ومثار النقع الملتهب الحار .. وغد لناظره قريب .

قال عمرو بن العاص — فيما يرويه التاريخ — : فلما أيقن عبد بن الجلندى بمخرجى هكذا غاضبا ، اختلى بأخيه جيفر ، وتحدثا معا طويلا ، ومع الصباح الباسم المشرق أرسل إلى عبد وجيفر إبنا الجلندى ، وأعلنا عن إسلامهما ، وصدقا ومن معهما من الأقوام دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وخليا بينى وبين الصدقة ، وبين الحكم فيما بينهما ، وكانا لى عونا فى نشر دعوة الاسلام ورفع رايات الايمان بين ربوع عمان .

ملوك ودعاة :

وفى الحقيقة أن عبد بن الجلندى كان داعية الرسول ﷺ بين قومه وأهله فى عمان ، لاسيما مع أخيه جيفر حين أخذ بيده ، وارشده إلى الطريق الصحيح الواضح ، وملأ قلبه بالفكر الاسلامى الناجح ، الذى زرعه فى عقله وحقله ، والذى أتى ثماره وحصاده فى سلوك العمانيين جميعا على مدى الصعيد العمانى الواسع ، وعلى بعده وحده الذى يحيط به الاسلام من جميع النواحى والجهات ، وفى شتى الميادين والجبهات .

أما المدى الزمنى الذى عاشه عمرو فى عمان ، فاختلف فيه المؤرخون ، وتناولوه فيما بينهم بالفتوى والاجتهاد والتوضيح والترجيح ، وبعضهم يرى أنه بقى بها أكثر من ثلاث سنوات أو ثلاثا فقط ، وبعضهم يرى أن المدة التى قضاها عمرو هناك كانت أقل من ذلك بقليل ، ومن أنصار الرأى الأول الباقلانى ، وابن سعد ، وابن عبد البر ، والزركلى ، والبغدادى ، وابن منظور ، ومن القائلين بالرأى الثانى المعارض الترمذى ، والشهرستانى ، والفيروزابادى ، والشماخى . وابن تيمية .

وعموما — ومع إتفاق المؤرخين أو إختلافهم على المدة التى أقامها عمرو فى عمان عاملا لها من طرف النبى ﷺ — فإن عمرا لما أراد الرجوع إلى المدينة صحبه فى تلك الرحلة عبد بن الجلندى ، وجيفر بن جشم العتكى ، وأبو صفرة سارف بن ظالم — وفى بعض الروايات سارق بين ظالم — فى سبعين راكبا من جماعة الأزد الأشداء ، ووجهائهم الفضلاء .

إرهاصات يهودى :

وفى تحفة الأعيان ، كان عمرو بن العاص عاملا للنبى ﷺ على عمان ، وبينما هو يمارس عمله هناك ، إذ جاءه يهودى فى صحار وقال له : ياعمرو أرأيتك إن سألتك عن شىء أأخشى على منك ؟

قال عمرو : لا .. قال اليهودى : أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟

قال عمرو : اللهم رسول الله ..

قال اليهودى : الله ! إنك لتعلم أنه رسول الله ؟

قال عمرو : اللهم نعم ..

قال اليهودى : لئن كان حقا ما تقول ، لقد مات صاحبك اليوم .

فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وعلى رأسهم عبد بن الجلندى — نائبا عن أخيه جيفر — وقوما كثرا من الأزد وعبد القيس يؤمن بهم رحلته ، ويأمن معهم مفاجآت الطريق وغاراته ، وحفظ عمرو ذلك التاريخ الذى قال له فيه اليهودى بعض نبوءاته ، ومجاءته وفاة الرسول فى هجر ، ووجد ذكر ذلك عند المنذر بن ساوى أمير البحرين، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة ، فألحق معه بعض حراسهم ، إلى أن وصلت به مسيرته بنى عامر ، وهناك نزل على قرة بن هبيرة القشيرى .

ولقد شك بعض العلماء والمؤرخين فيما قاله اليهودى وكيف له بعلم الغيب؟

إلا أن بعضا آخر من العلماء والمؤرخين أيضا أجازوا ذلك وأصحوه . لأن اليهود أناهم الله التوراة . وبالذات العلماء منهم الذين تبحروا فى استنطاق الكتب وقراءة المأثورات . وقد عرفوا ذكر النبى وصفاته وعلاماته وحجم قومه معه ومعاداتهم له . وإخراجهم إياه من مكة إلى يثرب . وكيف سينتصر عليهم وينشر الله دينه فى جميع الأرجاء . عرفوا ذلك من كتبهم ، ومن قبل ذلك بقليل . وعلى قيد خطوات قريبة من التاريخ . قال اليهود فى المدينـــة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه :

إنا نجدك فى التوراة .

قال عمر : تجدونى ماذا ؟ قالوا : نجدك قرنا .

قال : أى قرن أكون ؟ قالوا : قرن من حديد صلب صعب .. ولا تدرك مثل هذه الإرهاصات إلا من النصوص النبوية . أو الآيات السماوية ، وقد صح ذكر أمة محمد عليه السلام فى الكتب السابقة ، حتى تمنى موسى صلوات الله وسلامه عليه أن يكون واحدا من هذه الأمة ، كما جاء ذكر ذلك فى خبر الألواح وفى المأثورات .

كذبت يا ابن الأخابث :

وجاء فى أمر عمالة عمرو على عمان ، وخروجه منها أقوال كثيرة ، وروايات عدة ، أجتزأت ببعض منها اكتفاءا بما رددده أو أورده بعض المؤرخين والفقهاء والعلماء ، وإن كان بعض هؤلاء يوسع الهوة ، أو يعمق الفجوة أو يباعد البين أو يظهر الأمر فى صورة لاتتفق والواقع الذى تحريناه ونتحراه دائما فى كل كتاباتنا ولقد تولى عنا أمر كشف الحقيقة فى هذا الموضوع ، نفر غير قليل من المؤرخين الأثبات الثقات ، وكفونا مئونة التحقيق وارتياد الطريق الصعب فى هذا المشوار الطويل ، وعلى رأس هؤلاء المحققين ، أبو اليقظان فى كتابه « الأباضية فى شمال أفريقيا » وسليمان الباروني فى « الأزهار الرياضية » ونور السالمى فى « اللمعة المرضية » وابن الدبيغ الشيباني فى « تيسير الوصول » وأبو دواد السجستانى ، والبغدادى ، والجواليقى ، والخفاجى ، والذهبى ، والسيوطى وغيرهم فى مؤلفاتهم ، فلقـــد أجمع كل هؤلاء فى تواريخهم ، على أن عمرو بن العاص حين هم بالعودة إلى المدينة — حيث مقر الحكومة الاسلامية — صاحبه فى عودته عبد بن الجلندى لسان الملك الذى انتخب فى رحلته تلك من أعيان قومه ، جيفر بن جشم ، وأبا صفرة سارف — أو سارق — بن ظالم من كبار الأزد ، وشواخهم ومرمى الأبصار ومحط الأنظار فى عمان . واصطحب معه الحراس والخفراء من الأزد وعبد قيس ، عملا بالتقاليد العربية المرعية آنذاك . ومر فى طريقه على المنذر بن ساوى حاكم البحرين ، كما مر كذلك على بنى حنيفة ، وخرج إليه بعض رجالهم لحراسته وتحيته ، حتى نزل أرض بنى عامر على قرة بن هبيرة القشيرى ، وقيل خرج قرة لملاقاة عمرو فى مائة رجل من قومه احتفاء به واحتفالا لمقدمه وطمعا فيه فيما بعد . وأقبل عمرو بن العاص يلقى الناس مرتدين عن الإسلام حتى أتى ذا القصة فلقيه عيينة بن حصن خارجا من المدينة وهو يقول له :

إن جعلت لنا شيئا كفيناك ماوراءنا . فقال له عمرو : وما وراءك ياعيينة ؟ ومن ولى أمور الناس ؟

قال عيينة : أبو بكر هو الذى ولى الأمر . فقال عمرو : الله أكبر .

قال عيينة : لقد أستوينا ياعمرو نحن وأنتم .
قال عمرو — فى أنفعال وغضب — :

كذبت يا ابن الأخابث من مضر ، وصار عيينة . وجعل يقول لكل من يلقاه من الناس : أحبسوا عليكم أموالكم .

قالوا : فأنت ماتصنع ؟

قال : ماعاد رجل من فزارة يدفع إليه عناقا واحدة .

ثم لحق بطليحة الأسدى وظل عنده ومعه ، حتى إذا فرغ خالد بن الوليد من بيعة بنى عامر ، صال على عيينة هذا صولة الأسد الباسل . وأوثقه وأوثق معه قرة بن هبيرة القشيرى . وساقهما كما تساق الأنعام والسوائم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : وقدم خالد بن الوليد بهما إلى المدينة فى وثاق ، فنظرت إلى عيينة بمجموعة يداه إلى عنقه ينخسه الغلمان والصبية بالجريد والأعواد ، ويرمونه ، ويرجمونه بالطوب والحجارة ، ويقولون : أى عدو الله أتكفر بعد إيمان ؟

فيقول : والله ما كنت آمنت ...، ومع هذا كله ، ومع ذلك ، فلقد عفا عنه أبو بكر وأعطاه الأمان ، كما فعل ذلك كذلك مع قرة ابن هبيرة تأليفا لقلبيهما

وعتابا لأمثالهما ، ومعاملة طيبة تلين الصخر ، وتذيب الحجر ، ومن المعاملة الكريمة ما هو أفعل من الجيوش ، وأعمل من الحروب ، وأكثر عائداً فى النفوس من كل عدة وعتاد ، وحشد أو تعبئة .

طموحات ونبوءات :

ويروى أيضا عن بعض طموحات عمرو بن العاص — كما ذكر ابن الأثير فى « الكامل » — أنه سأل اليهودى الذى التقى به فى صحار — والذى أخبره عن وفاة النبى ﷺ — : ومن يكون بعده ؟ فقال : أبو بكر ، وان مدة خلافته قصيرة ، ثم يلى بعده رجل من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ، ثم يلى بعده رجل من قومه تطول مدته ويقتل عن ملأ .. قال عمرو : فذلك أشهر ، ثم يتابع اليهودى قوله ، فيقول : ثم يلى بعده رجل من قومه ينتشر الناس معه ، وتكون على رأسه حرب شديدة ، يقتل قبل أن تجتمع الناس عليه ، ثم يلى بعده أمير الأرض المقدسة ، فيطول ملكه ، ويجتمع عليه طلاب الدنيا ، وذو المنافع والأغراض ، ثم يموت .

وكان الرجل الذى تطول مدته ويقتل غيلة ، هو عمر بن الخطاب ، والرجل الذى تطول مدته ويقتل عن ملأ هو عثمان بن عفان ، والرجل الذى تكون على رأسه حرب شديدة ، ثم يقتل قبل أن يجتمع الناس عليه ، هو على ابن أبى طالب والرجل الذى يكون أمير الأرض المقدسة ، ويطول ملكه ويتبعه ذوو الأهواء والأغراض هو معاوية ابن أبى سفيان ..

وهنا يسر ابن العاص إلى نفسه بشىء — بعد الذى سمعه من اليهودى — ويصر فى أعماقه مستقبلا على تحقيق ذلك الشىء ، مهما كلفه من ثمن ، كما يورد ذلك

« جيمس هنري » فى كتابه « العصور القديمة » طبعة بيروت ١٩٢٦م ، والمح اليه الدكتور عبد الرحمن بدوى فى « التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية » . وألقى الأضواء على بعض جوانبه الدكتور البهى فى « الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى » .

وجعل التاريخ يركض :

واستمر التاريخ فى حديثه عن الشوط الطويل الواسع الذى قطعه عمرو بن العاص فى عمالته على عمان . وفى طريق عودته منها ، ثم وصوله أخيرا — هو ومن معه من وجهاء وأشداء الأزد ، وعلى رأسهم ملك عمان البطل الهمام عبد بن الجلندى — إلى المدينة حيث مقر الحكومة الإسلامية الجديدة ، وجمعهم اللقاء وجها لوجه مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، وتلقاهم أبو بكر وشكرهم ، وأثنى عليهم ، وأدنى مجلسهم منه ، وقربهم اليه ، وأشاد بفضلهم وفضل عمان والعمانيين جميعا بين جموع المسلمين الملتفين حوله ، وحرق بخور الثناء عليهم ، وأزكى عطر أخلاقهم ونشر أريج سلوكهم ومحامدهم فى آفاق الدنيا ، وفوق اجواء وسماوات العالم كله من مشرقه إلى مغربه ، ومن أقصاه إلى أدناه حيث آمنوا طائعين أو وصلوه مذعنين خاضعين ، فى حين أن الجزيرة كلها لفتها غاشية من الفتنة ، وموجة هوجاء من الشك والارتداد ... وتتابع الخطباء فى ساحة ، وفى ساعة اللقاء ، وتقدم سارف بن ظالم — بين يدى الخليفة — نائبا عن كل العمانيين خطيبا . فحمد الله واثنى عليه . ثم قال : ياخليفة رسول الله .

هذه أمانة كانت فى أيدينا وفى ذمتنا ، وديعة لرسول الله ﷺ ، فقد برئنا منها إليك اليوم، وتخلت أعناقنا عن ثقلها، وها هى دونكها يا امام المسلمين — ودفع إليه شيئاً — .فقال أبو بكر رضى الله عنه : جزاكم الله خيرا يا أهل عمان ، يا أهل السبق والفضل والعطاء والبذل ،... وتوالى المسلمون والخطباء من فوق المنبر ، وفى المسجد بالثناء على أهل عمان . وقالوا — فيما قالوه — : كنا كم معاشر الأزد العمانيين قول رسول الله ﷺ فيكم ، وثناؤه عليكم ، وحمده لكم ، لقاء ما فعلتم ، وجزاء ما قدمتم من المآثر والمفاخر ، والمعطيات والمكرمات .

ثم قام عمرو بن العاص — وإلى عمان — فلم يترك شاردة ولا واردة . ولا شيئا قط من الثناء والمجد والدعاء والحمد . إلا قاله فى الأزد وفى جماعة عمان جميعاً .

وتعاقبت وجوه الأنصار . ووجهاء المهاجرين من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد بن الجلندى ملك عمان ومن معه..واستضافهم أبو بكر بخير ما يستضاف عليه القادمون الأحباب الأضياف فى عواطف أهل المدينة ووجدانهم، وبين حنايا هم وخواطرهم ، وفى ضمائرهم ومشاعرهم .

معاشر أهل عمان :

فلما كان من الغد أمر الخليفة أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والانصار وقام فيهم خطيبا . وقال — بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر النبى صلوات الله وسلامه عليه — :

« معاشر أهل عمان . . إنكم أسلمتم طوعا ، لم يطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشقيت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ووحد إلى طريق الحق جمعكم ، وثبت فوق ساحته أقدامكم ، وهدا كم جميعا إلى صراط مستقيم ، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعا كم على بعد داركم ، وأطعتموه إذ أمركم ، على كثرة عددكم ، وعدتكم ، وعتادكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ؟ وأى فعل أشرف من فعلكم ؟ كفا كم قول رسول الله ﷺ فيكم إلى يوم الميعاد ، ثم أقام فيكم عمرو — ما أقام — مكرما ، ورحل عنكم — إذ رحل — مسلما ، وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى ، وأعزكم الله بهما ، وأعزهما بكم ، وكنتم على خير حال ، حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وهو انقيادكم للحق وتعزيزكم له ، فحين بلغتكم وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ثبتم على الإسلام ، ولم تنزعزعوا كما تزعزع غيركم من الناس ، ولا تقلقلتم كما تقلقلوا ، وأنتم كثيروا العدد ، وأفروا العتاد ، وأقوى العدد . وقتم مقاما حمدنا كم فيه ، وهو ثباتكم على الحق ، ومؤازرتكم له ، وتأييدكم إياه ، وعضتم بالنصيحة . وأخلصتموها لله ، وصارحتم بها ، وشاركتم بالنفس والمال ، فثبت الله على الصدق السنتكم ، وأهدى بالإيمان قلوبكم — وللناس فى مجال الفتنة جولة وردة ، وفيهم على ساحة الشك زعزعة وحيرة ورعدة — فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، وهو ثباتكم القوى على دينكم ، وفى طاعة ربكم وإمامكم ، واست أخاف عليكم أن تغلبوا على أمركم ، أو تنزعوا من وطنكم وبلادكم ، فقد صارعتم الفرس ، وجدعتم أنف المتكبرين ، وتحديتم المغتصبين الدخلاء . وما عدت أخشى عليكم — بعد اليوم — أن تطردوا من دياركم ، أو ترجعوا عن دينكم ، أو تفتنوا فى شئون دنياكم ، وجزاكم الله عن المسلمين كل الخير والبر والجزاء

يضرب الصخرة بالصخرة :

وفى « مناهل العرفان » للزرقانى ، و « الفكر اليونانى » ، و « الأدب الهيلينى » لغلاب ، و « تاريخ الفلسفة الإسلامية » لمصطفى عبد الرازق ، و « جمهرة أنساب العرب » للمستشرق « ليفى بروفنسال » ، وبعض المتحدثين من شيوخ التاريخ : أن عبد بن الجلندى ، لما قدم على أبى بكر رضى الله عنه مع عمرو بن العاص ، وعلى رأس السبعين فارسا الاشاوس من أبطال الأزد العمانيين — وبعد أداء مراسم الاستقبال وتلاوة الخطب . والقاء الكلمات — استنهض أبو بكر — ومن معه من رجال عمان — لضرب آل جفنة المرتدين من أزد الشام وغساسفته ، وهم بنو جفنة بن عمرو من غسان من الأزد من القحطانية ؛ ولم يجد أبو بكر حجرا خشنا يرمى به هؤلاء المرتدين العتاة — الذين أثاروها فتنة مجنونة هوجاء ، وأشعلوها حربا طاحنة شعطاء بين قبائل الجزيرة — غير الجلندى وأقوامه من أبطال عمان ، ورجال العقيدة والإيمان ، الذين وهبوا أنفسهم فى سبيل الله ، ونذروا أرواحهم من أجل اسعاد الدنيا وامتاع الحياة ، وكأنما أراد الخليفة بذلك أن يضرب الصخرة بصخرة ، وأن يصيب المرمى عن دراية وخبرة ، وأن يهاجم المرتدين ، ويهجم عليهم بالجلندى ورجاله الأقوياء الأشداء ، الذين هم أعرف العرب بمصادر الحروب وموادها .

وقديما قيل : لا يفل الحديد إلا الحديد ، ونهض عبد بن الجلندى ، وخرج على رأس قوة ضاربة من أعيان المهاجرين والأنصار ، والرماة الأشاوس الأحرار ، من عبقرة الأزد وعمالقة عمان . وشوامخ العرب . . . وأتى الجلندى ديار جفنة فى الشام ، وقضى على الفتنة هناك فى مهدها وكان فى المعركة — وتحت امرة الجلندى — مع جيشه ، وبين جنوده — حسان

ابن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ، فما ان عاد الجلندى وجيشه حتى قام حسان بين ظهراني المسلمين — على مرأى ومسمع من أبي بكر — يعلن في خطاب فياض ثناءه البليغ ، وحمده الكثير على عبد بن الجلندى ، وفاخر بأفعاله الحربية ومواقفه البطولية وأعماله التي لا يجيد أفعالها إلا البطل الأزدي العماني في أكثر مقاطع الخطاب ، وكان فيما قال : ولقد اشتهر من قبل مقام عبد في الجاهلية كما اشتهر اليوم في الإسلام واستطاع أن يفرش بساط المجد تحت أقدامه ، وان يضرب قبة الفخار فوق رأسه وهامه ، وإني والله لم أر رجلا هو أحزم . ولا بطلا أحسن رأيا وتدبيرا من ابن الجلندى . لاسيما في حربه وضربه ، ومنازلة الأعداء ، ومطاردة المتسللين والدخلاء وهو — والله — ممن وهب نفسه لله في يوم غار منه صباحه ، واظلم فيه ضوؤه ومصباحه ... فتهلل وجه ابي بكر رضي الله عنه من هذا القول ، وسر أيما سرور بما سمع ، وقال : هو كما قلت — وفوق الذي قلت — يا ابا الوليد . والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله ... فلما بلغ ذلك ابن الجلندى بعث إلى حسان بن ثابت بمال عظيم وأرسل اليه قائلا : إن مالي يعجز عن مكافأتك ، فاعذر فيما قصر . واقبل ما تيسر .

من أبي بكر :

ثم إن ابا بكر — فيما يروى رواة التاريخ وثقاته . وأئمته واثباته . وما عليه شيوخ المؤرخين — أرسل كتابا إلى أهل عمان ضمنه شكره لهم ، وثناءه عليهم ، وثقته فيهم ، وأقر في الكتاب جيفرا . وأخاه عبداً على ملك عمان ، وأيدهما وشد عضدهما . وقوى ملكهما ، وجعل لهما أخذ الصدقات ، وإدارة المرافق والمؤسسات ، واصلاح شئون الناس . والتصرف في كل ما يمس سلوك الحياة . ويأخذ بأقدام القوم على طريق الحق .

ومنهج العدل ، وذاتية الإسلام ... وشكر أهل عمان جميعا ، وخاصة الوفد منهم .. وزودهم بما فيه خيرى الدنيا والدين ، وأرجعهم إلى عمان محترمين مكرمين وجاء فى كتاب « معركة صفين » لابن مزاحم المنقرى ، ومخطوطة « مقدمة التوحيد وأصـــول الفقه » للشماخى ، و « أسد الغابة » لابن الأثير — صاحب الكامل — :

إن أبا بكر استعمل عكرمة بن أبى جهل القرشى على عمان ، ثم عزله وسيره إلى اليمن ، واستعمل على عمان حذيفة القلعانى — أو القلهاتى — وضبطه الطبرى فقال : حديفة بن الحصين الغلفانى بالغين والفاء

ولما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر الخلافة بعد أبى بكر ، عزله عن عمان وولاه اليمامة ، وولى على عمان والبحرين عثمان بن أبى العاص الثقفى ،.

ويسترسل التاريخ فى مذكراته وذكرياته — عن قضية عمان — فيقول : وفى أيام أبى بكر وقعت « حادثة دبا » من أعمال عمان ، فلقد وجه أبو بكر حذيفة بن الحصين ، أو ابن المحصن — الذى كثر تحـــرى المؤرخين فى ضبطه — وهو من بارق ، إلى عمان واليا عليها ، وكان حليفا للانصار ، وكان له بعمر ودراية ، فصدقهم ، أى لعله كان أميرا فقط على الصدقة .

إقطع رأسها قبل أن تطل :

وفى خبر تداوله بعض المؤرخين ، وتناوله المجتهدون منهم فى كتاب « المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار » للمقريزى :

إن أبا بكر رحمه الله ، وجه حذيفة إلى أهل « دبا » وأمره بأخذ الصدقة منهم فقط فلما صار فى ولد الحارث بن مالك بن فهم ليعدقهم ، تناول بعض عماله خطأ غير

مقصود مع امرأة منهم فى أمر الصدقة ، وكادت الفتنة تطل برأسها الشمطاء بين أحياء العرب ، خاصة بعد أن تنادت هذه المرأة بدعوة الجاهلية : « يا آل مالك » ولاسيما بعد أن انتشر أمر الردة بين قبائل الجزيرة ، وفوق ربوعها وفى أحيائها وكل فجاجها ، وسارع حذيفة إلى بنى الحارث وأغار عليهم ، وقبض على أناس منهم وأوثقهم قهرا ، وساقهم إلى المدينة قسرا ، بدعوى الإرتداد الذى اجتهد فيه ، وأدركه من تداعى القوم وتصايحهم وتناديهم وصراخهم ، وخاف الفتنة ، فثار سبيعة بن عراك الصيلمى ، والمعلا بن سعد الخمامى — وهما من زعماء القوم ، وإليهما الحل والربط — وقدما المدينة فى وفد من الناس ، حيث جاؤا إلى أبى بكر وقال قائلهم : ياخليفة رسول الله : إنا على إسلامنا لم ننتقل عنه قيد أنملة ، ولاحجم شعرة ، ولم نمنع زكاة ، ولم ننزع يدا من طاعة ، ولم نرجع عن دين ، وقد عجل علينا عاملك حذيفة ، وأوثق أكتافنا ، وربط أيدينا إلى أعناقنا . وأتانا إليك كما ترى . .

فقال أبو بكر : أصنع بكم ماصنعت بالعرب إن شاء الله .

وفى رواية : إن المعلا بن سعد الخمامى ، وسبيعة بن عراك الصيلمى — وهما من زعماء أهل دبا بعمان ، وإليهما الحل والعقد — قدما المدينة ، وقد مات أبو بكر الصديق رحمه الله تعالى وتولى أمر الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكلماه فى سبى أهل دبا . وقال المعلا بن سعد — فيما قال — :

ياأمير المؤمنين ، إن حذيفة بن محصن — أو بن الحصين — تعدى طوره ، وعظم فى الناس حدثه وأمره ، ولزم العسف فى المعاملة ، وأذل الأقوام ، وربطهم فى وثاق القهر والأسر ، والضعة والمهانة ، واتهمهم بالردة ، ومنع الصدقة ، وترك الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وساقهم إلى سلفكم أبى بكر — عليه رحمة الله —

أسارى مقهورين ، واستباحهم وأموالهم ، على أنهم غنيمة المسلمين .

فقال عمر : يامعلا ... إن فى الحق سعة ، وكف غربك أولى بك ، ولقد سوى الإسلام بين الناس . فرفع الضعيف الوضيع ، ووضع الشريف الرفيع ، إذا خالف الحق ، أو حاد عن الجادة ، وطريق الصدق ، وأعطى كل أمرىء قسطه ، من خيره وشره .

عمر ... والقضية:

ونظر عمر من جديد إلى القضية بعينه العادلة ،وقلبه المؤمن، وبصره الواعى وعقله المنصف،وفراسته الملهمة — لاسيما بعد أن استنكر كبار الصحابة أسلوب التعامل الذى مارسه حذيفة مع أهل دبا — فأبطل حكم المصدق ، ونقض رأيه ، ورد السبايا إلى بلادهم — عمان — مكرمين معززين ، وقد أعطاهم من بيت المال ماجبر به خواطرهم ، وهون عليهم مصائبهم ، وخفف الوطأة، أو أزاحها عن أكتافهم وكواهلهم ، ثم التفت بقوة إلى حذيفة، واستدار نحوه بعصبية وثورة

وقال له — فى غضب وعنف مارئى عمر على مثلهما أبدا — :

لو كنت أعلم أنك فعلت مافعلت شرعا خمنته ، أواجتهادا ارتأيته ، أو دينا تأولته ، دون الرجوع إلى ، أو إلى فقهاء المسلمين وعلمائهم ، لقطعتك طوائف وأجزاء، ومزقتك أبضاعا وأبعاضا ..

وكان الناس قد تقاولوا كثيرا فى أهل عمان ، وردتهم ، وخروجهم من ربقة العقيدة ، ورباط الدين ، ورحابة الاسلام والإيمان ، بما لم يدع متأبأ أو مآبا لتائب أو آيب ...

وهكذا فوت الخليفة الثانى ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — بثاقب

فكره ، وصائب نظره — على هؤلاء المعوقين المرجفين أغراضهم الدنيئة، ومراميهم الجبانة الخبيثة ، فى اتهامهم أهل عمان ، وجماعة دبا بالردة عن الحق ، والرجوع إلى الكفر ، واللجاج فى الدين .. والعناد فى العقيدة .

إستغراب واستعجاب :

وهكذا قضى عمر على الفتنة فى مهدها ، وقبرها موءودة فى لحدها ، قبل اشتعال نارها ، أو تطاير شررها ، أو زحف شرها ، أو امتداد خطرها .

وإلى الآن أتساءل — فى استغراب واستعجاب ؛ ودهول ودهشة — كيف يرتد أهل عمان ، وأستبعد ذلك منهم، أو وقوعه بينهم وفى مجتمعهم ؟

كيف يرتد أهل عمان ، وقد أسلموا لله طائعين ، وأذعنوا للحق راغبين ؟

كيف يرتد أهل عمان وقد سمع العالم كله ماقاله أبو بكر فيهم، وعنهم — وقد

اسلفت ذلك آنفا — حيث قال : معاشر اهل عمان ، إنكم اسلمتم طوعا ولم يطأ رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، ولم تجشموه كما جشمه غيركم من العرب، ولم تكلفوه المشاق التى عانى منها فى سبيل الدعوة إلى الله مع سواكم ؟

فإن أهل مكة أقاربه وعشيرته وذويه آذوه ، وطردوه ، وأخرجوه ، حتى نصره الله برجال من الأنصار ، آزروه ونصروه ، وتقاسموا معه العقار والمال ، وكانوا وإياه يدا واحدة ، وعلى قلب رجل واحد . فى الحل والترحال ، وانتم ياأهل عمان لم ترموا بفرقة جماعة ، ولا قطيعة رحم ، ولا تشتت شمل ، ثم دعا لكم دعاء طيبا فى حديثه عنكم ، وعن بلدكم ، مع الصحابى الجليل مازن بن عضوبة، وشكركم المسلمون جميعا شكرا عظيما على موافقكم وافعالكم من اجل الدعوة الاسلامية ؟

وجعل أبو بكر يسترسل فى الحديث مع أهل عمان الاتقياء الاوفياء ، ويحكى عنهم الحال التى سر النبى منها تجاههم، فقال — فيما قال — : ثم بعث اليكم — صلوات الله وسلامه عليه — عمرو بن العاص بلاجيش ، ولاسلاح ، فأجبتموه إذدعاكم على بعد داركم ، وكثرة عددكم ، وأطعتموه إذ أمركم ، فأى فضل ياأهل عمان أبرمن فضلكم ؟ وأى فعل أشرف من فعلكم ؟ وكفاكم شرفا إلى يوم القيامة والميعاد ماقاله رسول الله ﷺ عنكم وفيكم — للصحابى الذى أرسله عليه السلام إلى قوم لأمرما .. فسبوه وضربوه — : ولو أنك أتيت أهل عمان ماسبوك وما ضربوك ، بل كانوا قد أهلوابك وأكرموك».

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول دائما وكثيراً — كما يروى ذلك المؤرخون ويعيه التاريخ — فى أهل عمان : اللهم ثبت ألسنتهم على قول الصدق ، واهد قلوبهم دائما إلى طريق الإيمان والحق .

تلك هى عمان — مهد الحضارة الإسلامية — فى منظور أبى بكر ومنطوقه . وهذه هى تزيهاته بها ، وإشاراته إليها ، وشهاداته لها . فأين دعوى الارتداد إذن؟، وأهل عمان من عهد النبوة حتى اليوم ، مازالوا — ولن يزالوا أبدا — ثابتين على إسلامهم ، أوفياء لعهودهم مع الله، أمناء على أداء ما ائتمنهم عليه رسول الله ؟

ذلك هو الصدق ، وهذا هو الواقع والحق ، وتلك هى عمان معاذ الهدى واليقين ، وملاذ العقيدة والدين . ومهوى الأفئدة ، ومعقد الآمال .

فماذا اذن بعد ، مع هذا الكذب وذلك المحال ؟ وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولعمرى لست أدرى من أين بدأ مشوار هذه المقولة الماكرة الخبيثة عن عمان وأهلها الطيبين الأخيار فوق خريطة التاريخ ، وبين أبعاد الحقيقة والواقع ؟

جميعا من الأزد :

هذا .. ويلاحظ ان اهل عمان جميعا من الأزد الذين يتصل نسبهم إلى نبى الله هود عليه السلام .

وللازد القدح المعلى ، والمكانة السامية ، والمنزلة المنيعة الرفيعة فى عالم العروبة والإسلام . لاسيما بين ربوع عمان ..

إذ أن يعرب بن قحطان ـ أول من القى البذور العربية فى أرض عمان ـ من الأزد، وكذلك مازن ـ أو مالك ـ بن عضوبة بن حيان بن طيىء السمابلى ـ أول من تلقى الإسلام على يدى الرسول ﷺ وألقاه فى البيئة العمانية ـ من الأزد أيضا . وكذلك كان أسبق الناس إلى صحبة الرسول صلوات الله وسلامه عليه من العمانيين الأزد بين ، أصحابا ، وصاحبات .

كما كان منهم الرواد الذين ارتادوا مجاهل العالم ، واكتشفوها ، فكريا . وعقائديا . وجيولوجيا .. وجغرافيا . . ولغويا ، وتكنولوجيا . وعلمياشموليا على وجه العموم ...

ومنهم كذلك القطاحل الافذاذ من العلماء العباقرة الذين أفضوا وأفاضوا الشىء الكثير الوفير .

ومنهم القادة الأشاوس الذين اخذوا على عواتقهم تحرير كل مغصوب ، وتخليص كل مكروب ، ومساعدة كل محتاج . وذرع مساحات الدنيا جيئة وذهوبا للأخذ بناصر الإنسانية ، والوقوف بجانبها ، حتى تستكمل الشوط ، وتدور مع المشوار فى سبيل ترقية الحياة . ومن اجل افساح الطريق امام مسيرة الإنسان .

ومن الأزد ـ ومن اعلا انماطهم فى ارض عمان العربية ـ هؤلاء الشوامخ من الملوك والسلاطين ، العـــدول الأمناء . الأتقياء الأوفياء .. الذين افاضوا العدل ، ووضعوا الموازين القسط فى معاملات الناس ، وتعاطى اساليب الحكم

والسلطان ، وإذن فمن حق الأزد — وقد عرفت فضلهم — على كل مشتغل بالفكر الإسلامي ، والتأصيل العربي ، أن يقف معهم لحظات ، في أغوار التاريخ ، ومنعطفات الماضي ، وجيوب — أو دهاليز — المتغيرات الحادة الجادة ، ومع الأحداث الكبيرة المثيرة التي أثاروها على حقب متفاوتة ، من عمر الزمن ، ليطلع عليها ويعايشها كل مفتون بسلوكهم ، أو معجب بطريقهم ، في التعامل مع الحياة .

من حق الأزد على شيوخ الإسلام وشبابه ، وشيخاته وشاباته .

من حق الأزد على آباء العروبة وأمهاتها ، وصبيانها وصبياتها .

من حق الأزد على الصنفين معا — رجالا ونساء — في جميع الأعمار ، ومع مختلف الألوان .

من حق الأزد على كل هؤلاء أن يقفوا له ، وأن يحتفوا به ، وأن يحتشدوا في موكبه ، تعظيما وسلاما ، وتقديرا واكبارا .

وكان من الأزد تلك الطوابير العديدة المديدة — من أزل الدنيا إلى أبدها — على ساحات المجد ، وفوق مساحات أو مسافات العبقرية والنبوغ ، والإبداع والإبتكار ، وقد شرقت بهم الحياة وغربت ، ويامنت وياسرت ، وأتهمت وأنجدت وسارت بهم في كل منحى واتجاه ، في أمور الدنيا وشئون الحيـــاة .

وقد بعضهم إلى الشام ، واستقرت أرومتهم وأمومتهم في عمان ، عبر رحلات وهجرات ، وأفواج ، وأمواج ، ومسيرات وأشواط ، تكفل بها التاريخ ، ووقف معها بجميع مؤشراته ودلالاته .

فالأزد .. هو ابن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود نبي الله عليه السلام .

وولد الأزد نصرا ، ومن نصر تناسل مالك ، ومن مالك بن نصر تفرقت القبائل والبطون والأفخاذ .

ومن تلك القبائل قبيلة « أزد شنوة بنى عثمان » ، وهو عثمان بن نصر بن عثمان ابن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن الحارث بن مالك بن نصر بن الأزد .

ومن الأزد راسب ، الذى ينتسب إليه عبد الله بن وهب الراسبى ، أول الخوارج الذين خرجوا مجاهدين فى سبيل الله .

فى كل مكان :

وقد تفرعت من الأزد — بعد ذلك — أمم شتى ، وأقوام لاتحصى ، أو تستقصى ، فى العراق والشام . وما إليهما من البلدان المتفرقة ، وفى أفريقيا عموما وفى شرقها على وجه الخصوص .

ومن ذريتهم الملوك والسلاطين فى أنحاء الجزيرة العربية ، ولاسيما دول الخليج وبالذات ، أو بالأخص السادة النجب ، والكواكب الشهب من ملوك وسلاطين بوسعيد فى عمان .

ومنهم من أوقد النار بكل يفاع من الأرض لتفد إليها الضيوف والوفود ، وذوو الفاقات ، والحاجات ، والتائهون ، والحيارى ، عبر الصحراء ، وفى أعماق الجزيرة .

ومنهم من بنى المنازل ، والمناهل ، وترك عليها الأنعام والمواشى ، لإطعام الجائع ، وإيواء الغرباء ، والقيام على إضافتهم ، وزاحتهم ، وانتجاعهم .

وإلى الأزد — كما أسلفت ، وأوضحت — صار الحكم ، والدولة ، والسلطان والملك فى عمان ، حتى يومنا هذا — وبمشيئة الله — إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فمن ولد مالك بن فهم كانت ملوك وسلاطين عمان .

وصح كل ما نسبه التاريخ إليهم من مجد ، وباهى من فخار .

ومنهم نبدأ حركة الحياة صحيحة ، وتنطلق دورتها فى الإطار المحسوب المكتوب ، كما تحركت ودارت ، فى قابل الأيام فيما بعد . وفى عهودهم ، ومعها — شاحة عملاقة — يقاس بها الواقع ، وتمشو على حداها الحقيقة ، وتتشكل فى إطارها ، وبين أبعادها صور الحياة .

وكان من أبناء ، معولة بن شمس بن عمرو ، وذراريهم ما كان ، مما صحت به خطوات المجد الواثبة على طرائق العز والفخار ، وماتوا مع إنطلاقاتها فى مسيرات الحياة إلى الغلبة والانتصار ، وكان منهم بنو كهلان وملوكهم ، ومن ملوك هؤلاء القوم أمرؤ القيس بن عوف بن عمرو بن الحارث بن أدد بن زيد ابن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومن قبائل الأزد — بعد مالك بن نصر بن الأزد — راسب ، وعامد ، وبنو واكبة الفرح .

ومن رجالهم مخفف بن سليم ، وبنو مازن ، وأبو ظبيان الأعرج ، وجندب بن زهير ، ومالك الأهيبة الشاعر ، والحجن بن المرفع ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الشارق لفظ ، وعامد بن جندب الخير .

ومنهم عبد الله بن كعب ، وبنو شكر ، وبنو قطيفة ، ومنهم مالك بن كعب وعبد الله بن زهران ، وزهران بن كعب

وأيضاً مع سائر الفنون :

ومنهم أبو عبادة البحترى الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الله بن شملان ابن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبى حارثة بن جدى بن بدول ابن بحتر بن عوف بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمران بن الغوث بن جلهمة ابن طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب .. الشاعر المشهور .

ومنهم أبو تمام حبيب بن أوس الطائى ، وأبو الطيب المتنبى ، الذى كان الدهر من رواة أشعاره

ومنهم أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المظفر بن زياد بن ربيعة بن الحارث ، بن ربيعة بن أنور بن أسحم ، بن أرقم ابن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن شريح بن جذيمة بن نيم الله بن أسد ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمان بن الحاف بن قضاعة التنوخى المعرى الشاعر المتشائم الفيلسوف .

ومنهم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة .

ومن ذريتهم السلاطين : شمس بن عمرو ، وعناق بن حاضر ، وعصر بن مالك ، والوايد بن عصر ، وبنو الحدان بن شمس .

ومنهم صبرة بن سليمان الحدانى — وكان رأس شنوة — .

ومنهم معولة بن شمس بن عمرو بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ومن ولده كانت ملوك عمان وسلاطينها ، وإليهم صار الملك بعد مالك بن فهم وولده .

ومنهم عبد العزيز بن معولة بن شمس بن عمرو ، وكان من أعز الناس نفسا وملكا ، وهو الذى سبى القباب — موضع بنجد — واستبى منه ألف فارس .

ومن سادة الأزد وشجعانهم ، بنو المهلب بن أبى صفرة ، فلقد تناسل من المهلب ولده ظالم بن سراق بن صبيح بن كندى ، بن عمرو بن وائل بن الحر بن العتيك بن أسد بن عمران بن عمر .

ولم يزل المهلب ظافرا منصورا ، فلقد دعاله على بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص — وكان مستجاب الدعاء — وأخبار المهلب ، وأحاديثه ، وأيامه ومعاركه ، وملاحمه

وسياساته، ودبلوماسيانه ،ودهاؤه، كلهادرر وغرر، تتحلى بها الأخبار ،ويتنافلها القصاص والسمار ، ويقف التاريخ أمامها خاشعا راكعا ، يرقبها على استحياء ، ويرويها فى خفر وحياء .

ومن الأزد بنو خطامة من ملوك اليمن ، ومنهم عبادة بن الصامت ، ومنهم قحطبة أحد نقباء بنى العباس ، ومنهم أبو حنبل جابر بن حجر الثعلبى الذى أجار امرؤ القيس ، ومنهم كعب بن الأشرف ، ومنهم أخـزم بن أبى أخـزم جد حاتم الطائى .

فى الجاهلية والاسلام

ومن مشاهيرهم فى الجاهلية إياس بن قبيصة ، ملك الحـيرة بعد النعمان بن المنذر، ومنهم معتن بن صعتر ، وكان يعد من دهاة العرب .

ومنهم قسامة بن رواحة الشاعر ، ومنهم عبد عمر بن حماد ، وكان خطيب مذحج ، وأمتـــع الناس حديثاً .

وكان من ملوكهم القدماء . الرايش بن شداد . وهو أول التبابعة — وأبوه شداد بن الملظاظ — غزا ملوك الأعاجم ، وسار إلى أرض فارس ، فقتل وغنم وأسر خلقا كثيرا ومالا لاطائل له .

ومنهم ذو المنار أبرهة بن الرايش الذى غزا أرض المغرب ، ومعه ابنه العبد على مقدمة جيوشه ، واستخلف بعده على اليمن ابنه إفريقيش بن أبرهة ، ثم تملك بعده إبنه العبد . فلما مات ملك الأمر ذو شرح الهدهاد بن شراحيل . الذى — يقاله بأنه — تزوج أمرأة من الجن .فأولدها بلقيس التى ملكت بعده وتزوجت نبى الله سليمان — كما ورد ذكر ذلك فى القرآن — « وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم » .

ومنهم ناشر النعم بن عمرو بن شراحيل ،

ومنهم الحارث بن شداد الذى سار نحو المغرب ، وساحل البحر ، ودخل العراق ، ثم توجه إلى الصين ، وكان طريقه إلى ذلك ارض فارس وسجستان ، حتى دخل خراسان ، وهو التبع الثانى ، ومن بعده ولده عميكرب الذى غزا اهل الروم ، ثم حفيده كليكرب ، ويجيىء التبع الثالث — الاسعد بن تبع بن كليكرب الحميرى — الذى بلغ فى مغازيه ما بلغه آباؤه واجداده من تشريق وتغريب ، وزاد عليهم فى الشمال والجنوب ، ثم سار إلى بحر الظلمات ، ودخل بلاد فارس ، وخرج يريد بلاد معد ، ومضى إلى الطائف — بعد ان اكتسح الجيوش وافتتح البلاد — وارسل سراياه إلى هوازن وثقيف ، وانجه — فى مسيرته — إلى اليمامة ، ثم سار أخيراً فى رحلات متتالية متواصلة ، وحروب شرسة رهيبة ، واشواط بعيدة مديدة — عجز التاريخ عن ملاحقتها وتتبعها والكتابة عنها — حتى دخل المدينة ، — يثرب — وارسل إلى اشرافها وذوى الرأى فيها من الاوس والخزرج ...

أبيت اللعن :

ثم إن الاوس والخزرج ناصحاه ، وأخلصا له الرأى والمشورة ، حين قالوا له : أبيت اللعن ، إن اليهود أهل ختل ، وخدع ، وحيل ، فتلك — وأنت التبع العادل — لا يقبل على العقب ، ولا يقبل قول الزور ، وشأنك أعظم من أن يصير أمرك إلى التسرع ، أو إلى ما لا يجمل ، وأنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية ، .. قال التبع — فى تعجب — : ولم ذلك ؟ قالوا : فإنها محفوظة ، وإنها مهاجر نبى من بنى إسماعيل بن إبراهيم ، إسمه « أحمد » يخرج فى آخر الزمان من هذه الثنية — وأشاروا إلى مكة — .. قال تبع — وقد أخذته الدهشة ، وكأنه يستعجل الزمن — : متى يكون ذلك ؟ قالوا له : سيكون هذا الأمر من بعد زمنك بزمان وأزمان .. فوقع كلامهم فى قلب التبع ، ولعله صادف هوى فى

نفسه ، وأمسك عن حرب أهل المدينة ، وانصرف عن رأيه فى حربها وخرابها.. ويستمر التاريخ فى حديثه الأخاذ المذهل — عن هذا التبع — فيقول : وسار تبع نحو مكة فنصب مطابخه فى الشعب — الذى يقال له شعب عبد الله بن عامر — وكانت خيله بمكان إسمه « جياد الخيل » ، وأقام بمكة أياماً ينحر فى كل يوم خمسمائة بدنة ، والناس يأخذون منها حاجاتهم ، وتقع عليها الطير ، ثم تنهشها السباع إذا أقبل الليل ، وأمسى المساء ..

ورأى هذا التبع فى منامه أنه يكسو البيت ، فكساه بالأنطاع ، ثم كساه بالبرود الموشاة من حبرات اليمن ، وطاف بالبيت ، وجعل لبابه مصراعين من الذهب ، ومزلاجاً من أندر المعادن الثمينة الغالية ..

وعن أبى هريرة — بأسانيد مختلفة — قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب تبع الأسعد الحميرى ، وقال : « لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم ، وهو أول من كسا البيت » .

واستمر ملك التبابعة قائماً دائماً ، فمن حسان بن ذى معـــاهن بن تبع ، إلى عمرو بن تبع ، إلى عبد كلال بن مثوب بن تبع ، إلى مرثد بن تبع ، إلى وليعة ابن مرثد بن تبع ، إلى حسان بن عمرو تبع الأصغر بن حسان بن ذى معاهن ابن تبع الأسعد ، وكانت مدة ملكه سبعاً وخمسين سنة ... ثم ملك من بعدهم رجل ليس من أهل المملكة ، ولا من التبابعة ، هو « خشيعة ذو شناز » الذى استمر فى الملك سبعاً وعشرين سنة ، إلى أن قتله ذو نواس من ولد تبع ، وهو صاحب الأخدود الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى سورة « البروج » .

ثم كان ما كان من أمر أبرهة الأشرم الذى ابتنى بيعة لعبادة النصارى فى الطريق من مكة إلى اليمن ، ليصرف بها الحاج عن عبادة الله فى الكعبة ، وأن يجعل حج العرب إليها ، فأهم ذلك العرب وأغمهم ، وبيتوا بينهم أمراً ، وأداروا أقداح الرأى فيما يتخذون حيال ما أحدثه أبرهة الأشرم ، فقال « القليس الكنانى » -

وهو من دهاة العرب وعظمائهم ، وكان من نسأة الشهور - أى الذين يقدمون ويؤخرون فيها — إذ كان يقف عند جمرة العقبة ، ويقول : اللهم إنى ناسىء الشهور ، وواضعها مواضعها ، ولا أعاب ولا أجـــاب ، اللهم إنى قد أحللت أحد الصفرين ، وحرمت صفر المؤخر ، وكذلك فى الرجبين رجب وشعبان... إنفروا على إسم الله أيها العرب ، أقول : قال القلمس الكنانى للقوم — الهائجين المائجين — : أنا أكفيكم ذلك ، وأكفيكم أمر ابرهة هذا .. ثم سار حتى ورد على ابرهة ، وقال له : أنا رافد قومى عليك ، وانهم سيحجون لبيعتك من قابل فسر به إبرهة وأكرمه ، حتى إذا كان يوم عيد الحبشة ، واشتغل الاحباش بملاعبهم وخمورهم ، أقبل القلمس الكنانى وسلح فى البيعة ، وأقذر حيطانها . ثم قفل راجعاً إلى مكة المكرمة .

وغضب لذلك ابرهة اشد ما يكون الغضب ، ثم بعث إلى النجاشى يستأذنه ويستمده العون فى حرب العرب ... واعتزم المسير إلى البيت ليهدمه ، وساق الجحافل والجيوش تتقدمهم الفيلة والأفراس ، فى عدد وعدة ، وتهيئة وتعبئة لم ير الراءون مثلها قبلا .

يا أبناء حمير :

وهنا هب العرب عن بكرة ابيهم ، ونصـــايحوا على المعركة ، وتنادوا متجمعين ، وقالت حمير : ، والله ، يا معشر حمير ، لئن سار ابرهة إلى البيت الحرام يريد هدمه ، ولم تقاتلوه ، ولم تمنعوه عن ذلك ، اشتد غضب الله عليكم ، وعلى سائر العرب ... فنزلت حمير من جبالها ، وعليها ذو نفر بن الانقاع الحميرى ، فساروا حتى لقوا ابرهة ، وقاتلوه قتالا شديداً ، فانهزمت حمير ، وانكشفت ، فلحقت بأجبالها ...

وثبت ذو نفر حتى أسر ، فأتى به ابرهة ، فكلمه فيه مضارب بن سعيد

الحيرى ، فاستبقاه ... ثم إن ابرهة وجه الأسود بن مقصور — وهو قائد من قواده — من تهامة ، وعهد إليه ، فســـار حتى أوقع بقيس ، وبنى عقيل ، وأسروا فيمن أسروا خالد بن كعب بن كلاب ..

ثم سار حتى قدم تهامة ، فأخذ ما أصـــاب من سبى ، وأخاف أهل الحرم ، وكان جيشه كلهم من السود ، ليس فيهم عربى إلا دليل ، وأقام الأسود بتهامة ، وكتب إلى أبرهة بما يصنع ..

فسار أبرهة — بعد ما هزم ذا نفر — فجمع له نفيل بن حبيب الخثعمى خثعماً كلها ، ثم سار إليه ، فوافقه . فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت خثعم ، ولحقت بجبالها ، وأسر نفيل بن حبيب ، فأتى به إلى أبرهة . فقال له نفيل : استبقنى ، أكن دليلك فى أرض العرب ..

فاستبقاه أبرهة ، فسار به نفيل حتى انتهى إلى البيت الذى كانت ثقيف تعظمه بالطائف ، وأراد بذلك صرفه عن الحرم .

وقال نفيل : أيها الملك ، دونك هذا البيت الذى أردت ، فاهدمه ، وأصنع بأصحابه ما شئت ، فقال له مسعود بن معتب الثقفى : ليس هـذا البيت الذى أردت ، بل هو أمامك ، وإن الأسود بن مقصور دونه ينتظرك ...

وبعث مسعود بن معتب رجـــلا من ثقيف دليلا لأبرهة إلى الحرم ، فسار معه الدليل الثقفى ، حتى أورده مكة ، وعظم أمره فى قلوب أهل تهامة ، وهربوا منه حتى لحقوا شواهق الجبال ،.

أعجبتك ثم زهدتك :

وكانت طلائع الجيش — فيما نهبوا من أموال كنانة — قد أخذوا إبلا لعبد المطلب بن هاشم ، فأقبل عبد المطلب بن هاشم حتى أتى عسكر أبرهة ، يطلب

رد إبله ، فدخل على ذى نفر الحميرى — وكان صديقاً له — فقال : هل عندك حيلة أدخل بها على أبرهة ؟ فقال ذو نفر : وأى حيلة عند بحوسى ؟

فكلم ذو نفر أنيساً سائس الفيل، وقال له : يا أبا رباح ، هذا سيد قريش ، وصاحب هذا البيت، فاستأذن له على الملك .

فدخل أنيس وأدخل معه عبد المطلب على أبرهة ، فأعجب به أبرهة وقال : سل حاجتك .

فقال : ماثتا بعير ، أخذها الأسود بن مقصور .

فقال أبرهة : لقد أعجبتنى حين ظننت أنك لا تسألنى مالك دون دينك ، أنا أريد أن أهدم بيتكم الذى تحجونه ، وهو عزكم ، وأنت تطلب منى إبلا ؟

فقال عبد المطلب : إنما طلبت إبلى ، وأما البيت فإن له رباً سيمنعه ويحميه، فردوا عليه الإبل ..

وأتى عبد المطلب قريشاً ، وقال : قد أتاكم ما لا طاقة لكم به ، فارغوا إلى ربكم ، ثم أخذ بحلقة الباب ، وقال :

يارب لا أرجو لهم سوا كا ... يارب فامنع منهموا حماكا
يارب لا يغلبن من عصا كا ... إن عدو البيت من عاداكا

فلما أصبح أبرهة ، وتهيأ لدخول مكة ، وعبأ الحبشة ، وقدم الفيلة ، أقدم نفيل بن حبيب الخثعمى ، فأخذ بأذن الفيـــل ، وهو يقول : إنزل محموداً ، وارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك فى حرم الله وكنفه ...

فبرك الفيل ، ولم يتحرك ...

وخرج نفيل يعدو حتى صعد الجبل ، وضربوا الفيل ، فقام ، فوجهوه إلى

البيت ، فبرك ، فوجهوه إلى المغرب فارتد ، فوجهوه إلى البيت ، فبرك .

فصاح أنيس — سائس الفيل — : أيها الملك ، نفيل سحر الفيل .

قال : أطلبوه .

فجعلوا يصيحون : يا نفيل ... يا نفيل ..

وأرسل الله عليهم طيراً أبابيل كأمثـــال الخطاطيف ، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، فى كفيه ومنقاره ، أمثال الحمص . كما يقرر ذلك المفسرون

فلما غشيت القوم ، أرسلت عليهم ما معها من الحجارة ، فلم تصب الحجارة إلا السود ، فكانت تصيب الأسود بين الأبيضين .

قال عبيد بن شرية : أخبرنى رجل قال : قد أصيب أسودان ، وأنا بينهما ، فنظرت إليهما والحجرة تقع على اليافوخ ، فتمر على جوفه إلى الدابة ، فتنفذ إلى الأرض ، فلا يرى شيئاً .

وجعلوا يسألون عن نفيل ، فلم يجبهم أحد .

بعدت بلادك عنا :

وخرج الأحباش العادون يتساقطون فى كل طريق ، وأصيب أبرهة أيضاً ، فخرجوا به متوجهين إلى صنعاء اليمن ، فجعلت تسقط أنامله ، وكلما سقط إصبع أتبعها دم وقيح ، حتى قدموا صنعاء ، وهو مثل الفرخ ، فانصدع قلبه فمات .

فملكت الحبشة عليهم يكسوم بن أبرهة ، فلم يلبث أن هلك هو الآخر ، فقام مقامه أخوه « مشرق بن أبرهة » .

وكان ابن ذى يزن ، واسمه النعمان بن الحارث بن قيس بن معدى يكرب ابن عبد سيف بن ذى يزن ، وهو عامر بن أسلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس

ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن سبأ ، ومن قبل ذلك بمدة كان قد خرج حتى قدم على قيصر الروم يستمده على الحبشـــة ، فطله القيصر ثلاث سنوات، ثم مال إلى النصرانية ، فلما عرف ابن ذى يزن ذلك خرج من عنده ، حتى قدم على النعمان بن المنذر اللخمى ، وكان النعمان يأتى كسرى مرة فى كل خمس سنوات، وذهب ابن ذى يزن مع النعمان حتى دخلا على كسرى فى إيوانه وناجه معلق فيه كالقنديل ، يتقد بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فى سلسلة من ذهب فى رأس إيوانـه ، فلما دخل ذو يزن من باب الإيوان طأطأ رأسه ، فلما وصل إلى كسرى كلمه ، وشكا إليه ما هم فيه من أمر الحبشة ، وسأله أن يبعث فيهم جنداً لمحاربتهم..

فقال له كسرى : بعدت بلادك عنا .

فقال له ابن ذى يزن : إنما نريد من الرجال سمحة بقدرما يذهب بها الصوت، فانى لو صرت إلى بلدى لصار إلى من الخيل والرجال ما شئت .

فقال له كسرى : أنظر فى حاجتك وأرى رأيى.

ثم دعا بطعامه ، وجلس مع ذى يزن يؤاكله ، ووضع كسرى ألواناً من الطعام بين يدى ابن ذى يزن ، وقال لرجل من أساورته : خذها ، فمد الأسورة يده ليأخذها ، فضربه ابن ذى يزن بالسكين ، فقطع إصبع الفارسى .

بين كسرى وابن ذى يزن :

وكان ابن ذى يزن - حين دخل على كسرى ، وكلمه - قد سقطت محضرته من يده ، فقطع كلام كسرى حتى أخذ المحضرة ، ثم تكلم .

فقال له كسرى . قد فعلت منذ دخلت ثلاث خلال ، ما رأيت أعجب منهن

قال ابن ذى يزن : وماهن ؟.

قال كسرى : دخلت وانت رجل قصير ، وإيوانى ذاهب فى السماء ، وطأطأت راسك ، حين دخلت ابواب الإيوان ، ثم كلمتنى فسقطت محضرتك من يدك فقطعت كلامى حتى اخذتها ، وما فعل هذا بى احد قط ، ثم جلست على طعامى فد رجل من أساورتى يده ليأخذ شيئاً من بين يديك ، فقطعت إصبعه بسكينك ، مارأيت مثلك فما هذا ؟.

قال ابن ذى يزن : اما قولك ، طأطأت راسى فهى همتى اعظم من إيوانك ، واما قطعى كلامك حتى اخذت محضرتى ، فإن كلامى بها وما كنت اتكلم وليس معى محضرة ، واما قطعى يد رجل من أساورتك فإنى ما خرجت من اليمن إلا مخافة ان أضام ، فكيف اقر الضيم وأمارسه ، او وهو يمارس معى ، وفى ايوان كسرى ؟

فعجب كسرى من كلامه ، ثم شاور أصحابه ، فقالوا : مايبغى لك ان تنجد هذا الرجل ، وبلده بعيد ، وليس لك من الرأى إلا ان تخرج من فى سجونك من الفرس ، وتعطيهم السلاح ، وتقويهم بالخيل والآلة ، ثم توجه بهم مع هذا الرجل لقتال الروم ، فإن فتحوا فتحاً كان ما اردت ، وإن قتلوا كان قتل قوم كنت تخافهم على مملكتك

فأخرج كسرى كل من كان فى سجونه من الفرس ممن كان يخافهم على مملكته وكانوا ثمانمائة رجل ، واعد لهم السلاح والآلة . وحملهم على الخيل . وقال لابن ذى يزن : ليس عندى ما انجدك به غير هؤلاء . فوجه بهم معه ، وولى عليهم ابن عم له — قد تشغب عليه — يقال له وخر زاد بن

موسى ، من نسل بهرام أحور ، وكان رجـــلا حازماً ، وهو من الأساورة المتقدمين ، وسنه مائة وعشرون سنة ، وقدسقط حاجباه على عينيه .

فحملهم على ثمانى سفن ، وساروا حتى أرست مراكبهم بساحل عدن .

فلما خرجوا إلى عدن كتب ابن ذى يزن إلى اليمن ، يخبرهم بقدومه، ويستنجدهم وكان أول من أنجدهم «السكون» من كندة ، فى جمع عظيم ، ونزلت إليه حمير ، وهمذان من جبالها فى أربعين ألفاً من اليمن ، وصارت الفرس فيهم كالشامة ، لايعرفون إلا بالإسم .

ذل الحمار وذل ملكه :

فلما رأى خر زاد بن موسى كثرة من صار مع ابن ذى يزن ، أوحشه ذلك فقال : ما تأمرنى ، فإنى لاأظن بك حاجة إلى؟.

قال : بل أنت معى حتى نظفر جميعاً أو نموت جميعاً .

فسر خر زاد بما قاله .

وسمع مسروق بن أبرهة ملك الحبشة بابن ذى يزن، وما اجتمع إليه من الناس فجمع أصحابه ، وسار بهم للقتال .

فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديداً ، وعمد خر زاد إلى ابن له ، فولاه فرسان أصحابه ، وقدمه ليقاتل ، فصار فى موضع لم يمكنه الخروج منه ، فقتل جميع أصحابه .

واصطكت الناس حتى حميت الشمس ، وكان مسروق على الفيل، واشتد القتال وكان على رأس مسروق تاج ، وفيه ياقوتة حمراء ، فلما حميت الحرب قال لهم خر زاد : يامعاشر حمير واليمن ، على أى الدواب ملككم ؟ .

قالوا : على الفيل ، فقاتلهم ساعة . ثم قالوا : تحول على فرس ، فقاتلهم ساعة . ثم قالوا : تحول على بغل ، فقال : ذل الحمار ، وذل ملكه ، إصمتوا إلى صمته، فلما استقر بصره عليه ، وقد ربط حاجبه بحريرة ، فأخذ قوسه ، ثم نزع فيها ، ورمى مسروفاً بسهم ، فأصابه السهم على الياقوتة التى بين عينيه ، فتقلقل السهم فى رأسه حتى خرج من قفاه ، وخر صريعاً ، وحمل أهل اليمن على الحبشة فانكشفوا ، وقتلوا كل من اختفى تحت حجر أو شجر .

وملك ابن ذى يزن اليمن ، ودخل صنعاء ، ونزل غمدان، وهو بيت ملكهم وله حديث طويل .

فلما توفى ملك بعده ، أبرهة بن الصباح الأصبحى ، ذى أصبح بن لهيعة بن شيبة الحمد بن شريك الخير بن تكيف بن زيد بن معدى كرب بن مصحا ، وهو عبد الله بن عمر ذو أصبح بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الأصغر ابن وائل بن الغوث بن قطن بن غريب بن زهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ .

وكان من أحلم ملوك اليمن ، جزيل العطاء ، حسن الرأى ، محبا لبنى معد بن عدنان ، وكان ذا علم واقر ، ويرى فى ملكه . أن الملك صائر إلى بنى فهر ، وهو القائل :

صبراً بنى حمير عن ملككم فأنا إلى معد أراه زول ملككموا

ولم يزل الملك فى حمير يتوارثونه إلى أن أتى الله بالإسلام .

وكانت أم أبرهة بنت الصباح ، ريحانة بنت أبرهة الأشرم ملك الحبشة من ولد أبى شمر بن أبرهة الذى قتل مع على ابن أبى طالب بصفين ، وأبو رشد بن أبرهة

كان سيد حمير فى زمانه بالشام ، والنضر بن تريم بن معدى كرب بن أبرهة كان مقدام حمير وأمه بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب .

والعمالقة يتوافدون :

ومن الأزد أيضا ، امرؤ القيس بن حاج بن عبيد بن ذهل بن عبدالله بن كنانة ومنهم بنو المدينة — وهو اسم امرأة — بنو يخصب ، نسبوا لها — وولد عمرو بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ذفيرة بن ثور بن كلب بن وبرة .

ومنهم الفحل بن عياش بن شراحيل بن سميرة ، جد بنى جابر بن زهير الذى قتل يزيد بن المهلب ، ومنهم محمد بن السايب بن عمرو بن الحارث بن عبدالعزى ابن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود ، وابنه أبو المنذر ، وكانا من أعلم أهل زمانهما بعلم العرب ، وأيامها ، وأنسابها ، وكان محمد ابن السايب ممن حضر والجماجم ، عند عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عالماً بتفسير القرآن الكريم ، وأيام العرب .

وقد روى عنه أنه قال : حضرت مجلس ضرار بن عطارد بن ولد حاجب ابن زرارة بالكوفة ، فبينما أنا عنده إذ رأيت رجلا بالمجلس كأنه جرذ يتمرغ فى الحر ، فغمزنى ضرار عليه ، فقال : اسأله ، ممن أنت ؟ فسألته ، فقال لى : إن كنت ناسباً فانسبنى ، فإنى أشرف بنى تميم ، فابتدأت النسب ، فنسبت تميما حتى بلغت غالباً ، فقلت : وولد غالب همماً ، فاستوى جالساً وقال : والله ماسمانى أبواى إلا ساعة من نهار ، فقلت له : إنى لأعرف اليوم الذى سماك فيه أبواك الفرزدق ، أتعرف أى يوم كان ذلك؟ ، فقال : حين بعثك فى حاجة ، فخرجت تمشى وعليك منشفة لك فقلت : والله لكأنك فرزدق دهقان — قرية سماها ،

بالجبل — فقال : صدقت والله .

ومنهم أبو ثور بن جهينة ، واسمه إبراهيم بن خالد ، ومنهم بنو رقاش ، ومنهم مالك وربيعة وثعلبة بنو عامر بن عوف ، ومنهم ، حميد بن سالم صاحب مرة كلب .

ومن شعرائهم حسان بن الطوامة ، ومنهم بنو زيد مناة بن عامر ، ومنهم الخزرج رهط رحبة بن خليفة بن فروة بن فضالة بن اوس ، القيس بن الخزرج وهو زيد مناة بن عامر بن بكرة ، ومنهم بنت كلب بن عمرو بن عدى الأزد ، وغلبت على ولد عوف بن عامر ، فولدت كعبا والحارث ، وحجراء ، وبنى عوف ابن عامر ، وبها يعرفون .

ومنهم الأبرش الكلبي ، واسمه الوليد بن هاشم ، وكان نسابة عالماً بالأخبار وسير الملوك ، وكان مصاحباً لهشام بن عبدالملك ، فلما أفضت الخلافة إليه سجد هشام ، وسجد كل من كان معه . والأبرش شاهد لم يسجد ، فقال له هشام : مامنعك من السجود ؟

فقال : ولم أسجد وأنت اليوم معى ماشياً ؟

فقال هشام : فإن طرت أتطير معى؟

فقال : أراك فاعلا؟ .

قال : نعم : والله ،

قال الأبرش : الآن طاب السجود .

ومن كلب ، يزيد بن معاوية بن قيافة بن عدى بن زهير بن عبد الله بن كنانة ابن بكر بن عوف ، عاش مائة وثمانين سنة ، وأدرك الإسلام ، ولم يسلم ، وأما ابنه فقد أسلم وحسن إسلامه .

ومنهم بنو حسن ، ومنهم مشجعة بن تميم بن مر بن ورة بن ثعلب بن حلوان ومنهم راسب بن حدير بن حزم بن رثان بن ثعلب بن حلوان بن عمران ، ويقال: ومنهم حزم بن زياد بن حلوان بن خولان بن عمرو بن الحاف .

ومنهم أيضاً :

أما بطون عمرو بن الحاف ، فان منهم أسلم بن عمرو بن الحاف ، ومنهم أراشة ابن عمرو بن بلى بن عمرو ، ومنهم فرعون موسى ، واسمه الوليد بن مصعب بن قاران بن بلى بن عمرو ، ومنهم الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ، وهو من خيار الصحابة ، ومنهم بهر بن عمرو . ومن بهر المقداد بن الأسود صاحب رسول الله ﷺ ، حليف الأسود بن عبد يغوث بن مغيث بن عبد مناف ابن زهرة ، واسم أبيه عمرو ، ولكن غلب عليه اسم الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، ومن بهر أهبيلة بن هبل بن عمرو بن أبي جشم بن كعب بن عمرو بن لحيون بن بهرا ، غلب على اسم ولده خوط بن عامر بن عبد ود ، وزيد بن خوط ابن عامر بن عبد ود ، ومن بهر الأوية بنت أبي جشم ، وهم بطن بمضر ، والحوتك وقتيبة بن أسلم بن عمرو ، وفهد بن زيد بن ليث ، ويقال ، الأوية بنت أبي جشم ابن كعب بن الحاف ، ومهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف ، وهو الأصح ، ومن مهرة رشيد بن سعيد الفقيه ، ومنهم عنبة الفيل بن سعد ان النحوى ، وحويكة ابن أسلم بن عمرو . ومنهم نهد بن عبد الله بن العجلان الشاعر ، ومنهم عقبة بن عامر ، صاحب النبى ، ﷺ ، بعد قدومه إلى المدينة ، وكان يكثر الرمى ، لحديث سمعه من رسول الله ﷺ فى فضل الرمى ، ومات وترك سبعين قوساً بجعابها ونبالها ، وشهد صفين مع معاوية ، وتحول إلى مصر ، وكان يخضب بالحناء وسعد بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو ، وسعد بن زيد ، وهو سعد هذيم ،

وكان هذيم عبداً حبشياً ، فنسب إليه ، ووائل بن سعد بن زيد بن أسلم بن عمرو ، وعذرة بن رباح ، فمن أشراف عذرة ربيعة جدقصى لأمـــه ، وإخوته جرير ابن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، ورزاح أخو نهد بن زيد ، وحويكة بن أسلم ، وهما كانا أكثر من بطون قضاعة فى وقتها ، فأجلوا حتى لحقوا باليمن ، وشردوا من بلادهم ، فقال قصى بن كلاب ، — وكان يحب قضاعة لنموها واجتماعها ببلادها ولما بينه وبين رزاح من الرحـــم ، ولالأمهم عنده — يعاتبه شعراً :

ألا من مبلغ عنى رزاحاً فانى قد لحيتك فى إثنتين
لحيتك فى بنى نهد بن زيد كما فرقت بينهمو وبينى

ورزاح بن ربيعة العذرى ، هو الذى أخرج رفاعة بن عذرة ، فألحقهم ببنى يشكر ، وهم رهط ابن أسلم الخارجى ، وألحق قبائل عاملة ، وولى الحجاز حتى سكن بعضهم جزائر البحر ، وأخرج طائفة منهم إلى مصر ، وهو الذى رد حجابة البيت إلى قصى بن كلاب .

عـقوا فقالوا :

ومن عذرة النحار بن أوس الخطيب ، وسمى النحار لأنه كان إذا حمى نحر ، فكان أول من رآه معاوية وقد دخل عليه فى عباءة فأنكره وأنكر مكانه فلما علم ذلك النحار قال لمعاوية : ليست العباءة هى التى تـكلمك ، ولكن من فى العباءة يـكلمك ، فملأ سمعه وعظم حاله . ثم نهض ولم يسأل .

فقال معاوية : ما رأيت رجلا أرث ولا أجل منه ، وأنشأ النحار يقول :

فان تك أثوابى تخرقن للبلى فإنى كنصل السيف فى حلق الغمد .

فأحسن إليه معاوية ، وخلع عليه الخلع السنية ، وكان لا يفارقه .

ومن عذرة زياد بن زيد الشاعر ومنهم هدبة بن حشرم بن كرز بن أبي حية الكاهن .

ومن عذرة جميل بن عبد الله بن معمر بن قعية بن الحارث بن ظبيان بن جن بن ربيعة بن حزام بن ظبة بن عبد الله بن كثير بن عذرة بن سعد بن هدبة، العاشق لبثينة بنت عمه ، وهي بثينة بنت منـــار بن ثعلبة بن الهود بن عمرو ابن الحارث بن لاحب بن جرير بن ربيعة .

ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء ، — وقد مات من شدة عشقه — ، وهي قبيلة كثيرة العشاق ، صادقة المحبة ، مات منهم بالعشق جمـــاعة لعفتهم وعفة نسائهم وجمالهن .

وقد ذكروا أن رجلا من عذرة وقف بباب بيت سكينة بنت على بن الحسين بن على بن أبي طالب ، فاستسقى بعض خدمها ، فقالت سكينة : إذا سقيته فاسأله عن قبيلته ، فسأله ، فقال : أنا من قوم إذا عشقوا ماتوا ، فلما أخبر سكينة بذلك قالت : إذن هو من بني عذرة .

ومنهم من بطون عمرو بن الحاف ، سلامان بن سعد بن زيد بن سود ابن أسلم بن عمرو ، ومنهم جلهمة بن عمرو بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو .

ومنهم قبائل نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن عمرو ، ومالك وسود وصباح وجريبة وحنظلة وعامر ويعرب ، وطول وحمل وربيعة وغشم .

بنو الذئب والنمر والثعلب :

ومن بطون قضاعة غشم ووديعة والحاوى ، ومنهم بنو الذئب والنمر والدب والثعلب ، وفهد وسرحان وضبع بن وبرة بن ثعلب بن جولان بن عمدان بن الحاف ، والبريد والوحيد ، وعبدمناة ومصلاة وراسبة وفويد ،

ومنهم بنو ضبة بن سعد ، وهذيم بن زيد ، وقيل : وهذيم بن ليث ، وشداد ابن قضاعة بن مالك بن حمير .

وكان من ولد حيدان بن عمرو بن الحاف بن مالك بن حمير، مهرة وعمراً، فولد عمرو مجيداً وغريداً وغريباً ويزيد ، والنعمان ، والضيغم ، واللحا، وجنادة.

وقيل سميت هذه القبائل بآل وحيدان ، وولده مهرة صمطرى بن مهرة ، فولد صمطرى ثلاثة نفر ، الأمرى ونادعم والدير ، فولد الأمرى القمر والقمراء والمصلى والمسكى ، فمن قبائل القمر بنو ريام ، وبلدهم قرية يقال لها ، رصاغ على جانب ساحل بحر عمان ، ولهم جبل حصين بناحية عمان ، يمتنعون فيه ، يعرف بجبل منى ريام ، ويقال له ، رضوان .

ومن القمر بنو حسريت وبنو يبرح ، ومن قبائل الدير حسريت والسوحم ومختر بن حسريت بن الديل بن صمطرى بن مهرى .

فولد مختر كرشان والشعين ، فمن الشعين بنو تبلة بن شماسة بن وهط أبي ثور، صاحب الأشعار ، وهو عمرو بن محمد بن كنانة بن جيل بن تبلة ، ويقال لهم بنو قصف ، ومن قصف بنو وتار بكسر الواو ، وهم الوتاريون ، فأما وتار بفتح الواو ، فمن ولد الهميسع بن حمير .

ومن قبائل إياد عمرو بن صمطرى بن مهرة العفار ، والهيثم والعبدى ، وإليهم نسب العبدية والشب والنقر والقرحا ، وهم مهرة ، فهذه قبائل مهرة ، وقيل بجزيرة سقطرى من جميع القبائل من مهرة ، وهى جزيرة طولها ثلاثمائة فرسخ ، وبها الصبر السقطرى ، وبها نخل كثير ، ويسقط إليها العنبر ، وبها ذم الأخوين ، فاذا قيل للمهرى ، يا سقطرى ، غضب ، وإنما السقطرى الروم الذين كانوا بها من أولاد الروم فدخلوا فى نسب القمر بن مهرة ،

وهم معروفون بها ، وبها عشرة آلاف مقاتل كانوا نصارى ، وذلك أنهم يذكرون أن قوماً من بلد الروم أخرجهم بها قيصر فعمروا بذلك حتى عبرت لهم مهرة ، فغلبت عليهم وعلى الجزيرة ، وكانوا هم رهبان على دين الروم من النصرانية ، ثم دخلتها الشراة من مهرة وحضر موت ، فقتلوا من كانوا فيها ومن مهرة ، ثم من بنى ريام بن القمر بن الأمرى بن مهرة بن حيدان ، ويقال ، ريام بن يبرح بن صمطرى بن أمرى بن مهرة بن حيدان ، كان منهم منير بن النير ابن عبد الملك بن ساور بن وهب بن عبيد بن صلت بن يحيى بن حضرمى ابن ربا .

تبابعة .. وماذا ؟

وهؤلاء جميعاً ينتهى نسبهم إلى التبابعة ، وإنما سموا التبابعة لأن ملك اليمن كان للسكين ، ملك بأرض حضرموت ، وملك بأرض سبأ ، فمن ملكها جميعا سمى تبعاً . لاتباع أهل البلدين إياه ، وأول من ملك البلدين تبع الحارث ، وهو الرايش ، ويقال له ، ملك الأملاك ، واسمه الحارث بن شداد بن الملظاظ بن عمرو بن ذى أنس بن الضراز بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عمرو بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومنهم يزيد بن هلال بن عباد بن عبد شمس بن وائل بن حمير .

ومن تبابعة حمير ابنان ، منهم كيكرب ، ومنهم حسان بن تبع ، وهو ذو معاهن ، ومنهم ذو فيقان شراحيل ، ويقال له ، علقمة ، ومنهم ذو كلاع ، واسمه حمير الأصغر ، ومنهم ذو يزن ، واسمه عامر ، وابنه سيف بن ذى يزن ابن شراحيل بن ياليل ، ومنهم ذو رعين ، ومنهم سبأ الأصغر ، واسمه سماعة بن كعب بن زيد بن سهل ، ومن بطون حمير بنو شهال ، ومنهم ذو نواس قاتل خثيعة .

وأما ملك العراق فتناصفة بين الأزد ولخم . وكانت الأزد تسكن الحيرة ويتشون ملوك البلد . وكان مرة يستعملون من هؤلاء ، ومرة من هؤلاء ، فان اضطرب حبل الأعاجم سلطوا إحدى القبيلتين على الأخرى ، فأيتهما غلبت ملكت حتى صفا ملك العراق ، واجتمعوا على جذيمة الأبرش ؛ وهو الوضاح الأزدى صاحب الزباء ، وهو أول عربى ملك العـــراق حتى كان آخرهم إياس بن قبيصة الطائى .

وأما ملك الشام فلقد كان السليح حتى نزلت عليهم غسان ، فتغلبوا على سليح ، وملكتها غسان ، وبقى فيهم نحو من ثلاثين ملكا حتى أتى الإسلام ، وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم .

ومنهم كعب الأحبار ، وهو كعب بن ماتع ، ومنهم أبو حميد محمد بن ابراهيم السمرقندى ، وكان قائدا لأبى سلمة الخلال ، وهو أول من بايع السفاح ، خيفة من أبى سلمة .

ومن مواليهم عبد الرزاق بن همام بن نافع المحدث ، صاحب التفسير .
ومن شعرائهم المعترف الحميرى ، واسمه النعمان بن يعفر من ولد شرحبيل ، ومنهم الشاعر يحيى بن نوفل الحميرى ، وكان كثير الهجاء ، قلما يمدح أحدا .
ومنهم يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ الشاعر ، ومن ولده السيد الحميرى الشيعى

بين أجا .. وسلمى :

أما أخبار طى بن الأزد وانتشار ولده هنا وهناك ، فيطنب التاريخ فى ذكرها ويقول على ألسنة رواته :

قال الخليل ، أصل بناء طى من طاو ، وأصله الواو ، فقلبوها ياء ، فصارت ياء ثقيلة ، وكان الأصل فيها طوى . وقال الكلبى ، إنما سمى طيا لأنه أول من

طوى المراحل ، يقال : طويت الشيء أطويه طياً ، وكذلك ، طويت البئر أطويها بالحجارة ، وبها سميت الطوى ، واسم طى جلهمة بن أدد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال : كان طى — وهو جلهمة بن أدد باليمن يقال له طريف — قد نزل به ضيف، فأكرمه ، وأنزله وسقاه لبناً بعدما أطعمه ، فقال الضيف : إنى نزلت بأخوتكم هؤلاء، فسقونى لبناً ماشربت مثله ، ولا رأيت قط لبناً أطيب منه ، طعما ولونا، وذقت ألبانكم فوجدتها لا دسم لها ، ولا رغوة .

فقال له طى : ولم ذلك ترى ؟ .

قال الضيف: لأنهم فى أعلا الوادى يسرحون إبلهم وأغنامهم مشرق الشمس، فتضرب الشمس أعناقها، فتحسن نجوتها، وتصفو ألبانها، وتدر أخلافها، ويطيب طعم لبنها ، وتنقى جلودها لاستقبالها واستدبارها الضرر ، وتسرحون أنتم مواشيكم فتستدبرها الشمس حتى تعود فى أعطافها، فلا ينتفع بمرعاها ، واستقر بطى المقام بين أولاده فى هذه الأرض البراح الواسعة ، وبينما طى جالس ذات يوم ومعه ولده ، إذ أقبل رجل من بقايا جديس بن عامر ، يقال له الأسود بن عفار، فقال لطى : من أدخلكم بلادى وأرومتى وميراثى من آبائى ؟ أخرجوا من بلادى ، وإلا فعلت بكم .. وفعلت .. فقال طى : البلاد بلادنا ، وقد دخلناها وما فيها أحد ، بل تخليت أنت بخلاء البلاد ثم جئت فادعيتها بعد ذلك ، فقال الجديسى : لتخرجن منها ، وإلا فعلت بكم الأفاعيل ، وأريتكم ما لم تروا أبداً ...

قال له طى : فاضرب لنا أجلا وموعداً للمبارزة ...

ثم قال طى لجندب بن خارجة : قاتل عن مكر منك .

فقالت «أم جندب»: أتترك بنيك، وتعرض إبنى للقتـــال؟ لا، والله لا يفعل.

قال طى: ويحك، إنما خصصته بذلك، وشرفته دون غيره ممن لا يستحق هذا الشرف...

وكان طى يحب جندباً، ويختار له الحيس والطعام والطيب. فلما أبت عليه أمه، أمر طى إبنـــه عمرو بن الغوث بن طى، وقال: يا عمرو، دونك الرجل فقاتله...

ثم قال طى أيضا لابنه عمرو بن الغوث، يا بنى، هذا الدار أكرم دار على وجه الأرض.

قال عمرو: لن أفعل إلا على ألا يكون لولد جندب فيها شىء...

قال طى: ذلك لك.

ومضى عمرو بن الغوث فى طلب الجديسى، فوجده يخترق رطباً.

وأقبل الجديسى ومعه قوس شديد، ونشاب حديد، له نصال عظام. وهى التى يقال لها، الغفارية.

فقال ...: إن شئت صارعتك، وإن شئت رميتك، وإن شئت أبقيك.

قال عمرو: الصراع أحب إلى.

قال الجديسى: أرى معك قوساً.

قال عمرو: فانى لا كسرها الآن.

وكان قوس عمرو متى شاء جعلها، ومتى شاء ردها فأهوى بهـا إلى سفح جبل، فظن الجديسى أنه كسرها.

فلما ركبها ثانية اعترض الجديسى بوجهه ، وقال : « من بر يوماً بربه» ، فذهبت مثلا

ورماه عمرو ، فغلق قلبه ، ومزق هامته ، وقد جسده نصفين .

فقال الأسود الجديسى — وهو يجود بنفسه — : آه ... لقد جهلت قدرك يا عمرو ، وجهلت أنك ابن طى الفارس المغوار .

قال له عمرو : خذها يا أسود ، حتى تفيق ، وحتى لا تجهل أقدار المغاوير وتحشرجت روح الأسود فى حلقومه ، وجعل يقول : شرقى غربى ، طيى .. طيى ... طيى ... وظل يردد هذه الكلمات حتى مات ...

وانصرف عنه عمرو بن الغوث ، وأقام طى منذ ذلك الحين بالجبلين ، وسميا أجا . وسلمى ، فنزلوا بهما ، وأطمأنوا إليهما .. وصار قرار ولد طى الجبلين ...

إنهم قوم ماذن :

وهنا يأتى نسب طى بن أدد ، فلقد ولد طى بن أدد رجلين ، الغوث بن طى هذا ، وفطرة بن طى ، فولد الغوث بن طى عمراً وأوياً ، وولد أوى إسامة بن أوى ابن الغوث ، وولد عمرو بن الغوث أسودان ، وإسمه نبهان ، وثعل ، وخزم ، ونولان ، وحنة ، وتناسلوا هنا وهناك ، وأكثر أولاد طى تناسل من سعد ابن فطرة ، ومن هذه الأرومة تفرقت أكثر قبائل طى ، فولد سعد بن فطرة خارجة بن سعد ، وولد خارجة جندباً وضمرة ، ومن ولد جندب بن خارجة بنو جديلة ، وهم بنو جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طى ، وجديلة هذه أمهم جميعاً ... وهم بها يعرفون ...

ومن قبائل الغوث بن طى ، بنو نبهان بن عمرو بن الغوث ، ومن بطونهم ، بنو هنى بن عمرو بن ثعل ، وبنو سنبس بن عمرو بن ثعل ، وبنو بحتر بن عتود

ابن عنيز بن سلامان بن ثعل ، وبنو خطاف بن سعد بن نبهان ، وهم أيضاً بعمان ، منبت الأبطال ، ومصنع الأحرار من الرجال ، وموطن العرب الأشاوس هذا ، وإن أفخاذ طى كثيرة جداً ، غير أن جمهور النسب إلى الأب الأكبر ، وهو « طى بن أدد بن نبهان » فمن بنى نبهان ، أسودان بن عمرو بن الغوث بن على بن نائل بن نبهان ، ومنهم كذلك نائل زيد الخيل بن مهلهل الطائى ، فارس طى ، وصاحب غاراتها ، وهو فارس العرب كافة ، وكان يسكنى « أبا مكنف » وأدرك الإسلام ، ووفد على النبى ﷺ ، فسماه «زيد الخير» . وهو أحد من أكرمه رسول الله ﷺ ، وبسط له رداءه ودعا له ، ومات فى رجوعه ..

ومن بنى نبهان أيضا ، حريث بن عتاب الشاعر ، ومنهم بنو خطامة بن سعد ابن نبهان ، وهم بعمان ، ومنهم ، مازن بن عضوبة الصحابى الجليل ، أول من حمل الإسلام ، وبشر به عند قومه ، ، وهو من أهل سمايل .

وسمايل هذه مدينة بسلطنة عمان ، تقع على الجانب الأيمن والأيسر من وادى سمايل ، تتكون هذه المدينة من علاية سمايل ، وسفالة سمايل ، ويبلغ طولها نحو ستة أميال تقريبا ، وأهم معالمها التـــاريخية ، حصنها الذى يقع على الشاطىء الأيمن لوادى سمايل ، وهذه المدينة مشهورة بمزارع النخيل التى تروى بالأفلاج . . ولقد قدم مازن هـذا على رسول الله ﷺ عند أول مشرق ، ومع أول ضوء يشرق الإسلام، وتضيء به تعاليمه على أرض عمان، وأسلم على يديه ، ودعا له النبى ﷺ ولأهل عمان جميعا بالخير والبركة والنجاح والفلاح ..

وأيضا من الأصحاب :

من الموثوق المحقق تاريخا ، أن من الأنصار الذين أدركوا الإسلام ، ورووا الحديث عن رسول الله ﷺ ، وجاهدوا معه بالأموال والأرواح ، واتبعوا سبيل الصلاح كثير من الأزد العمالقة الكرام السابقين دائمـا إلى الخير والبر ،

وتذكر منهم على سبيل المثال فقط : بنو معاوية يعرفون ببني جدية . وهي أمهم ، بنت مالك بن حبيب بن عبد حورثة بن عضب بن جشم بن الخزرج .

روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « اقرأ أمتي أبي » ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، مرتين . . . « اقرأ عليك القرآن » ، و « أعرض عليك القرآن »

ومنهم :

أبي بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك شهد مع أخيه أنس بن معاذ بدراً وأحداً ، وقتلا يوم بئر معاوية شهيدين ، رحمهما الله تعالى . . .

ومنهم أبي بن عمارة الأنصاري .

ومنهم أسيد بن حضير بن سماك بن عبيد بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج .

ومنهم أسيد بن ثعلبة الأنصاري ، شهد بدراً وشهد صفين مع علي بن أبي طالب .

ومنهم : أسيد بن يربوع بن البدن بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو ابن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي ، شهد أحـــداً ، وقتل يوم اليمامة شهيداً .

ومنهم : أسيد بن ساعدة بن عمرو بن جشم بن مجزعة بن حارثة بن الحارث الأنصاري ، شهد أحداً ، هو وأخوه أبو خيثمة ، وهو عم سهل بن خيثمة .

ومنهم : أسيد بن ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن بديل بن

حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الحارثى ، وكان أبوه من كبار الصحابة ، روى عنه ابن الأسود ، مولى بنى خطمة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أتى قباء فليصل فيها ... »

ومنهم : أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى ، شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً .

ومنهم : أنس بن قتادة الأنصارى ، ويقال له ، أنيس ، وكان من أفاضل الصحابة وأعلم وأفهم ، وأفقه .

ومنهم : أنس بن أدريس بن عتيك بن عمرو الأنصارى الأشهلى ، قتل يوم الخندق شهيدا ، رماه خالد بن الوليد — قبل اسلامه — بسهم ، فقتله .

ومنهم : أنس بن معاذ بن قيس بن عباد بن زيد بن معاوية بن عمرو ابن مالك النجار الأنصارى ، شهد بدرا ، واختلف فى اسمه ، فابن إسحق يقول: عبد الله بن معاذ إلى تمام نسبه ، وأنه قتل يوم بئر معاوية ، لأنه قتل فيه أوس ابن معاذ ، وقال عبد الله بن محمد : شهد بدرا والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومات فى خلافة عثمان .

ومنهم : أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصارى النجار ، خادم رسول الله ﷺ .

ومنهم : أنس بن مالك القشيرى ، ومنهم : أنس بن ظهير الحارثى الأنصارى .

ومنهم أنس بن مالك الأصبحى ، كان بحرا فى علم الشريعة والحديث النبوى ، ويقال ، إنه ولد له ثمانون ولدا ، منهم ثمانية وسبعون ذكورا ، والباقى إناثا ، إحداهن تسمى حفصة ، والثانية تكنى أم عمرو .

ومنهم : أوس بن ثابت الأنصارى بن منذر بن حزام ، ومنهم ، أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد الله بن مالك ، ومنهم : أوس بن الصامت ابن قيس بن أحزم بن قيس بن ثعلبة بن غنم ، ومنهم أوس بن الأرقم بن زيد ابن قيس بن النعمان ، ومنهم أوس بن قنطى بن عمرو بن زيد بن جشم ، ومنهم أوس بن الفاكه الأنصارى ، ومنهم إياس بن معاذ ، من بنى عبد الأشهل .

هل أدلكم إلى خير ؟

وذكر ابن اسحق عن عبدالرحمن بن معاذ الأشهلى عن محمود بن لبيد : أنه لما قدم أبو الجيش بن رافع مكة ، ومعه فتية من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس ابن معاذ يلتمس الحلف من قريش على قومه من الخزرج سمع بهم رسول الله ﷺ ، فأتاهم فى مجلس لهم ، فقال : «هل أدلكم إلى خير ما جئتم له ؟»... قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ . قال: «أنا رسول الله ، أمين الله على العباد ، أدعوهم أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئا ، ثم أنزل على القرآن»..

ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وقال : «لا بأس ، هذا خير ما جئتم له .. » إلى تمام الحديث .

ومنهم : إياس بن زيد بن جشم ، قال ابن أسحق : هو رجل من اليمن ، حليف الأنصار ، شهد بدراً واحداً ، وقال ابن هشام : عمرو بن إياس هذا هو أخو الربيع بن إياس ، وورقة بن إياس .

ومنهم : إياس بن ورقة الأنصارى النجارى ، ومنهم ، إياس بن عدى النجارى من بنى عمرو بن مالك ، قتل يوم أحد شهيداً ، ومنهم ، أسعد بن يزيد الفاكه الأنصارى ، ومنهم ، أسعد بن يربوع الأنصارى الساعدى ، ومنهم أسعد بن رزان بن عدى بن عبيدان بن ثعلبة ، ومنهم ، أسعد بن سهيل بن حنيف الأنصارى

ومنهم ، أسعد بن زرارة ، ومنهم ، أسعد بن بحرة الأنصـــارى ، ومنهم ، امرؤ القيس بن عابس الكندى الشاعر ، له صحبة ، ورواية ، وشهد فتح البحير بأرض اليمن، ومنهم ، أمية بن مخشى الخزاعى ، ويكنى أبا عبد الله ، وله صحبة ، روى عنه المثنى بن عبد الرحمن ، وهو ابن أخيه ، وله حديث واحد فى الاكل .

ومنهم الاشعث بن أنس بن كريز بن معاوية ، ومنهم أربد بن حمير الانصارى، ومنهم ، أبيض بن جمال ، ومنهم أكثم بن الجون ، ومنهم ، أحمد الهمدانى ، ومنهم ، البراء بن مالك ، ومنهم البراء بن عازب بن حراث بن عدى ، ومنهم بشر بن البراء ، ومنهم بشير بن سعد بن ثعلبة بن مالك ، ومنهم بشير بن عمرو، ومنهم ، بشير بن عبد الله الأنصارى ، ومنهم ، بشير الحارثى ، ومنهم ، بديل بن ورقاء ، ومنهم ، تميم بن بشر ، ومنهم تميم الدارمى ، ومنهم ، تميم المازنى ، ومنهم ، ثابت بن الجزع ومنهم ، ثابت بن هزال ، ومنهم ، ثابت بن عمرو ، ومنهم ثابت بن خنساء ، ومنهم ثابت بن صهيب ، ومنهم ثابت بن زيد ، ومنهم ، ثابت بن قيس ، ومنهم ثابت بن ربيعة ، ومنهم ، ثابت بن عامر ، ومنهم ، ثابت بن الضحاك ، ومنهم ، ثابت بن غنم بن عدى بن ثانى بن عمرو ابن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى ، ومنهم ، ثعلبة بن عمرو بن عبيد .

ومنهم ، جابر بن عبـــد الله بن النعمان ، ومنهم ، جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل ، ومنهم ، جابر بن سفيان ، ومنهم ، جابر بن عمير ، ومنهم ، جابر بن ظالم بن حارثة بن عتاب بن أبى حارثة ، ومنهم ، جبير بن إياس ، ومنهم جنادة بن سفيان الأنصارى ، ومنهم ، جنادة بن مالك الازدى .

ومنهم ، حارثة بن النعمان ، ومنهم الحجاج بن عمرو بن عرثة بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن تميم بن مازن النجار .

والحجاج بن عمرو هذا هو الذى ضرب مروان يوم الدار ، فأسقطه ، وحمله أبو حفص مولاه ، وهو لا يعقل .

ومنهم ، حاطب بن عمرو بن عتيك بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن نبارش ، شهد بدراً ، ولم يذكره ابن إسحق فى البدريين ، ومنهم حازم بن حزم بن ملحان ، واسم ملحان ، مالك بن خالد بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر بن غنم بن مالك النجار الأنصارى ، شهد بدراً مع أخيه سليم بن ملحان ، وشهد أحداً ، وقتل يوم بئر معاونة مع المنذر بن عمرو ، قتله عامر بن الطفيل .

بهذا أشار الحباب :

ومنهم الحباب بن المنذر بن حزام بن زيد بن حزام بن جندب بن عامر ابن غنم بن مالك ، وقيل: الحباب بن المنذر بن حزام بن زيد بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى الأسلمى ، وهو الأصح ، ويكنى أبا عمر ، شهد بدراً ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، هكذا قال الواقدى وغيره ، وكلهم ذكره فى البدريين إلا ابن إسحق ، وفى رواية سلمة عنه كان يقال له : «ذو الرأى» ، وهو الذى أشار على رسول الله ﷺ أن ينزل على ماء بدر للقاء القوم .

قال ابن عباس : فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ ، فقال : الرأى ما أشار به الحباب .

وشهد أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ، ﷺ وهو القائل يوم السقيفة : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، منا أمير ، ومنكم أمير .

ومات الحباب فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه .

ومنهم : حبيش بن خالد بن منقذ بن ربيعـــة ، ومنهم من يقول : حبيش ابن خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة الخزاعى الـكعبى ، أحد بنى كعب ، ويكنى أبا صخر ، وهو صاحب حديث أم معبد الخزاعية ، واسمها عاتـكة بنت خالد ، وأخوها خويلد بن خالد ، ومن نسبهم قالوا : بنو خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم بن حبيش بن حزام بن حبيشة بن عمرو ، وهو أبو خزاعة .

ومنهم ، حوشب بن طحية الحـــيرى ، أســـلم عـــلى عهد رسول الله ، ﷺ ، وقيل : أنه قـــدم على النبى ، ﷺ ، واتفق أهـــل العـــلم بالسير والمعرفة بالخبر ، أن رسول الله ﷺ ، كتب إلى حوشب بن ذى ظليم الحميرى هذا كتاباً ، وبعثه إليه مع جرير البجلى ، يتعاون هو وذو الكلاع ، وفيروز الديلمى ، ومن أطاعهم ، على قتل الأسود العنسى الـكذاب .

وكان حوشب وذو الـكلاع رئيسين فى قومهمـا متبوعين ، وهما ومن كان قد تبعهما من اليمن قدقاما بحرب صفين مع معاوية ، وقتلوا جميعاً فى المعركة .

ومنهم ، الحفشيس الـكندى — ويقال فيه بالجيم ، والحاء ، والخاء — قدم على النبى ، ﷺ ، فى وفد كندة ، وهو الذى نازع الأشعث فى أرضه ، وترافعا إلى النبى ، ﷺ .

ومنهم خالد بن زيد بن أكلب بن ثعلبة بن أيوب الأنصارى النجارى من بنى غنم بن مالك بن النجار ، غلبت كنيته ، وأمه هند بنت سعد بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر ، شهد العقبة وبدراً ، وسائر المشـاهد ، وعليه نزل رسول الله ﷺ ،

حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده فى تلك السنة ، وبنى مساكنه ، ثم انتقل ﷺ إليها فآخى بينه وبين مصعب بن عمير .

ومنهم خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحـــارث بن الخزرج الأنصارى ، ويعرفون ببنى الأعز ، شهد العقبة وبدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، ودفن هو وسعد بن الربيع فى قبر واحد ، وكان من كبار الصحابة ، صهر لأبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حين آخى النبى ﷺ ، بين المهاجرين والأنصار ، وابنه زيد بن خارجة هو الذى تكلم بعد الموت فى روايات.

أغرانا على يوم بدر :

وذكر، أن خارجة بن أبى زهير قد أخذته الرماح يوم أحد، فجرح بضع عشرة جرحاً ، فمر به صفوان بن أمية ، فعرفه ، فأجهز عليه ، ومثل به ، وقال : هذا هو الذى أغرانا على يوم بدر ، يعنى ،أباه أمية بن خلف ، وكان أمية بن خلف الجمحى والد صفوان يكنى أبا على ، وابنه على قتل معه يوم بدر .

ومنهم خارجة بن عقبان وحديثه عن والده، أنه أتى رسول الله ﷺ، لما مرض فرآه يعرق ، فسمع فاطمة تقول : وا كرب أبى ، فقال النبى ﷺ « لا كرب على أبيك بعد اليوم .

ومنهم خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حزام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى السلمى ، شهد بدراً ، وأحداً ، وجرح أحد عشر جرحاً ، وكان من الرماة المذكورين ، ومنهم خراش بن أمية بن الفضل السكعبى الخزاعى الذى شهد مع رسول الله ﷺ ، عام الحديبية ، وهو الذى حلق شعر رسول الله ، ﷺ هناك فى الحديبية .

روى عنه ابنه عبد الله بن خراش ، و توفى خراش فى خلافة معاوية ، ومنهم رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الزرقى الانصارى الخزرجى ويكنى أبا مالك ، ويكنى أبا رفاعة أيضا ، وهو بدرى ، شهد العقبة الاولى والثانية ، وشهد بدرا فيما ذكره موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، ولم يذكره ابن اسحق فى الثانية وذكر فيهم رفاعة بن رافع ، وخلاد بن رافع ولديه إلا أنهما ليسا بعقبيين .

أحد الستة .. والاثنى عشر .. والسبعين :

قال أحمد بن زهير ، سمعت سعد بن عبد الحميد بن جعفر يقول : رافع بن مالك أحد الستة النقباء ، وأحد الاثنى عشر ، وأحد السبعين قتل يوم أحد شهيدا .

وقال الواقدى : رافع بن مالك يكنى أبا مالك ، قال ابن عمر ، الستة النقباء كلهم قتلوا ، ومنهم رافع بن الحارث بن سواد بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، هكذا قال الواقدى ، وقال ابن عمارة ، هو الاسود بن زيد بن ثعلبة ، شهد رافع ابن الحارث هذا بدرا واحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله ، ﷺ وهو ابن عم رافع بن جريج بن جشم الانصارى الحارثى الخزرجى . وتوفى فى خلافة عثمان بن عفان .

ومنهم رافع بن جريج بن رافع بن عدى بن زيد بن عمرو بن يزيد بن جشم ، ويكنى أبا عبد الله ، وقيل ، أبا خديج ، روى عن ابن عمرو ، وأم رافع حليمة بنت مسعود بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية بن بياضة الانصارى . وهو ابن أخ ظهير ومظهر بنى رافع بن عدى ، ورافع بن جريج هذا هو الذى رده رسول الله ، ﷺ ، يوم بدر ، لانه استصغره ، وأجازه يوم أحد ، فشهدها ، وشهد الخندق ، وأكثر المشاهد كلها ، وأصابه سهم يوم أحد ، فقال له رسول الله ، ﷺ : « أنا أشهد لك يوم القيامة » . وانتفضت جراحاته فى زمن عبد الملك

ابن مروان ، فمات ، سنة أربع وسبعين ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، وقال الواقدى مات فى أول سنة أربع وسبعين .

قال أبو عمر ، روى عنه بن محمود وابن عمر بن لبيد ، والسائب بن زيد ، وأسيد بن ضمير ، وروى عنه من التابعين دون هؤلاء مجاهد وعطاء والشعبى ، وابن عباية بن رفاعة بن رافع ، وشهد صفين مع على بن أبى طالب .

ومنهم رفاعة بن عمرو بن يزيد بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج الأنصارى السلمى ، شهد بيعة العقبة ، وشهد بدرا وقتل يوم أحد ، ويكنى ، أبا الوليد .

ومنهم رفاعة بن رافع بن مالك العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصارى ، الزرقى ، أمه أم مالك بنت أبى بن سلول ، ويكنى أبا معاذ ، شهد بدرا ، واحدا ، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ ، ومعه أخوه مالك بن رافع ، وشهد رفاعة بن رافع مع على بن أبى طالب يوم الجمل وصفين ، وتوفى فى أول إمارة معاوية .

ومنهم رفاعة بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف ، أبو لبابة الأنصارى ، من بنى عمرو بن عوف ابن مالك الأوسى ، شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد ، وهو مشهور بكنيته ،

ومنهم رفاعة بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب بن ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس الأنصارى الظفرى روى عن قتادة بن النعمان ، وهو الذى سرق سلاحه وطعامه بنو أبيه ، فتنازعوا إلى رسول الله ﷺ ، فنزلت فى بنى

أبيه : «ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما» .

ومنهم رفاعة بن مبشر الحارثى الأنصارى المعمرى ، شهد أحدا مع أبيه مبشر ، ومنهم ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان الأنصارى شهد أحدا ، ومنهم زيد بن حارثة الأنصارى المعمرى، وكان ممن استصغر على الجهاد يوم أحد ، وهو من بنى عمرو بن عوف، وكان زيد بن حارثة وأبوسعيد الخدرى ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وسعد بن عتبة ممن استصغروا يوم أحد .

عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: حدثنى زيد بن حارثة ،قال: ، قلت : يارسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟

قال : «صلوا على وقولوا ، اللهم بارك على محمد ،وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد» .

وفت أذنك ياغلام:

ومنهم زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الأعز بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى من بنى الحارث بن الخزرج ، واختلف فى كنيته اختلافا كثيرا .

قال الواقدى والهيثم بن عدى ، وروينا عنه من وجوه : أنه غزا مع رسول

الله ، ﷺ ، تسع عشرة غزوة ، وهو يعد فى الكوفيين ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين، وزيد بن أرقم هذا هو الذى رفع لرسول الله ، ﷺ ، عن عبد الله بن سلول قوله : « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » فكذبه عبد الله بن أبى ، فأنزل الله تصديق زيد بن الأرقم . فتبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ، يبشرانه ، فسبق أبو بكر . فأقسم عمر لا يبادره بشىء بعدها .

وجاء النبى ﷺ ، فأخذ بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « وفت أذنك يا غلام » من تفسير ابن جريج ، ومن تفسير الحسن ، ومن رواية معمر وغيره ، قيل : وكان ذلك فى غزوة بنى المصطلق ، وقيل فى تبوك... وشهد زيد بن أرقم مع على بن أبى طالب صفين ، وهو معدود فى خاصة الصحابة .

ومنهم زيد بن حارثة ، روى عن زيد بن أرقم ، وجماعة ، منهم أبو إسحق السبيعى ، ومحمد بن كعب القريظ ، وأبو حمزة مولى الأنصار . ومنهم زيد بن مربع الأنصارى من بنى حارثة قال يزيد بن شيبان : أتانا ابن مربع فى الحج ، فقال ، أتانى رسول الله ، ﷺ : « فقال : « كونوا على مشاعركم ، فانكم على إرث من إرث إبراهيم ، عليه السلام » .

قتله وحشى أيضا :

ومنهم الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء ، وقيل : الطفيل بن النعمان ابن خنساء الأنصارى السلمى من بنى سليمة ، شهد العقبة وبدرا وأحدا ، وجرح واحدا وثلاثين جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق ، وقتل شهيدا ، قتله وحشى بن حرب ، وذكره موسى بن عقبة فى البدريين ، وسميه رجل يسمى الطفيل ، فالله أعلم ، أيهما استشهد ؟

ومنهم كعب بن مالك بن أبي كعب ، واسم أبي كعب عمر بن كعب ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن كعب بن سعد بن أسد بن سودة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي ، يكنى أبا عبد الرحمن ، أمه ليلى بنت زيد ابن ثعلبة من بني سلمة ، شهد العقبة الثانية ، واختلف في شهوده بدراً .

ومنهم كعب بن عمر بن عباد بن عمرو بن سودة الأنصاري السلمي ، من بني سلمة ، وهو مشهور بكنيته ، شهد العقبـــة وبدراً ، وهو ابن عشرين سنة. ومات بالمدينة سنه خمس وخمسين.

ومنهم كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن النجار الأنصاري ، شهد بدراً ، وقتل يوم الخندق شهيداً ، قتله ضرار بن الخطاب في قول الواقدي ، وقال ابن إسحق : أصابه سهم غرب فقتله .

ومنهم محمد بن سلمة الأنصاري الحارثي ، ويكنى أبا عبد الرحمن ، ويقال ، بل يكنى أبا عبد الله ، وهو محمد بن سلمة بن خالد بن مجدعة بن حارثة . ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، حليف بني عبد الأشهل ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، ومات بالمدينة ، ولم يستوطن غيرها .

ومنهم محمد بن صيفي الأنصاري ، لم يرو له غير الشعبي حديثـــه في يوم عاشوراء ، وليس له غيره ، ومنهم محمد بن أنس بن فضالة الظفري الأنصاري ، روى عن ابنه يونس بن محمد ، لما قدم على النبي ﷺ المدينة : وقال ، وأنا ابن أسبوعين ، فأتي بي إلى النبي ﷺ فمسح على رأسي ، وقال : سموه باسمي ، ولا تكنوه بكنيتي.

ومنهم محمد بن أبى بن كعب الأنصارى ، ولد على عهد رسول الله ﷺ ، ويكنى أبا معاذ ، روايته عن أبيه ، وعن عمر ، روى عنه بشير بن سعيد الحضرمى ، وقتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين ، هذا ما رواه الواقدى .

ومنهم محمد بن عمر بن حزم الأنصارى ، ولد فى سنة عشر من الهجرة بنجران ، وأبوه عامل رسول الله ﷺ ، وقيل ، ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين ، سماه أبوه محمداً ، وكناه ، أبا سليمان ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، فكتب له رسول الله ، ﷺ ، سمه محمداً ، وكنه عبد الله ، وكان محمد بن عمر بن حزم فقيهاً ، وروى عنه جماعة من أهل المدينة ، وروى عن أبيه ، وغيره من الصحابة أنه قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، ويقال ، إنه قتل يوم الحرة مع محمد بن عمر بن حـــزم ثلاثة عشر رجلا من أهل بيته ، .

ومنهم معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب بن عمر بن أدى ابن سعد بن على بن راشد بن ساورة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وإنما أدعته بنو سلمة ، لأنه كان أخاً سهل بن محمد بن الحدين بن قيس لأمه .

ذكر الزبير عن الأثرم عن ابن الكلبى عن أبيه قال : رهط معاذ بن جبل هم بنو عدى ، وسعد أخو سلمة بن سعد الخزرجى ، قال : ولم يبق من بنى عدى أحد ، وكان آخر من بقى منهم معاذ بن جبل ، ومات بالشام فى الطاعون .

ومنهم مرة بن الحباب بن عدى بن العجلان البلوى الأنصارى المزنى ، حليف بنى عمرو بن عوف .

شيطان أم ابن قرط ؟

ومنهم مسلم بن عبد الله الأزدى ، روى عن النبى ﷺ فى تغيير اسم عبد الله

ابن قرط قال : جاء عبد الله بن قرط الازدى إلى النبى ، ﷺ ، فقال: « ما اسمك» ؟ قال: شيطان، قال : « بل أنت عبد الله بن قـرط » روى عنه بـكر بن زرعـة الخولانى .

ومنهم محمود بن الربيع بن سراقة الخزرجى الأنصـــارى ، من بنى عبد الأشهل ، وقيل: إنه من بنى الحارث بن الخزرج، وقيل: إنه من بنى عبد الأشهل ، وقيل : إنه من بنى سالم بن عوف ، ويكنى أبا نعيم ، وقيل : يكنى أبا محمد ، معدود فى أهل المدينة .

ومنهم محمد بن لبيد بن رافع بن امرىء القيس بن زيد الأنصارى الأشهلى ابن عبد الأشهل ، ولد على عهد رسول الله ﷺ ، وقد حدث عن رسول الله ﷺ أحاديث منها ، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدا حماه عن الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه» .

ومنهم محرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن النجار الأنصارى شهد بدرا واحدا . .

ومنهم منقذ بن عمرو المازنى الأنصارى . له صحبة، وهو جد محمد بن يحيى بن حبان ، وكان قد أصابته ضربة فى رأسه ، فسقطت لسانه .

ومنهم معوذ بن عمرو الجموح بن زيد بن خزام الأنصارى السلمى ، شهد بدرا مع أخيه معاذ ، هكذا قال موسى بن عقبة ، وأبو معشر ، والواقدى ، ولم يذكره ابن إسحق ، وأكثر الروايات عنه أنه، شهد بدرا واحدا .

ومنهم معن بن عدى بن الجد بن عجلان بن ضبيعة البلوى من بنى الحاف ابن قضاعة ، حليف بنى عمرو بن عوف الأنصارى ، والجـــد يعنى أبا عدى ، شهد العقبة وبدرا واحدا والخندق وسائر مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتـــل شهيدا فى خلافة أبى بكر الصـــديق ، رضى الله عنه ، يوم اليمامـــة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد آخى بينه وبين زيد بن الخطاب .

ومنهم مسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن رزيق الأنصارى الزرقى شهد بدرا واحدا ، وقتل يوم بئر معاونة شهيدا .

ومنهم مسعود بن زيد بن سنان بن عدى بن كعب بن غنم بن كعب أبو سلمة الأنصارى شهد العقبة ، ولم يشهد بدرا .

ومنهم مسعود بن عدى بن حرملة اللخمى ، ويزعم أهله وولده أن له صحبة ، روى الحديث عن جماعة من ولده ، ومنهم مسعود بن الحكم بن الربيع بن عامر ابن خالد بن عامر بن رزيق الأنصارى الزرقى ، أمه حبيبة بنت شريف بن أبى خيثمة من هذيل ، ويكنى أبا هرون ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ويعد فى جملة التابعين وكبارهم ، ومنهم مغيث بن عبيد بن إياس البلوى حليف الأنصار ، قتل يوم الرجيع شهيدا ، وهو أخو عبد الله بن طارق من الأم ، هكذا قال فيه عبد الله بن محمد ، وعمارة .

النعامنة :

ومنهم النعمان بن قوقل ، ويقال النعمان بن ثعلبة ، وثعلبة يدعى قوقلا ،

ويقال ، النعمان بن مالك بن ثعلبة بن عدى بن ثعلبة بن فهر بن غنيم بن الخزرج قتل شهيداً يوم أحد .

ومنهم النعمان بن مالك بن ثعلبة بن رعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف ابن الخزرج ، وثعلبة بن رعد هو الذى يقال له قوقلا، وكان له عز ، وكان يقال للخائف، قوقل حيث شئت . فأنت آمن ،، فقيل لبنى غنم ولبنى سالم لذلك قوقلة ، وقتل يوم أحد شهيداً ، قتله صفوان بن أبى أميـــة فى قول محمد بن عمرو ،

ومنهم النعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة بن أصرم بن بهر بن ثعلبة بن غنم لم يشهد بدراً .

ومنهم النعمان بن الحدان الزرقى الأنصارى ، وهو الذى خلف على خولة بنت قيس الأنصارى بعد قتـل حمزة بن عبد المطلب عنهـا ، وكان النعمان بن الحدان لسان الأنصار ، وشاعرهم .

قال أبو الأسود ، ولد ابن الزبير على رأس عشرين شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهرا ، فى ربيع الآخر، وهو أول مولود من ولد الأنصار بعد الهجرة ، يـكنى أبا عبد الله .

وكان النعمان كريماً جوادا ، عالماً ، شاعرا .

ومنهم عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارى الأشهلى ، له صحبة ورواية حديثه عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى بنى عبد الأشهل .

روى عنه إسماعيل بن أبى حبيبة ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار .

ومنهم عبد الله بن عدى الأنصارى ، روى عبد الله بن عدى بن الخيار عن عبد الله بن عدى الأنصارى ، وتابعه جماعة من أصحابه ، فقالوا ، إنه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل يستأذنه فى قتل رجل من المنافقين . فقال : ، أليس يشهد أن لا إله إلا الله ، ؟ الحديث .

أفلحت الوجوه :

ومنهم عبد الله بن عتيك الأنصارى من بنى عمرو بن عوف ، وهو الذى قتل أبا رافع بن أبى الحقيق اليهودى بيده ، وكان فى بصره شىء ، فنزل تلك الليلة عن درك غرفة أبى رافع بعد قتله إياه ، فوثبت رجله ، فاحتمله أصحابه حينا ، فلما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسح رجله ، قال : كأن لم أشكها قط .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولمن توجهوا معه فى قتل ابن أبى الحقيق — إذ رآهم مقبلين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب — : ، أفلحت الوجوه ، .

واستشهد عبد الله بن عتيك يوم اليمامة ، وقيل ، إنه وأخاه شهدا بدراً ، ولم يختلف أحد فى أن عبد الله شهد أحدا .

ومنهم عبد الله بن غرفطة بن عدى بن أمية بن حدارة بن عوف بن الخزرج الأنصارى ، شهد بدراً ، وكان ممن هاجر مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة ، وهو حليف لبنى الحارث بن الخزرج ،... ومنهم عبد الله بن قيس بن صخر بن خزام بن ربيعة بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصارى ، شهد بدراً ، هو وأخوه معبد بن قيس .

ومنهم عبد الله بن قيس الخزاعى ، وقيل الأسلمى ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه ابتاع من رجل من بنى غفار سهمه ،

ومنهم عبد الله بن قيظى بن قيس بن لودان بن ثعلبة بن عدى بن محدجة ابن حارثة الأنصارى ، شهد أحداً ، وقتل يوم جسر العبيد ، فشخن مع إخوته عقبة وعباد شهيداً .

أكتمها على :

ومنهم عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصارى من بنى عمرو بن عوف وهو الذى قال للجلاس - وكان على أمية — : إن كان ما يقول به محمد حقا فنحن أشر من الحمير ، وقال الجلاس ، أكتمها على ، قال ، لا والله ، وتماها إلى رسول الله صلى الله عليه — ه وسلم ؛ ولم يكتمها . فدعا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الجلاس ، فعرفه بما قال عمير ؛ فحلف له الجلاس ما قال ، فنزلت : « يحلفون بالله ماقالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر » ... إلى قوله تعـالى : « فان يتوبوا يك خيرا لهم ، قال الجلاس : أتوب إلى الله .

قال عروة بن الزبير ، فما زال عمير منها فى علياء بعد هذا .

ومنهم عمير بن عمرو الأنصارى الأزدى ولم يرو عنه غير ابنه أبى بكر بن عمير حديثه صحيح الإسناد عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى مائة ألف ، .. الحديث .

ومنهم عمير بن حبيب بن حماسة ، ويقال ابن حباشة الأنصارى الخطمى ويقال إنه ممن بايع تحت الشجرة .

وكان عمير هذا أعمى ، وكانت له أخت تشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلها عمير هذا فقال النبى ، صلى الله عليه وسلم : « أبعدها الله » .

ومنهم عمير بن عمر الأنصارى ، ويقال الازدى الأنصارى ، حديثه عن وكيع عن سعيد بن سعيد الثعلبى عن سعيد بن عمير الأنصارى عن أبيه ؛ وكان بدرياً ، يعد فى الكوفيين .

ومنهم عمير بن عمر الأنصارى ، والد سعيد بن عمير الأنصارى .

ومنهم عمرو بن عمرو بن غربة بن ثعلبة بن خلساء بن مبذول بن عمر ابن غنم بن مازن بن النجار الأنصارى المازنى ، شهد العقبة ، ثم شهد بدرا ، وهو والد الحجاج بن عمرو بن غربة ، وإخوته الحارث وعبد الرحمن وزيد وسعيد ، وله صحبة ، واختلف فى صحبة الحجاج ، ولم تصح لغيره من ولده ،

ومنهم عمرو بن أحيحة بن الجلاج الأنصارى ، وذكره ابن أبى فيمن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة .

ومنهم عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم بن سواد الأنصارى السلمى ، شهد بدراً ، فى قول أكثرهم ، ولم يذكره موسى بن عقبة .

ومنهم عمرو بن معاذ بن إياس الأنصارى من بنى عبد الأشهل ، شهد مع أخيه سعد بن معاذ بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، لا عقب له ، قتله ضرار بن الخطاب ، وكان يوم قتل ابن اثنتين وثلاثين سنة .

ومنهم عمرو بن غنمة بن عدى بن داى من بنى سلمة الأنصارى السلمى الخزرجى ، شهد بيعة العقبة مع أخيه ثعلبة بن غنمة ، وهو أحد البكائين الذين نزلت فيهم الآية : « ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت لاأجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع » .

ومنهم عمرو بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار ، قتل يوم أحد شهيداً ، ويكنى أبا حمام .

ومنهم عمرو بن قيس بن زيدبن سواد بن مالك بن غنم الأنصارى النجارى ، شهد بدراً .

ومنهم عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار بن حكيم شهد بدرا وأحدا .

ومنهم عمرو بن مطروق ، أو مطرق ، بن علقمة بن عمرو الانصارى ، قتل يوم أحد شهيدا . .

اللهم اكسه جمالا :

ومنهم قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب ، وكعب هو ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الظفرى الأنصارى ، يكنى أبا عمرو وقيل ، يكنى أبا عبد الله ، شهد بدرا ، والمشاهد كلها ، وأصيبت عينه يوم بدر ، وقيل يوم الخندق ، وقيل يوم أحد ، فسالت حدقته فأرادوا خلعها ، ثم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فدفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها ، ثم غمرها براحته وقال: « اللهم ، أكسه جمالا ، فانت ، وإنها لأحسن عينيه ، أصيب يوم أحد .

ومنهم قبيصة بن ذؤيب الخزاعى بن جلجة بن عمرو بن كلب بن أخـزم ، روى عنه أبو هريرة وأبو الدرداء وزيد بن ثابت ، وجماعة من الصحابة ، وروى عنه الزهرى ورجاء بن حيوة ، ومكحول ، وكان ابن شهاب إذا ذكر قبيصة بن ذؤيب قال : كان من علماء هذه الأمة ، وتوفى سنة ست وثمانين وله ست وثمانون سنة .

ومنهم قيطى بن قيس بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن مجدعة بن حارثة الأنصارى الخزرجى ، شهد أحدا فى قول الواقدى عن سعيد بن سعيد بن الحارث الخزرجى قال ، حدث سعيد بن نصر قال ، حدثنا قاسم بن إصبغ قال ، حدثنا ابن وضاح قال ، حدثنا ابن شيبة قال ، حدثنا ابن الحسن موسو أبو الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، عن عروة عن الزبير عن أسامة بن زيد ، أن رسول الله ، صلى الله عليـــه وسلم ، أردفه وراءه ليعود سعد بن عبادة ، وسعيد بن الحارث قبل وقعة بدر .

ومنهم سعيد بن القشيب الأزدى حليف أمية ، وقتل يوم أحد ، شهيدا .

ومنهم سعيد بن عران الهمدانى ، كان كاتبا لعلى بن أبى طالب ، أدرك من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أوطارا جميلة ، وروى عن أبى بكر ، وروى عن عامر بن سعد .

ومنهم سعيد بن معاذ بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج ، وأمه كبشـة بنت رافع ، له صحبة ، أسلم بالمدينة بين

العقبة الاولى والثانية على يد مصعب بن عمير ، وشهد أحدا والخندق ، ورمى يوم الخندق بسهم ، فعاش شهرا ثم تحرك جرحه ، فمات منه .

ومنهم السعود الثمانية :

ومنهم سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصارى ، وهو والد سهل بن سعد .

ذكر الواقدى عن أبى بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال ، عزم سعيد ابن مالك على أن يخرج إلى بدر ، فمات ، فوضع قبره عنـــد دار بنى قارة . فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره .

ومنهم سعد بن عبادة بن رديم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصارى الساعدى .

ومنهم سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية بن ضبيعة ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، أبو عمير ، ويقال أبو زيد ، شهد بدرا ، وقتل بالقادسية شهيدا ، وذلك سنة خمس عشرة ، وهو ابن أربع وستين سنة يومئذ .

ومنهم سعد بن يزيد الفاكه بن خلدة بن عامر بن زريق الأنصارى الزرقى ، شهد بدراً .

ومنهم سعد الطغرى الأنصارى من طفر ، روى عنه عبد الرحمن بن حرملة عن النبى ﷺ ، أنه نهى عن الكنى القبيحة .

ومنهم سعد بن زيد الأنصارى من بنى عمرو بن عوف ، ولد على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم . وروى عن عمر ، وتوفى فى آخر ولاية عبد الملك بن مروان .

ومنهم سعد بن جمار بن مالك الأنصارى ، وهو أخو كعب بن جمار ، حليف بنى ساعدة من الأنصار ، قتل يوم اليمامة شهيدا ، وكان قد شهد أحدا ، وما بعدها من المشاهد .

ومنهم سليمان بن صرد بن الجون الخزاعى سكن الكوفة وكان له شرف فى قومه .

وكان فيمن كتب إلى الحسين بن على للقدوم إلى الكوفة ، فلما قدمها ترك القتال معه ، فلما قتل الحسين قدم هو والمسيب بن نجبية الفزارى وجميع من خذلوه ولم يقاتلوا معه ، ثم قالوا ، ما لنا من توبة فيما فعلناه إلا أن نقتل أنفسنا فى الطلب بدمه .

فخرجوا فعسكروا بالنخيلة فى مستهل ربيع الآخر سنة خمسة وستين وولوا أمرهم سليمان بن صرد ، وسموه أمير التوابين ، ثم ساروا إلى عبيد الله بن زياد ، فلقوا مقدمته فى أربعة آلاف ، عليها شرحبيل بن ذى الكلاع ، فاقتتلوا ، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبية بموضع يقال له ، عين الوردية ، وقيل ، إنهم خرجوا إلى الشام فى طلب دم الحسين ، فسموا التوابين ، فكانوا أربعة آلاف ، فقتل سليمان بن صرد ، رماه يزيد بن الحسين بن نمير بسهم ، وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبيـ ـة إلى مروان بن الحكم ، وكان سليمان يوم قتل ابن ثلاث وسبعين سنة .

أخبر سعيد بن أصرم قال ، حدثنا قاسم بن أصبغ بن وضاح قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال ، حدثنا حفص بن غياث عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن سليمان بن صرد ، أن رجلين تلاحيا ، فاشتد غضب أحدهما . فقال

النبي ﷺ: «إني لأعرف كلمة لو قالها سكن غضبه، هي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ومنهم سفيان بن بشر بن زيد بن الحارث الأنصاري الخزرجي من بني جشم ابن الحارث بن الخزرج، شهد بدرا، واحدا.

ومنهم سفيان بن حاطب بن أمية بن رافع بن سديد بن حزام بن الهيثم بن طغر الأنصاري الظفري، شهد مع رسول الله ﷺ، أحدا، وقتل يوم بئر معاونة شهيدا. هذا وغيرهم كثير وكثير جدا رحمهم الله جميعا رحمة واسعة

وصحابيات فاضلات:

كذلك كان للساما الأزد — كما كان لرجالهم — فضل الصحبة، وميزة السبق إلى الإسلام، وملاقاة النبي والتحدث اليه، صلوات الله وسلامه عليه..، وهذا بعض قليل من الصحابيات الراويات أكثرهن للحديث، المجانبات للدنس والخبيث، والآهلات بالمدينة، المشتهرات بالتواضع والسكينة، ومنهن — على سبيل المثال فقط أيضا —:

أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل، وقيل، هي أسماء بنت النعمان ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن النعمان بن كندة.

ولقد ذكر بعض المؤرخين أن رسول الله ﷺ تزوجها، واختلفوا في قصة فراقه لها، فقال بعضهم: أنها لما دخلت عليه دعاها، فقالت، تعال أنت، إن رأيت أن تجيء.. هذا قول قتادة وأبي عبيدة، وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «عذت بمعاذ، وقد أعاذك الله مني» فطلقها.

وقال قتادة، إن هذه المرأة كانت جميلة الصورة، فخاف نساؤه أن تغلبهن على

النبي ، ﷺ فقلن لها: إن رسول الله يعجبه أن تقول له : أعوذ بالله منك ، فقال : ﷺ ... لما قالت ذلك ... : « عذت بمعاذ ، فطلقها ، ثم سرحها إلى قومها .

قال ولا شك ، إن هذا الكلام غير مطابق للصواب ، ولا يلتفت إليه أولوا الألباب ، حاشا لزوجات النبي ، ﷺ ، أن يقلن لها ، قولي لرسول الله ، ﷺ إذا دعاك ، أعوذ بالله منك .

وقال عبد الله بن عقيل : وتزوج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، امرأة من كندة ، وهي الشقيقة ، سألت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يردها إلى قومها وأن يفارقها ، ففعل ، وردها مع رجل من الأنصار ، يقال له ، عبد الله بن أسد الساعدي .

ومنهن : أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة ، أم منيع الأنصارية من المبايعات بيعة العقبة .

ومنهن : أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأشهلية ، وهي من المبايعات ، وهي ابنة عم معاذ بن جبل وتكنى أم سلمة ، وقيل أم عامر . كانت من ذوات العقل ، والتي روى عنها ، أتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إن من ورائي جماعة من نساء المؤمنين ، كلهن يقلن لي قولي للنبي: إن الله بعثك للرجال والنساء ، فآمنا بك وصدقناك ، ونحن معاشر النساء المقصورات المخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهم، وإن الرجال فضلوا علينا بالجمعات والجماعات ، وشهود الجنائز ، والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا أموالهم ، وربينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يارسول الله ؟

فلما قالت ذلك لرسول الله التفت صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة ، وقال : « هل سمعتم مقال امرأة أحسن سؤالا عن دينها منه » ؟ قالوا : لا يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبشرى يا أسماء ، وأعلمى من وراءك من النساء ، أن أحسن التبعل طاعة إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته ، وهـذا يعدل كل ماذكرت عن الرجال » فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عنها محمود بن محمد ، وشهر بن حوشب وإسحق بن راشد وغيرهم هذا الحديث .

ومنهن أميمة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية ، زوج خالد بن سعيد ، ويقال لها ، هيمة بنت خلف بن أسعد بن عامر الخزاعية .

ومنهن أميمة بنت النجار الأنصارية ، حديثها عن ابن جريج عن حكيمة بنت أبى حكيم عن أمها أميمة ، أن أزواج النبى ﷺ كانت لهن عصائب ، فيها الورس والزعفران ، فيغطين بها أسافل رؤوسهن قبل أن يحـرمن ثم يحرمن .

ومنهن جميلة بنت سعد بن الربيع الأنصارى ، أدركت النبى ﷺ ، وروت عنه وروى عنها ثابت بن عبيد الأنصارى ، أن أباها وعمها قتلا يوم أحد ، فدفنا فى قبر واحد .

ومنهن جمرة بنت قحافة الكندية ، روت عن النبى ﷺ وروى عنها شبيب بن عذرة ، وروت عنها ابنتها أم كلثوم ، إن صح حديثها ذلك ، لانه مما لا يعبأ باسناده .

ومنهن خنساء بنت حزام بن وديعة الأنصارية من الأوس ، أنكحها أبوها وهى كارهة ، فرد رسول الله ﷺ نكاحه ، واختلفت الأحاديث فى حالها فى ذلك الوقت ، فعلى ما نقل مالك بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن يزيد بن وديعة عن خنساء أم حزام ، أنها كانت يومئذ بكرا ، والصحيح ماقال مالك .

شاعرة العرب :

ومنهن الخنساء بنت عمرو بن شريد الشاعرة السلمية ، وأبو ها عمرو بن شريد بن رباح ابن ثعلبة بن حذافة بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم ، قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بنى سليم وأسلمت معهم ، فذكروا أن رسول الله ﷺ قال لها — وكانت تنشده — : «هيه ياخناس» ، ويومىء بيده ، ﷺ ، وكانت الخنساء تقول فى أول أمرها البيت والبيتين والثلاثة ، حتى قتل أخوها معاوية بن عمرو . وهو أخوها لأبيها وأمها . قتلها هاشم ومرشد .. أما صخر فكان أخوها لأبيها . وكان أحبهما إليها ، لأنه كان حكيما جوادا ، محبوبا فى العشيرة ، وكان قد غزا بنى أسد ، وأصابه أبو ثور الأسدى بطعنة فرض بها قريبا من حول ، ثم مات .

ولما قتل صخر أكثرت الخنساء من أشعارها ، وأجادت من قولها فى صخر هذا . فمن قولها :

أعينى جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان لصخر الندى؟
ألا تبكيان الحوى الجميلا ... ألا تبكيان الفتى السيدا ؟
طويل العماد عظيم الرفا ... د قد ساد عشيرته أمردا

ومن قولها فيه أيضاً :

أشم ، أبلج ، تأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

وفى رواية :

وإن صخرا لحامينا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتوا لنحار

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها، وقالوا اسم الخنساء : تماضر ، وذكر الزبير بن بكار بن محمد بن الحسن المخزومى عن عبد الرحمن عن عبد الله عن أبيه قال : حضرت الخنساء حرب القادسية ، ومعها بنوها أربعة رجال ، فقالت لهم من أول النهار : إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذى لا إله غيره ، إنكم لبنو رجل واحد ، وبنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم ، ولا غيرت نسلكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ، يقول الله عز وجل: « يا أيها الذين آمنوا . اصبروا ، وصابروا ، ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . فان أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على عدوه مستنصرين ، فإن رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، واضطربت لطاعن ساقها ، وأورت نارا على أوراقها ، فتيمموا وطيسها عند اخترام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والاقامة ...هيا بنى إلى حرب عدو الله فخرج بنوها قابلين لنصحها ، عازمين على انجاز قولها .

ولما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، وأنشأ أولهم يقول شعرا :

يا إخوتى إن العجوز الناصحة قد نصحتنا ودعتنا البارحة

مقالة ذات بيـــان واضحة فباكروا الحرب الضروس الطاحة
من آل ســاســان كلابا نابحة قد أيقنوا منكموا بوقع الجائحة

أو ميتة تورث غنما صالحة

وتقدم، فقاتل حتى قتل شهيدا، ثم حمل الثانى وكر على العدو ، وهو يقول :

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأقوم والرأى السدد
قد أمرتنا لسداد ورشـــد نصيحـــة منهـــا وبرا بالولد
فباكروا الحرب حماة فى العدد إما لفوز بارد على الكـــبد
أو ميتـــة تورثكم غنم الأبد فى جنة الفردوس والعيش الرغد

فقاتل حتى استشهد ، ثم حمل الثالث ، وهو يقول :

والله لا أعصى العجوز حـــرفا قد أقرأتنـــا حـــربا وعطفا
نصحا وبرا صـــادقا ولطفا فبادروا الحرب الضروس خفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا أو تكشفوهم واعن حاكوا كشفا
إنا نرى التقصير منكم واضعفا والقتل فيكموا مجدة وعـــرفا

فقاتل حتى قتل شهيدا ، ثم حمل الرابع ، وهو يقول : فى حماس منقطع النظير

لســـت لخنســـاء ولا لحزم ولا لعمرو ذى السنان الأقوم
إن لم أرى فى الجيش جيش الأقدم ماض على الهـــول خضم خضرم
إما لفـــوز عاجـــل ومغنم أو لفوات فى السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد، فبلغها الخبر ،فقالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى دار الرحمة ،ومستقر السرور .

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ورضى عنه ، يعطى الخنساء أرزاق أولادها لكل واحد منهم مائتا درهم ، حتى قبض ، رحمة الله عليه .

فلو كان النساء كمثل هذى :

من قلائل من كثر ، وقليلات من كثيرات فى عمان — وعلى الصعيد الإسلامى — ممن رفعن قدر الحياة ، وأفهمن العالم كله ، إن العبقرية ، والنبوغ ، وشتى أرومات المجد والاصالة وأمهات السبق فى ميادين العلم ، والمعرفة ، والدين لا تفرق بين الرجل والمرأة ، والذكر والأنثى ، بل ان من النساء من أفسح لهن التاريخ أوسع أبوابه ، واحتفى بهن — فاضلات عالمات صحابيات — فى ضيافته وفوق ساحته ، وتحت قبابه ... فى كل فنون الحضارة والمجادة ، وكل شئون المهارة والسيادة ، كهؤلاء اللائى ذكرت نفرا منهن ، واستعرضت جزيئا من جزء من كلهن ، وما أكثرهن فى باب الإجمال ، والكليات ، والعموم ، اللواتى ولدن الرجال ، وقدن الأبطال ، وصنعن المحال ، وكن فى أعلى قمة ، وعلى أروع مثال ...

ولا شك ان للاسلام أثره فى تنشئة هؤلاء الفضليات ، وأخذهن بالأسلوب الصحيح الراقى المهذب فى التربية والتثقيف ، وحسن التعامل ، وصدق المناهج فى تعاطى هذه الحياة ، فلم ينفلتن عن قبضته ، ولم يهربن من ساحته ، ولم ينطلقن مع الهوى والجنوح ، سادرات غوبات ، مع أهوائه ولجاجه ، وفوق ظهور مياهه وأمواجه .

إنهن اللواتى هذبهن الإسلام ، وأطلعهن من آفاقه ، وباشرهن صبيات ، وفتيات ، وزوجات ، وأمهات . وجعلهن صانعات الأجيال ، ومنجبات الأبطال ، وأمهات الرجال ، فالمرأة التى تهز المهد بيمينها تحرك العالم بيسارها .

من هنا .. أدركت نساء الإسلام عموما ، ونساء عمان على وجه الخصوص كل هذه المقولات ، وما يتعلق بها ، وما تعبر عنه ، وتشير اليه ، وتدل عليه ، وتتفاعل

معه وتتركز فيه ، من التوجيهات السماوية ، والتوصيات الآلهيـة والمعاملات الشرعية ، فاحتضنها ، وتفانين فى بريجتها وترجمتها سلوكا وعملا ، وشونا وأملا ، حتى أصبحن كما يرى العالم ، وتتكحل بمرآهن عيون الحيـاة ، وحتى أصبحت كل واحـدة فيهن من المسلمات المؤمنات القانتات العابدات، وكأنمـا يعنيها أبو الطيب بقوله :

فلو كان النساء كمثل هـذى لفضلت النسـاء على الرجال

الباب الثالث

الأباضيّة والفرقة النّاجيّة

أغدر بعد عهد ؟ :

حدثنا التـــاريخ فيما يرويه الطبرى فى « تاريخ الملوك » والزبير بن بكار فى « جمهرة نسب قريش » والسالمى فى « تحفة الأعيان » والمقريزى فى « المواعظ والاعتبار » والقلقشندى فى « لاميته » وأحمد أمين فى « ضحى الإسلام » ومحمد أبو زهرة فى « المذاهب الاسلامية » وغيرهؤلاء من شيوخ المؤرخين ومحدثهم: إنه لما استقام أمر المسلمين على إنتخاب الخليفة الرابع على بن أبى طالب . وتم إجماعهم على ذلك ، خرج طلحة والزبير على هذا الاجماع مشاقين مفارقين ، وذلك بعد أن بايعا عليا ، وبعد أن وضع كل منهما يده فى يده ، وذهبا من فورهما إلى عائشة أم المؤمنين بمكة ، وقالا لها : إن على بن أبى طالب قد استأثر بهذا الأمر لنفسه من غير رأى المسلمين ولا مشورتهم ، وإنه بذلك قد أحدث حدثاً ، وأقام بناءه على أنقاض عثمان ، وأن عثمان قتل مظلوما بعد أن تاب وأناب . وخدعاها — أوصرفاها — عن رأيها وبصيرتها فى عثمان ، ولم يزالا يزينان لها أمر الخوض فى التيار ، والمشاركة فى الرأى ، وامتطاء صهوة الموج ، والتعامل مع الأحداث الجارية ، حتى أقنعاها بضرورة الخروج من بيتها ، وقالا لها — ضمن ما قالا ، وما أكثر الذى قالاه — : ألا يجب عليك أن تقومى وتردى الأمر إلى عامة المسلمين — وأنت أمهم — فيختارون لأنفسهم من شاءوا ، ونحن نرغب أن تسيرى معنا إلى العراق ، وتصلحى بين الناس هناك ، وتكفى بعضهم عن بعض، ويصلح الله أمر هذه الأمة على يديك ، ونرجو أن يوليك الله هذا الأمر ؟ .

وهكذا أخرج طلحة والزبير عائشة أم المؤمنين من بيتها بمكة — بعد أن نقضا بيعتهما لعلى بن طالب ، واصطحباها معهما ، وسارا بها إلى البصرة — فى طريقهما إلى العراق — يطلبان أمر الدنيا تحت عباءة أم المؤمنين ، وقد شاهدا قتل

عثمان ، وبايعا عليا ، ودخلا فيما دخل فيـــه المسلمون، ووصل بهما الشوط إلى مشارف البصرة ، واقتحماها ومعهما جمع من الغوغاء ، ونفر من الشواذ ، وصناع الفتنة ، وطلاب الجاه والمغنم ، والمشاركين بالتصفيق ، والهتاف والدعاية ، والتقت بهم جماعة المسلمين هناك ، وناشدوهم الله والتعقل والروية حقنا للدماء وصونا للأرواح ، وإبقاءا على جمع الكلمة ، وتوحيـــد الصف لاسيما وإن على بن أبى طالب رجل الساعة والمهمة الصعبة ، إلا أن طلحة والزبير واتباعهما مالوا على القوم وأعملوا فيهم الســـيوف ، فقتلوا جماعة من المسلمين فيهم حكيم ابن جبلة العبدى مع رهط من أصحابه ، ونتفوا لحية عثمان بن حنيف ، وكان واليا على البصرة .

ولم يسع أمير المؤمنين على بن أبى طالب ازاء ذلك — وهو فى المدينة — الا الخروج عليهم ، والقيام لله بحقه .

وإن من نكث ، أو غدر وخان ، أو خرج على جماعة المسلمين ، فلا دين له ولا عهد ، وتجب مقاتلته حتى يفىء إلى أمر الله .

وخرج على واصطحب معه — وهو فى طريقه أ — نفرا من أهل الكوفة، حتى قدم البصرة ، وهناك وفيها قامت المعركة ، وزحف طلحة والزبير ومن معهما لملاقاة القوم ، وأبرزوا أم المؤمنين على الجمـــل حاسرة كاشفة — وعلى الله حسابهم — وحمل بعضهم على بعض ، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله — على الرغم من أنه كان فى جيشه وضمن عسكره ، وذلك لما كان يتهمه به من التحريض على قتل عثمان — وهرب الزبير ، فتعقبه عمر بن جرموز التميمى فى وادى السباع حتى قضى عليه ومثل به ، وساعده على ذلك السعدى من بنى مجاشع ،... أما عائشة فقد عقر جملها رجل من بنى تميم اسمه عين بن حكيم ، وهاجت المعركة ، وتلمظ شدقاها ، وهبت أعاصيرها ، وتصايح الفريقان ، ونادى منادى على بن أبى طالب: ألا .. من أغلق بابه فهو آمن ،... ثم هدأت العاصفة ، بعد انتصار على ،

واستتيب الناس و رجعت عائشة من هذا المشوار أسيفة حزينة نادمة !! ودخل عليها عمار بن ياسر رحمه الله وقال لها : أخبرينا يا أم المؤمنين عن القتال الذى تقاتلينا عليه : أهو عهد عهده اليك رسول الله ﷺ ؟ أم هو رأى ارتأيته من نفسك ؟ فقالت : بل هو رأى ارتأيته يا ابنى وأنا استغفر الله وأتوب اليه مما صنعت !!

وأصيب من المسلمين يومئذ زيد بن صوحان الذى قال فيه رسول الله ﷺ « تقطع يده فى سبيل الله ثم يتبعها سائر جسده » .

مؤامرة واويلتاه :

وهكذا تنتهى موقعة الجمل ، ويدخل أهل البصرة فى طاعة على بن أبى طالب ، ويجتمع أمر الناس عليه .

وللمؤرخين حول هـــذا كلام كثير .. ويستقر الأمر ، وتهدأ العاصفة ، ويشرق معاوية من مغبة واستمرارية هذا النجاح والظفر الذى يصاحب عليا فى ملاحمه ومعاركه .

ويتحدث إلى نفسه ويشاورها فى حتمية اللقـــاء مع على فى معركة فاصلة يتبين من خلالها الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ويسعفه فى هذا الخاطر عمرو بن العاص ، ويساعده على تجسيده وتحريكه فى إطار الواقع والفعل ، ويتواعدان على لقاء على فى جيش لجب من أهل الشام ، وكأنهما يطالبان بدم عثمان ، ومن فوق هذا المنبر — وبهذا المنطق — راحا يصرخان ويولولان ويصيحان .. يالدم عثمان . و يالثأره !!

وقد جيشا جيشا تجاوز عده المائة ألف أو يزيد ، وفى الجانب الآخر ،

أو فى المقابل يكون على بن أبى طالب أمير المؤمنين قد جهز بدوره جيشه الذى تمت تركيبته أو بغيته من الأنصار والمهاجرين والتابعين لهم بإحسان . وفى صفين فى جانب الفرات الأيمن ، وبإزاء الرقة ، تدور رحى الحرب ضارية جبارة ، وتطحن فى دورتها الشرسة الرهيبة الآلاف والآلاف من المسلمين ، حتى ليقال بأن عدد القتلى بلغ فى ليلة الهرير وحدها خمسين ألفاً ، وقيل سبعين ، .. ولما كثر القتل ، واستحرت المذبحة فى أهل الشام ، وخاف معاوية على جنده وقومه أن تبتلعهم الحرب ، وتقضى عليهم المعركة ، ويفرق جمعهم ما هنوا به من هزيمة أمسكت بخناقهم ، أو كادت ، .. عندما يستنجد معاوية بعمرو بن العاص الداهية ، ويطلب منه المشورة ، ويستحثه على إعمال الحيلة والخديعة إنقاذاً للموقف ، وكسباً للوقت ، وتفادياً لما عساه يمسك بحجز أصحابه ، وينفرهم منه ، ويفرقهم عنه ، ويشتتهم من حوله ... ويتذكر عمرو نبوءة ذلك اليهودى الذى ألتقى به فى صحار عبر عشرات السنين ، ويدرك أن وقته قد آن ، وإن الحـــاجة إليه أصبحت ملحة وضرورية ، وأن الدنيا تلوح له بالإقبال ، والحظ أوشك أو يراوده ، ويتمايل بين يديه .. وتسعف عمر حيلته ، وينجده دهاؤه ، ويشير على معاوية أن يعلق المصاحف على أطراف الأسنة ، ومتون الرماح ، وأن يكاتب عليا — سراً — بأن كتاب الله سيحكم بيننا فى هذا الموقف وتكون له الكلمة الأولى والأخيرة ، وكتب معاوية بذلك إلى على ، واقترح عليه — أو طلب منه — أن يحكما حكمين فيما بينهما حتى ينهى النزاع ، وينفض السامر ، وتهدأ العاصفة ، وما حكما به رضياه ، فأجابه على إلى ما طلب حقناً للدماء ، وإبقاءاً على وحدة المسلمين .

وقال له فى خطابه الذى أرسله له — رداً على ما اقترح أو طلب — : نعام ، ونعم ، وتم الأمر بينهما سراً ، كما طلب معاوية ذلك ... وبلغ عمار بن ياسر رضى الله عنه أمر ذلك الاتفاق ، وثارت ثائرته وقال لأصحابه : إئتوا عليا

فعاتبوه على ما فعل .. وعاتب القوم عليا ، وأجابهم بقوله : إنى تاركه ذلك إن شاء الله .. وانتهت إجابة على إلى عمـــار فقال قولته المشهورة : جرروا الخطام ما اجتر...

ويتنافش عمار مع على ويقول له : إن القوم سيقولون لك : بيننا وبينك كتاب الله ... فقل : على تركـكم كتاب الله قتلنا كم .. وسيقولون : نجعل بيننا وبينك حكمين .فما حكما به من شيء رضيناه ، فقل : « ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .. فان قالوا : نجعل بيننا وبينك مدة نصطلح فيها ، فقل : إن الله قال : « فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله » ...

خالصة لله :

ويقبل عمار على على ، ويأخذ بأذنه ويجمع ثوبه ، ويقول له — فى إشفاق وإخلاص — : أشـككنا فى ديننا ، وارتددنا عن بصائرنا ، حتى نحـكم عدونا فى ديننا ومصيرنا ودمائنا ؟

هلا كان ذلك قبل وضع السيف فى الرقاب ؟ هلا كان ذلك قبل طلحة والزبير وأصحابهما وهم يدعونك إلى ذلك ، فأبيت عليهم وقلت لهم: أنا على الحق دونـكم ؟

لا .. يا ابن أبى طالب فإن كان القوم كفر مشركين فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يسلموا .

وإن كان القوم كفرة أهل كتاب فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون .

وإن كان القوم بغاة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفيئوا إلى أمر الله .

ثم قال : والله إن القوم ما أسلموا .. ولا أدوا جزية ... ولا فاءوا إلى أمر الله ، .. ولا وضعت الحرب أوزارها ، فكيف لنا أن نسكت عنهم، أو نخلى لهم ، أو نتركهم وشأنهم بعد الذى كان منهم ؟

ويقول اليعقوبى ، والجبرى ، وجاويش ، وفلهوزن ، وابن ماجة ، وابن الباقلانى : إن عماراً خرج هو ومن معه من المقاتلين إلى حرب معاوية ، فقاتل هو وأصحابه حتى استشهدوا رحمهم الله ، واستشهد معه — كما يؤكد ذلك أصحاب السير والتراجم — سبعة وعشرون رجلا من المهاجرين والأنصار ، وفيهم ابنابديل ، وخزيمة بن ثابت الأنصارىذو الشهادتين رحمهم الله جميعا وغفر لهم ، وأثابهم جنة عرضها السماوات والأرض !

تقتلك الفئة الباغية :

وهكذا كانت مسألة الخلافة والتصارع عليها والتطاحن فى سبيلها ، ومن أجلها من أمهات المسائل أو المشاكل السياسية التى عرضت للمسلمين بعد وفاة النبى ﷺ ، ونتج عنها ، أو أثمرت حصادها المر الكريه الذى كان من أولى سلبياته أو سيئاته نشوء الفرق ، والتحزب ، والمذاهب المختلفة فى الإسلام... وهكذا — وعلى يد فئة معاوية — استشهد عمار بن ياسر الذى قال له رسول الله ﷺ :

« يا عمار .. تقتلك الفئة الباغية ، وقاتلك وسالبك فى النار » ..

ويكثر التاريخ من ذكر عمار فيقول عنه فى مذكراته ومروياته:

بلغنى أنه يوم بناء مسجد الرسول فى المدينة كان المسلمون المشاركون فى البناء يحملون حجراً حجراً ، وعمار يحمل حجرين حجرين ، حتى وقع مغشياً عليه — وكان لا يزال ناقها من مرض أصابه — فأقبل عليه النبى صلوات الله وسلامه عليه — فى لهفة حانية — وجعل يمسح التراب عن وجهه . ويقول :

« ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية ، وقاتله وسالبه فى النار » ...
وبلغنى أنه قال له : « آخر عهدك فى الدنيا يا عمار شربة من ضياح » والضياح هو اللبن الممزوج بالماء ...

وبلغنى أنه مر بعمار والمشركون يعذبونه — وقد وضعوا الحجر المحمى الثقيل فوق صدره مرة ، ومرة أخرى صبوا على رأسه الماء المغلى ، ومرة ثالثة وضعوا رأسه فى برميل من الماء وكتموا فيه أنفاسه — فقال : « أبشر يا ابن ياسر بالجنة » ...

وبلغنى من أكثر من مصدر : « أن حذيفة بن اليمان خرج يوما ومعه من يتبعه ويتعلم منه ، فقال له حذيفة : كيف أنت إذا أقتتل الشيطان والقرآن ؟ فقال له تابعه الذى يتعلم على يديه : عن ما تأمرنى به جعلنى الله فداك ؟ قال حذيفة : آمر أن تتبع القرآن ... ثم سكت .. فقال حذيفة : أما تسألنى إذا اقتتل أهل القرآن ؟ فقال له التابع : بم تأمرنى به إذن جعلنى الله فداك ؟ قال حذيفة : حينئذ آمرك أن تتبع ابن سمية .. عماراً ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن عمارا قد حشا الله قلبه وسمعه وبصره إيماناً ، فلا يعرض له حق إلا أخذ به ، ولا باطل الا تركه » .

وبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعذبى عمار : « مالكم ولعمار يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار » ؟ ..

وبلغنى أن حذيفة كان يقول دائماً : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « اقتدوا بالذين من بعدى وعليكم بهدى عمار ، وهدى ابن أم عبد » يعنى عبد الله بن مسعود رحمهم الله جميعاً ..

وبلغنى أن على بن أبى طالب بعث إلى عمار بن ياسر أن يقسم على ربه أن يزم عدوهم — وقد شرب الشربة التى وعده رسول الله ﷺ إياها آخر عهده فى الدنيا — فقال له عمار : اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه ، هذا اليوم الذى وعدنى رسول الله أن ألقاه فيه . .

وبلغنى أن عمـــاراً قال لعلى بن أبى طالب : إتق الله يا على والحق بالله قبل تحكيم الحكمين .

وبلغنى أن عماراً قال لاصحابه : أين الرائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين ؟ اليوم تزينت الحور العين ! يا قوم ردوا المساء قبل الظمأ ، فإنى أرى الجنة تحت ظلال السيوف ، لنضربنهم اليوم ضرباً يرتاب منه المبطلون ، والذى نفس عمار بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا شعفات هجر ، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ، ولوضربونا حتى يبلغوا بنا الغاف من عمان ، لعلمنا أنا على الحق ، وأنهم على الباطل ، فهل من رائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين ؟ !

ذلك هو موقف التاريخ مع عمار ، وتلك هى احتفالات النبى به ، وتكريمانه له ، وهذا هو الاحتفاء الحق من النبى العظيم بهذا الصحابى الكريم ، فلله درك يا ابن ياسر ، ولله أنت يا عمار ! وكم لك يابنك من المفاخر والمآثر ياسمية ! ورحم الله الجميع ...

على من يقع الوزر ؟

ويحمل أبو المحاسن فى كتابه ، النجوم الزاهرة ، معاوية وزر قتل عمار ، ولا يعفى عمرو بن العاص أبداً من جراء ذلك ومغبته ، فعمرو هو الذى أشار ومعاوية هو الذى نفذ ، ويقول التاريخ فيما يرويه حول ذلك الموضوع :

وتحول رأس عمار إلى معاوية ، ويعرف الناس حينئذ أن معاوية إنما كان يقاتل على الملك والدنيا وأنه لا يقاتل على دين ، ويقول له عمرو : أبعد رأس عمار يا معاوية تقاتل أهل الدين ؟ والله لأفسدن عليك أمرك أو تجعل مصر أكلة لى وحدى . .

وفى هذا يذكر الكندى فى كتابه « الولاة والقضاة » واليعقوبى فى تاريخه ، والمقريزى فى خططه :

إنه عقب مقتل عثمان بن عفان استطاع معاوية بن أبى سفيان أن يستميل إليه عمرو بن العاص ، ويكون مستشاره الخاص . وسيفه الذى يحارب به على ابن أبى طالب ، على أن تكون ولاية مصر طعمة سائغة له وحده ، واستطاع عمرو فعلا أن يستخلص مصر من حكم على فى شهر صفر سنة ٣٨ ، لتكون خالصة له ، وذلك قبل أن يخرج للتحكيم ، ويقول الطرائفى فى تحقيقه وتعليقه على كتاب « الرد على أهل البدع والأهواء » : إن معاوية طمع فى مصر لما اختلف أهل العراق على على ، وأنه قصد من الاستيلاء عليها أن يستعين بها على ضرب على ، ولأهمية تلك المسألة استشار معاوية خواصه ، ومن بينهم عمرو بن العاص الذى قال له : أهمك أمر مصر وخراجها الكثير ، وعدد أهلها ، وخصب ترابها ، وكثرة خيراتها ، فتدعونا للمشير عليك فيها ؟ فان كان ولا بد فاعزم وانهض ، فان فى افتتاحها عزك وعز أصحابك ، وقهر عدوك وكبته ... فقال له معاوية : يا ابن العاص إنما أهمك الذى كان بيننا ...

ويقال : إن معاوية استشار بعض أصحابه وخاصته فيما طلب إليه عمرو بن العاص ، فقال له صاحبه فى شعره :

أعطه مصر وزده مثلها	إنما مصر لمن عز وبز
إن مصراً لعلى أرلنا	يغلب الآن عليها من عجز

ولما استشهد عمار ومن معه — وبعد ما ذكرت من كلام النبي ﷺ فى عمار فيمن يقتله — ارتاب المبطلون ، وأراد الله أن يمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، وتفرق الناس عن معاوية ، وكفوا عن مناصرته خوفا من الله ، وتراجعوا عن السير فى هذا المضمار ، ورجع على إلى الكوفة ، ورجع معاوية إلى الشام ، وبدأ كل من على ومعاوية يتبادلان الكتابة فيما بينهما سراً دون علم الناس كما يقرر ذلك بعض المؤرخين ، وكتب على إلى معاوية — فيما كتب — : من على أمير المؤمنين إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : لو أعلم أنك أمير المؤمنين لم أقاتلك ولم أرفع فى وجهك سيفا ، فامح اسم أمير المؤمنين .

كيف بك مع ابن الطلقاء ؟

وفعل على ما أشار به معاوية فيما يرويه بعض المؤرخين ، وبلغ ذلك المسلمين فغضبوا وقالوا — معاتبين — : يا أبا الحسن .. ما حملك على أن تخلع نفسك من اسم سماك به المسلمون ؟ ألست أنت أمير المؤمنين ؟ فتب عما صنعت واستغفر الله .. فتاب على من ذلك ، واستمر معاوية بكاتبه ، وجعل يستحثه سراً فى إنفاذ أمر التحكيم ، واختار على — مكرها — أبا موسى الأشعرى ، واختار معاوية عمرو بن العاص « شأنى رسول الله » ، ويذكر المؤرخون ذلك ويعللونه فى قولهم : إن عمرا — قبل أن يسلم — كان قد هجا النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا من الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى لا أحسن الشعر ، ولا ينبغى لى ، فالعنه اللهم بكل بيت لعنة .. وتمت الحكومة ، ورضى على بحكومة عمرو .. . فليت شعرى ، أكانت هذه الحكومة عدلا وصوابا — وما أظنها كذلك أبدا — فلقد هلك على بما سفك من دماء قبلها ، وكان معاوية أحق منه بالعدل ؛ لأنه الذى دعا إليها ؟

وإن كانت هذه الحكومة خطأ وضلالا — وهى حتما كذلك فى الحقيقة والواقع — فلقد هلك على بدخوله فيها ، وقبوله لها ، وفى كلا الأمرين لا مخرج لعلى من هذا المأزق الذى صنعه له عمرو ومعاوية ..

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم — فيما أخرجه البخارى بسنده — أنه قال :

« سيكون فى أمتى حكمان ضالان مضلان يضلان ويضل من اتبعهما » !!

قال العلامة الشماخى — فيما تناثر اليه من أقوال المؤرخين والعلماء . ونقلا عن العقد الفريد .. لابن عبد ربه : —

إن على بن أبى طالب قال : لقد خرجت مخرجى هـذا وأنا ظالم أو مظلوم لست أدرى ؟ وإنى لأذكر الله رجلا رعى حقه إلا نفر ، فإن كنت مظلوما أعانى وإن كنت ظالما أخـذ منى ، والله ! إن كلا من طلحة والزبير لأول من بايعنى وأول من غدر بى ، والله المستعان !

وعن الاحنف بن قيس قال : ناظرت طلحة والزبير وعائشة : من أبايع إن قتل عثمان ؟ قالوا : بايع عليا ، ولما قدموا البصرة ناشدتهم قولهم هذا ، فقالوا : نعم ، ولـكنه بدل وغير .

همه الدنيا وفقط :

وحكى ابن الأثير فقال : اجتمع رأى معاوية وعمرو بن العاص ، ومن دار فى فلـكهما ، أو لف فى مدارهما ، على أن يلزموا عليا بدم عثمان ويطالبوه به هكذا ، — ادعاءا — وإن معاوية قام خطيبا بين رسل على ، وفيهم شبث بن ربعى ، فقال : أما بعد ، فإنى دعوتـكم وصاحبكم إلى الطاعة والجماعة ، التى دعوتم إليها ، وأما طاعتنا لصاحبكم فإنا لا نراها ، لأن صاحبكم قتل خليفتنا ، وفرق جماعتنا ، وضيع ثأرنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتل عثمان ، وإن كان كذلك فنحن لا نرد عليه قوله ، ولـكن ليدفع الينا قتلته ، ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة ... فقال شبث : أيسرك يامعاوية أن تقتل عمار بن ياسر ؟ فقال معاوية : وما يمنعنى من ذلك ؟ والله

لو تمكنت من ابن سمية هذا لقتله بمولى عثمان ... فقال شبث : والله الذى لا إله غيره لا تصل إلى ذلك أبدا يامعاوية حتى تتناثر الهام ، وتسقط عن الكواهل ، وتضيق الأرض الفضاء عليك .

وفى غمرة هذه الأحداث يقول ابن المبرد : وبعد صراع دام أشهرا ، وكادت تقع الهزيمة فيه على معاوية وأصحابه ، رفعوا المصاحف على الرماح طالبين حكم القرآن ... هنالك دب الخلاف فى جيش على خاصة بعد أن تأكدوا من ذلك ، وان هذا الأمر تم بليل ، وان عليا قبل التحكيم .

وفى هذه اللحظة فقط فارقوه ، وخرجوا عنه محتكمين إلى الله تعالى ، سائرين فى الارض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد أصابهم الاحباط والاهباط ، ولفهم المرارة فى غاشيتها ، وابتلعهم الأسى من هذا الموقف المردى المخزى .

ويؤكد ياقوت الحموى فى « معجم البلدان » والبغدادى فى كتابه « الفرق بين الفرق » والطبرى فى تاريخه .

ان القوم خرجوا من عند على بعد سبعة وأربعين يوما من التحكيم — وبعد أن حاولوا مرات عديدة أن ينكئوا هذه الجراح ، أو يداوا هذا الذى أصابهم — ونزلوا أرضا بظاهر الكوفة ، تبعد عنها قرابة الميلين اسمها « حروراء » .

ومن هذه القرية حملت جماعتهم اسم « الحرورية » واجتمعوا فيها يومئذ وهم أكثر من خمسة عشرة ألف مجاهد ، من خيار الصحابة ، وكبار المهاجرين والأنصار ورؤساء المسلمين وفقهائهم وقرائهم وعلمائهم ، وفيهم آنذاك شيخ الصحابة ، وإمامهم عبدالله بن وهب الراسبى الازدى — وهو أول إمام عقد له المسلمون آنذاك ونصبوه — ، وفيهم حرقوص بن زهير السعدى ، وزيد بن حصن الطائى ،

وحمزة بن سنان الأزدى ، وشريح بن أوفى العبدى ، وعبد الله بن سرح الأزدى السلمى ، والكثير جدا من اجلاء وأفاضل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنصارا ومهاجرين ، واجتمعوا جميعا فى بيت عبد الله الراسبى ، وعرضوا الامامة على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى-بعد أن تناجلوها وتجاذب القوم أطرافها فيما بينهم- ، فقال ابن وهب: هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعيها فرارا من الموت ،..فبايعوه عليها ،وجعلوا الموعد بينهم النهروان ، شمال بغداد بالعراق ..

ليتهم ما فعلوها :

ويتحدث التاريخ على لسان شيوخه ويقول :

لقد خرج القوم إلى صفين مع على وهم أحباء متوادون ، وسرعان ما رجعوا متباغضين أعداء ، تنفث الفرقة سمومها بينهم ، وما رحوا من معسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم ، وعمتهم بلوى التنازع والتصارع ، ولقد مشوا الطريق كله يتدافعون ، ويتشاتمون ، ويقول الخوارج لهم :

يا أعداء الله .. أو هنتم فى أمر الله عز وجل ، وحكمتم من حكمتم ؟ويقول الآخرون : انتم فارقتم إمامنا ، وفرقتم جمعنا !

ولما دخل على الكوفة لم يدخلوا معه ، وظلوا سائرين حتى أتوا حروراء . وكانوا يقاربون أو يتجاوزون أو يناهزون الخمسة عشر ألف رجل من خيرة المسلمين واتقياتهم ، وأهل التقى والفضل ، والزهد ، والورع فيهم والله الأمر من قبل ومن بعد !!

وينتهى الأمر بخلع على من الامامة ، والخلاف على بقاء معاوية وتثبيته فيما أهمالا لنصوص الوثيقة ، وائتمارا بمشورة العهد وبنوده التى تقضى بذلك ، والتى

جاء فيها: — كما قال ابن الأثير بعد المقدمة — هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان . قاضى على بن أبى طالب على أهل الكوفة ومن معهم ، وقاضى معاوية بن أبى سفيان على أهل الشام ومن معهم ، أننا ننزل عند حكم الله وكتابه ، وأن لا يجمع بيننا غيره ، وان كتاب الله هو شرعنا ودستورنا من فاتحته إلى خاتمته ، نحيي ما احيا ، ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان فى كتاب الله — وهما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى ، وعمرو ابن العاص بن وائل السهمى — عملا به ، ومالم يجداه فى كتاب الله،فالسنةالعادلة الجامعة غير المفرقة .

وإن للحكمين ما للمتحاكمين من المنعة والنفوذ ، ولهما على الأمة العهود والمواثيق بأنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والمسلمون لهما انصار فى انفاذ أحكامهما . وأدوات عمل وإنجاز على الذى يتقاضيان عليه ، ويقضيان به ،وعلى عبد الله بن قيس الأشعرى وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة — بدون تفرقة بين المتخاصمين — بما حكم به الله فى كتابه الكريم وما حكم به النبى فى سنته الطيبة الطاهرة ، وعلى جميع المسلمين أن يلتزموا بكل ما يحكم به الحكمان فى اطار الشرع . وفى حدود الدين ، والله خير الشاهدين . . ووقع على هذه الوثيقة وذلك العهد كل من الطرفين المتحاكمين ، إلاأن ، الاشتر ، أبى أن يوقع قائلا : لاصحبتنى يمينى ، ولا نفعتنى بعدها شمالى إن خط لى فى هذه الصحيفة اسم ، ولست على بينة من عدوى .. أو لستم قد رأيتم الظفر ، وصافحكم النصر ؟ فقال له الأشعث : والله مارأينا ظفرا ، ولا أصبنا نصرا ، هلم الينا ، أم لك رغبة بك عنا ؟ . فقال الاشتر بلى . . والله الرغبة عنكم فى الدنيا للدنيا . وفى الآخرة للآخرة ، لقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أنتم والله خير

عندى منهم ، ولا دم أحرم على من دمائهم... وخرج الأشعث بالكتاب والوثيقة والعهد — يقرؤه على الناس ، ومر على طائفة من بنى تميم ، فيهم عروة بن أدية . أخو أبى بلال ، وقرأ الكتاب عليهم ، فنهره عروة فى غضب وقال له : أتحكمون الرجال فى أمر الله ؟ والله لاحكم إلا لله ، وشد بسيفه عليه فأصاب به عجز دابته.

تفرقة وأى تفرقة؟:

وحول قضية التحكيم ، وما جرى فيها ، وكيف كانت مدعاة لتفرق المسلمين واختلاف الكلمة بينهم ، يطوف بنا العلامة « أبو اسحاق الاطفيشى » ، ويلوب فى مجالها كل من الحسن البصرى ، ومالك بن أنس ، كما أسهم فى ذكرها باسهاب المبرد فى الكامل ، وأحمد أمين فى ضحى الإسلام ، ويجمع الجميع فى مقولهم على صيغة تكاد تكون متحدة من حيث الباعث على التحكيم والغرض منه ، والاخطاء الكبرى التى وقع فيها المتحاكمون بقدر الدهاء والحيطة والمكر الذى اختبأ تحت عباءته معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ، ومن طالب بما يطلبان من الجرى وراء الدنيا ، والركض فى مضمار الجاه وفوق الساحة الفسيحة والمساحة الواسعة والمدى الطويل الكبير البعيد الذى رسمته المطامع على جغرافية الشهوات ، وفى أطلس المناصب ، ومع المنحنيات والخطوط البيانية ، التى تقفز فجأة وبلا مقدمات إلى التملك والسيطرة ممن كانوا لا يملكون ولا يسيطرون ، وما كان ذلك فى الحسبان أبدا ولا طاف مرة بالخاطر .. أو حلموا به وهم نيام .

ويتلخص رأى هؤلاء المؤرخين فيما يردده التاريخ فى أكثر من مناسبة ، والذى يقول فى مجمله :

إن على بن أبى طالب بعد أن جاءته الخلافة ، وقام بشئونها وأمرها قيام الأئمة العدول ، وعمل بأوامر القرآن الكريم ، وهابه أهل الباطل من رجال

الدنيا الذين يتهالكون عليها ، وقاتل أهل الفتنة القائمين لقتاله ، والمتسترين عند العوام بطلب دم عثمان ، حتى قتل منهم الوفاء ، وهزم صفوفاً برجاله الأبرار ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم باحسان .. وشوش عليه بعض أهل الأغراض الدنيوية حين رأوه حليف ذى الفقار ، وأليف العدل والحق على كل طاغية جبار ، ..عند ذلك تآمروا عليه ، وقالوا فيما بينهم - وهم ينصبون له الأفخاخ والأشراك - : إن هذا الرجل لا يرى لنا من الحق شيئاً ، ولا ينقاد لرغباتنا ، فهلم ندس له المكائد ، ونزرع فى حقله الألغام والمصائد ، ولنسجوا له نسيجاً من الفتنة لا ينفلت منه إلا بدماره ، وهكذا أمكن لهؤلاء الأبالسة أن يخدعوا عليا الإمام المظلوم فى قضية التحكيم من نواح عديدة ، إذ أرغموه على قبولها ، ثم فرضوا عليه أبا موسى الأشعرى وهو لا يراه هناك ، وصبوا فى حلقومه الكأس حتى الثمالة ، وهم يغصبونه على متابعة الفارين الهاربين فى حروب متتالية أنهكت جنده ، وأتت على معنوياتهم ، ثم حاكوا له الدسائس وتولوا عن الحق ، وتكسر بذلك العمود الذى قامت عليه دولته ، وانهار الصرح الذى فيه عزه وقوته ، وأوغلوا فى الشقاق ، ولجـــوا فى الخصومة والنفاق ، ورجع بعضهم يضرب رقاب بعض . وبقضية التحكيم هذه وجد الشيطان له مدخلا بين صفوف المسلمين ، وكثر القيل والقال ، واشتد النقاش والجدال ، وأطلت الفتنة برأسها ، وأخرج معها طلاب الدنيا أدمغتهم ولحاهم ، وقد تطاولوا على الإمام وانضموا إلى أعدائه وخصومه ، وكان بعضهم يرى التحكيم ضرورة من ضرورات الدين ، فهو أمر واجب ، ويراه البعض الآخر آفة ومصيبة ، فهو محرم وجريمة وعار ، وقوم يرونه شيئاً مباحا أو عملا جائزاً ، فهم فيه بين الحل والربط ، والإبرام والنقض ، وانشقت بذلك عصـــا المسلمين ، وعن طريقه خرج عن على أهل طاعته .

وهكذا وقع الإمام الخليفة على بن أبى طالب فى ورطة شرسة جاءته عاصفة

راعدة ، من ناحية التحكيم التى نسج خيوطها ، وغزل سدتها ولحمتها ماكرداهية أراد الدنيا من فوق ظهر الدين ، والله المستعان !!

ويقال أيضا إن عليـــا أوشك أن يتخبط أكثر وأكثر فى الخيوط العنكبوتية التى برمها له — فى غبش المكر وضباب الغدر — عمرو ومعاوية ، حين عرض عليه معاوية — بعد أن خرج عليه قومه وفارقوه إلى النهروان — أن يحاربهم عنه ، ويقاتلهم له ، وكتب إليه فى ذلك يقول : إنه بلغنى أن طائفة من أصحابك خالفوك وخرجوا من عسكرك ، وقد تعلم أن الأمر بيننا لا يتم إذا كان له منازع ، فان كان منهم أحد على غير رأيك ، وأحببت أن أكفيكهم ، وأقضى عليهم فعلت... إلا أن أهل الرأى فى مشورتهم له كفوه عن ذلك ، وقالوا له فيما قالوا : إن صار معاوية يدخل عليك فى بلادك ، ويقتل أصحابك ، وعرف مداخل الأمر ، وخبر مصادره وموارده ، قوى عليك ، ورفع يده فوق رأسك ، وأدانك ، وربما يتقرب إلى القوم دونك ، وماذا تنتظر من عدوك ؟ أو ترجى عنده ؟ ولكن عاجل القوم أنت وبادرهم قبل اجتماعهم أو تفرقهم فى القرى والأمصار ...

له الله :

قال ابن عند البر النمرى القرطبى فى كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » — حين تعرض لأمر التحكيم — :

إن على بن أبى طالب — بعد طوفان الحوادث التى مرت به — بقى فى صراع أعنف وأشد عليه من ذى قبل ، خذله قومه ، وقاتلوه ، وقتلهم ، ومعاوية وقومه يحتلون مما لكه شبرا شبرا ، وفترا فترا ، حتى أغمه الأمر ، وغام به الطريق ، فكان إذا صلى الغداة يقنت فى صلاته ويقول : اللهم ألعن معاوية وعمراً وأبا الأعور وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد ، وبلغ ذلك معاوية

فكان يقول هو الآخر : — إذا أقنت — اللهم العن عليا وابن عباس والحسن والحسين والأشتر ، وهكذا — ومن ذلك التاريخ — استمر بنو أمية حاكما بعد حاكم يلعنون عليا على المنابر ، وفى خاتمة خطبة كل جمعة ، حتى استخلف الإمام العادل عمر بن عبد العزيز فأبدل اللعن والسب بقول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ...

أبو موسى وعمرو والإمامان :

ثم إن الحكمين — كما يذكر ذلك صاحب « السيرة العلمية » الشيخ أبو الحسن البيساني ، وهو من علماء القرن الرابع الهجرى — التقيا بدومة الجندل، وخلع أبو موسى الأشعرى صاحبه على بن أبى طالب من الخلافة ، وثبت عمرو بن العاص صاحبه معاوية بن أبى سفيان ، ولما علم على بذلك ندم أشد الندم على ما فعل، وكتب إلى أهل النهروان كتابا يستحثهم فيه الاستعداد لحرب معاوية ويطلب منهم الرجوع إليه ، وفيه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى زيد بن حصن الطائى وعبد الله بن وهب الراسبى ، ومن معهما من المسلمين : سلام عليكم ، فانى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو .. أما بعد ، فإن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما ، وحكما بغيرما أنزل الله ، فبرىء الله منهما ورسوله ، وأنا منهما برىء ، فهلموا نعطيكم الرضى ، ونرجع إلى الأمر الأول الذى طلبتموه منى ونقاتل عدونا وعدوكم ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، والموعد بيننا وبينكم نجران ، والسلام ..

فكتبوا إليه رداً على جوابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبى ،

وزيد بن حصن الطائى ومن معهما من المسلمين ، إلى على بن أبى طالب سلام على من اتبع الهدى ، وتجنب متالف الردى ، أما بعد ، فإنا نحمد الله الذى لا إله إلا هو ، وبلغنا كتابك تذكر فيه أن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما ، وحكما بغير ما أنزل الله ، وقد علمنا .... فالحمد لله أن أمرهما كان مخالفاً للحق من أوله ، وأنت بتحكيمك إياهما قد أخطأت كثيراً ، وعليك أن تدخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبى ، فقد بايعناه بعد أن خلعناك ولا يسعنا إلا ذلك ، والسلام .

من هنا بدأ الخوارج :

ومن هنا ، وإنطلاقا من هذه المسيرة الصعبة الشاقة بدأ الخوارج مشوارهم مع الحياة على صعيد الدعوة إلى الله .

والخوارج — كما ناقش ذلك صاحب السيرة شبيب بن عطية وغيره من المؤرخين — يسمون « المحكمة » و « الحرورية » و « الشراه » و « السراة » ..

أما لماذا غلبت عليهم التسمية باسم الخوارج ؟ فقد عالل العلماء ذلك بأكثر من علة وسبب ..

قيل : سموا بذلك لخروجهم عن الإمام على بن أبى طالب ، وقيل : لخروجهم عليه . وقيل : لخروجهم عن ضلالة التحكيم ، وقيل : لخروجهم مجاهدين فى سبيل الله ، ... والخوارج هم أول الفرق الإسلامية ، خرجوا على على بن أبى طالب وصحبه ، رافضين التحكيم ، وتحصنوا فى بعض المناطق بالعراق والجزيرة العربية ، وقاوموا الدولة الأموية ، وصدراً من الدولة العباسية مقاومة عنيفة ، وقد انقسموا إلى عدة فرق ، واشتهروا بالتشدد فى العبادة ، ويرون ان الخلافة

لا بد أن تتم عن اختيار حر ، ولا تنعقد إلا بذلك ، وليس من حق الخليفة الذى اختير بإرادة الأمة أن يتنازل ، أو يحكم ، ويرون كذلك ، أن العمل جزء من الإيمان ، وأن تارك الفرض يحارب شرعاً على ذلك الترك ...

قال البغوى ، واليعقوبى ، والطبرى — فى موضوع الخروج للجهاد — : إن المصريين هم أول من فتح باب الخروج بقيادة كل من جبلة بن عمر ، والساعدى الأنصارى ، وهما ممن شهدا أحداً ، وبايعا تحت الشجرة .

ثم البصريون ورئيسهم فى هذا حرقوص بن زهير السعدى الصحابى ، ثم الكوفيون — كذلك — برئاسة زيد بن صوحان ، وهو صحابى جليل .

وتبعهم على ذات الطريق طلحة ، والزبير ، وأهل النهروان ، ورئيسهم فى هذا المضمار الشاق عبد الله بن وهب الراسبى ، وهو الصحابى الفاضل المجاهد الذى ذكره ابن حجر ، وعشرات وعشرات من المؤرخين والمحققين والعلماء والاعلام من أصحاب الحديث والفقه والشريعة ...

ومن الخوارج أيضاً — فى نفس المضمار — أهل المدينة والحسين بن على ، وكلهم من شيوخ الصحابة الفضلاء .

ثم سعيد بن جبير ، والشعبى ، وفقهاء العراق إذ خرجوا على الحجاج ، وجميعهم من أخيار التابعين وصلحائهم .

أما سر تسمية الخوارج « بالمحكمة » ، فلأنهم كانوا يقولون دائماً : لاحكم إلا لله .. وأول من قالها : « عروة بن أدية » ، أخو أبى بلال ، وأبو بلال هذا من أهل النهروان ولهما أخبار ذكرها ابن الأثير وغيره من المحققين الثقات ... وأما « الحرورية » ، فهى من أسماء الخوارج ، وسموا بها نسبة إلى حروراء ، وهو الموضع الذى نزلوا فيه بعد انفصالهم عن جيش على .. ويقول ابن جرير الطبرى :

إنه لما رجع علي بن أبي طالب من معركة صفين ، لقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري فدنا منه ، وسلم عليه ، وسايره .. ثم قال له : أما سمعت ما يقول الناس في أمرنا يا ابن وديعة ؟ قال : نعم سمعتهم .. منهم المعجب بالأمر ، ومنهم الكاره له .. قال علي : فما قول ذوي الرأي ؟ قال ابن وديعة : يقولون : إن عليا كان له جمع عظيم ففرقه ! ، وكان له حصن حصين فهدمه ! فمتى يجمع على ما فرق ؟ ومتى يبني ماهدم ؟ ويقولون أيضاً : ولو كان مضى على بن أطاعه — إذ عصاه من عصاه — فقاتل حتى يظفر أو يقبر .. لكان ذلك أحكم وأحزم ...

قال ابن الاثير : ولما رجع علي من صفين فارقه الخوارج ، وأتوا حروراء فنزل بها منهم أربعة عشر ألفا ، قال العلامة الشماخي : وقيل أربعة وعشرون ألفاً ، وقيل : سبعة وعشرون ألفا وأكثر من ذلك ، وهم خيار أهل الأرض يومئذ وأقرأهم للقرآن ، وأهل التقوى والصلاح فيهم ، وهم من يخافون الله الخوف كله ، ويحرصون على إنفاذ طاعته ، وإنجاز شريعته ، وتحقيق الإيمان في قلب كل مؤمن ، لتكون كلمة الله هي العليـــا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ..

وهم القدوة والاسوة في الزهد والورع ، فيمن بقي من كبـــار الصحابة والتابعين .

لله الأمر :

أما مقتـــلة النهروان : فيقول كتاب التـــاريخ — ومنهم المنصفون العـــدول ، ومنهم المجنحون الغـــالون — إن المعـــركة دارت بين علي بن أبي طالب من جهة ، وبين أهل النهروان من الجهة الأخرى ، — ويا لسبحان الله يدور القتال وتراق الدماء بين المسلمين من الجهتين معا — ولعل التاريخ يعيد نفسه اليوم في حرب العراق وإيران !! أقول — على

ويستمر الحديث على السنة المؤرخين : وقتل يوم النهروان فى معركة بين مسلم ومسلم خمسة آلاف مقاتل من خوارج النهروان المسلمين.. إى والله خمسة آلاف مسلم من أفاضل الصحابة ، وشيوخهم — بينهم — كما يروى الرواة — سبعون من أهل بدر ، وأربعمائة من السوارى ، الذين كانوا يلازمون دائما مسجد الرسول ﷺ ويجلسون تحت ساريانه للعبادة ، والصلاة ، وكأن جباههم وركبهم من شدة اجتهادهم وكثرة سجودهم ثفن الإبل ، فهم خيار الناس وفقاؤهم ، وأهل الشرف فى الدين والرأى والأولية فى الإسلام من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم باحسان ، وقتل فيهم الصحابى الفاضل الجليل ، حرقوص بن زهير ، — الذى أسلفت الحديث عنه قريبا — وهو الذى دفن ، دانيال ، الحكيم ، وكان دانيال هذا قد سأل ربه أن يدفنه رجل من أهل الجنة ، ولم يزل دانيـــال فى تابوته فى أيدى أهل الضلال والاهواء من أهل الكتاب يستسقون به إذا أمسك عنهم المطر ، أوشحت عليهم السماء ، حتى فتح أبو موسى الأشعرى مدينة السوس فوجده فى تابوت هناك ، وكتب فى ذلك إلى عمر بن الخطاب رحمهم الله ورضى عنهم ، فكتب إليه عمر : إن يدفنه سراً ولا يشعر به أحد .

ويقال : إن أبا موسى سأل عن حرقوص بعد ذلك فقيل : أصيب فى أهل النهروان .. فقال — فى أسى — : والذى نفسى بيده لو اجتمع على الرمح الذى طعن به حرقوص كل من بين المشرق والمغرب لدخلوا النار كلهم ...

مظلوم وايم الله :

وعن الحصين بن نوفل عن ابن عباس قال : أصاب أهل النهر السبيل ، أصاب أبو بلال السبل ، وعنه — أيضا — قال : حدثنى مسعود بن عبد الله بن شداد ، أنه قدم المدينة فأرسلت إليه عائشة ، وقالت له : يا عبد الله .. لم قتل على أصحابه ؟ فحدثها بالقصة كلها . . فقالت : مظلوم من جميعا والله اهل تسمى أحداً ممن قتل؟ قال :

نعم ، حرقوص بن زهير السعدى ، فاسترجعت ، وقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كان فى منزلى .. فقال : « يا عائشة .. أنظرى أول رجل يدخل من هذا الباب هو من أهل الجنة » فدخل حرقوص — ولحيته تقطر ماء — .. وقال ذلك فى اليوم الثانى .. وفى اليوم الثالث — كذلك — على التوالى ، فكان الداخل هو حرقوص فى هذه المرات الثلاث ...

قالت عائشة : ثم من أيضا ؟ قلت : زيد بن حصن الطائى ... فبكت ... وقالت : لو اجتمعت الأمة كلها على الرمح الذى طعن به زيد لكان حقا على الله أن يكبهم جميعا فى النار !! ولما التحم القتال فى النهروان من الغداة إلى الأصيل ، وعلى بن أبى طالب واقف ومعه أبو العقيصة إذ سمعه يقول: والله أن كنتم لأصحاب الدار يوم الدار ، وأصحاب الجمل يوم الجمل ، وأصحاب صفين يوم صفين ، وأصحاب القرآن إذا تلى القرآن !!

فقال له أبو العقيصة — وكأنه يستيقظه من إغراقات تأمل آسية آسفة نادمة حزينة ، أو يلومه ويعتب عليه — : ففيم نحن اذن ؟ ثم ضرب فرسه ، ولحق بهم وقتل فى المعركة .

وعن ابن عباس قال: حدثنى قنبر — مولى على — قال: قال على بن أبى طالب: ويحك .. صرعناها هنا خيار هذه الأمة وقراءها ! فقلت: أى والله فابك كثيراً وكثيرا ، وبكى على ابن أبى طالب ماشاء الله له أن يبكى !! . ثم قال — واللغة تتمزق على لسانه ، والكلمات تتبعثر فى فمه هنا وهناك —:

لقد جدعت ، أنفى ، وأشقيت نفسى .. ثم أظهر الندامة على قتاله لهم ... وقال له رجل من الحضور الشهود — يجامل عليا — : هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا . . . فنهره على . . وقال له : ويحك . . أولئك أهل التوراة والإنجيل ورهبان القرآن وفرسانه .

وقال له آخر : والله ما بين الطريقين طريق ، فان كان أمر الحكمين هدى فقد ضلت بنقضك عهدك ، وبراءتك منهما ، وإن كان ضلالة .. فلقد ضللت اذن بقتلك أهل النهر إذ نهوك عن الضلالة .. فقال على رضى الله عنه : تلك مشيئة الله، وماشاء الله فعل ، وأرجو من الله التوبة والمغفرة على ماقدمت وما فعلت!!

وفى السير — من كتاب النهروان — عن جابر بن زيد: ، أن على بن أبى طالب أظهر الندامة للناس ،.. وقيل له — فى معرض المعاتبة — :قتلت قوما ، وأظهرت الندامة عليهم ، وطفقت تمدحهم ، وتزين أمرهم ؟ فو الله لتخلعن أو لتقتلن ... فلما أصبح قال : ابتغوا فى القتلى رجلا — وسماه — ، فوجدوا نافعا — مولى ترملة صاحب رسول الله ﷺ — قطع السيف يده ، ومزق جسده ، فقال : هذا هو ؟ فقال ابنه الحسن نعم ... هذا نافع مولى ترملة .

عفوا وغفرا :

إن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه برىء الساحة ، براح المساحة فى معاملة المسلمين عموما .

وفى هؤلاء الذين خرجوا عليه على وجه الخصوص ، سيما وان الواجب الشرعى كان يحتم عليه أخذ القوم بالشدة وعدم ملاينتهم حفاظا على وحدة الأمة ، وصونا لها من التمزق والتفكك .

وان التاريخ ليحدثنا فى ثقة وأمانة ان عليا طاول الخوارج مرات عديدة، وكانوا هم مع ذلك أميل إلى العودة اليه والالتزام بنصحه ، والانخمار فى مسيرة الجماعة، والخضوع لرأى أمير المؤمنين ، وطاعة ولى الأمر ، لولا ما كان وراءهم ممن يؤرثون الأحقاد ، ويبغون الفساد ، ويثيرون الفتنة ، حتى يستطيعوا أن يتسللوا عبر غبارها ، ومن خلال دخانها إلى مآربهم الشخصية ، وأهوائهم المادية الدنيوية

ابتغاء إمارة ، أو اقتطاع ولاية ، أو تحقيق غنم ذاتى ولو على حساب المصلحة العامة ، أو فوق تلال وفى أعماق بحور من جماجم المسلمين ودمائهم .

ولن يبرأ معاوية بن أبى سفيان أو عمرو بن العاص ، ومن التف حولهما ، أو تآمر معهما من هذه الجريمة البشعة التى قضت على الوحدة الإسلامية أولا ، وقضت على آل محمد وأحفاده وذريته ثانيا ومزقت وحدة المسلمين ثالثا وأخيرا ..

إن التاريخ لن يغفر لمعاوية أو ابن العاص ما ارتكباه فى حق على بن أبى طالب ، من تأليب الناس عليه ، وخروج بعضهم عن طاعته ، وهذا الطوفان الرجيم من الشغب والتمرد الذى لوى ذراع الأمة ، وكاد يدق عنقها أو يخلع فقراتها أو يقضى عليها ، من أجل الحكم ، وفى سبيل الولاية وطمعا فى احتواش المغانم واقتطاب الدنيا ، وتحقيق الوجاهة والجاه .

أما على بن أبى طالب الإمام الشرعى ، وأمير المؤمنين المنتخب ، فكان زاهدا فى كل ذلك ، ورعا تقيا ، وكثيرا ما رفض الدنيا وطلقها حين كانت تتعرض له بالاغراء ، أو تحاول صرفه عن الحق ، أو تحيد به عن الطريق ، وكثيراً ما كان يقول : يادنيا غرى غيرى !! .

إن على بن أبى طالب الإمام المظلوم كان أول من أسلم على يدى النبى ﷺ ، وكان ابن عمه ، وصهره ، بزوج ابنته فاطمة ، وأبا الحسن والحسين ، وأصل النسب المحمدى الطاهر والنبض الإسلامى المرهف الذى ربط بين الاشراف وصاحب الرسالة ، وسيظل نسله من بعده كذلك إلى أن تقوم الساعة .

إن على بن أبى طالب كان يعيش مع الناس بجسده ، ويتعامل مع الدنيا بجوارحه ، فقط ، أما روحه ، أما وجدانه ، أما ضميره ، أما حياته كلها فكانت متعلقة بالسماء .. كان دائما مع الملأ الأعلى ، والمسيرة السماوية ، مع الحياة الروحية

فى أعلا السماطها ، وأرقى أطوارها ، وأعمق أدوارها . . . كان دائمـا يقول لأصحابه : أيها الناس ، سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله لأنا أعلم بطرق السماء منى بطرق الأرض ، وأطيعونى قبل أن تشخر برجلها فتنة تطأ فى خطامها ، وتذهب بأحلام قومها ، ، ثم تكون النهاية الفاجعة ، والله المستعان .

إن على بن أبى طالب لم يكن فى يوم ما من طلاب الجاه أو الامارة ، أو المنصب أو المغنم ، أو غير ذلك من هذه المآرب الشخصية التى كان يسيل لها لعاب معاوية وعمرا ، ومن هنا فان معاركه كانت خالصة لوجه الله لاقامة حدود الشريعة ، وكم تمنى ألا تكون هذه المعارك ، وكم تضحت عيونه من عبرات ، وسالت من دموع على شهداء هذه الحروب ، وكم بكاهم ورثاهم وترحم عليهم !! .

ولقد سئل مرة عن أهـل النهروان : أمشركون هم ؟ فهب فزعا ، وقال — والاسى يتخلل مقولته — : لا .. والله ، هم أبعد الناس عن الشرك ، ومن الشرك فروا ... قيل له : أمنا فقون هم ؟ قال كرم الله وجهه ورضى عنه — : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا ، وهؤلاء قولهم الناطق ، وهمهمات قلوبهم ، واغتهم التى لا تنقطع هى ذكر الله .. ولكن إخواننا بغوا علينا !! .

وقال لأصحابه — والآهات تكاد تمزقه ، والمرارة تستبد به ، والحزن يسيطر عليه — : لا تقاتلوا الخوارج وكفوا عن مناوأتهم وحربهم ، فهم طلاب حق ، وليس سواء من قصد الحق فأخطأه ، ومن قصد الباطل فأصابه . . ويسأل الحسن أباه عليا — رضى الله عنهما — وقد عاد من الكوفة : أقتلت القوم يا أبت ؟ ويجيبه أبوه على بن أبى طالب — فى صوت متهدج حزين — : نعم قاتلتهم وليتنى لم أفعل ذلك ... فقد كانوا أسود النهار ورهبان الليل رحمهم الله جميعاً ويغفر الله لى . . ويبكى ابن أبى طالب ، وما أصعب بكاء الرجال وما أمره !! .

وهكذا وقع الإمام على بن أبى طالب بين شقى المقص ، وعلى مفترق الطرق

بفعل طلاب الدنيا ، ومصدقى نبوءات اليهود ... أما أنت أيها الإمام المظلوم .. أما أنت يا ابن أبى طالب .. فعفوا وعفوا .. وعذرا وغفرا .. وكان الله معك

وعموما فان التاريخ يعطى للإمام على بن أبى طالب العذر فيما أقدم عليه من حرب الخوارج . خصوصا إذا كان هؤلاء الخوارج على الأمن هم جنود الأمن أنفسهم ، وهم المنوط بهم حراسة الأمة ، والقيام على شئونها الداخلية والخارجية . أو ليسوا هم أصحاب على بن أبى طالب الإمام الشرعى المنتخب ، وأمير المؤمنين باجماع أهل الحل والعقد ، والابرام والنقض ؟

لو بغـير المـاء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى !

ولما فقد على بن أبى طالب تلك الأصوات القارئة بالليل المرتلة آيات الله الذاكرة له على الدوام ، وكأنها دوى النحل ، قال — مدهوشا مذهولا — : أين أصـوات النهار ، ورهبان الليل ؟ فأجابه أصحابه : قتلناهم يوم النهر . فبكى الإمام عليهم — وكانه يريثهم أو يؤنبهم — وما أصعب بكاء الرجال وما أمره !

وجاء فى كتاب « بيان الشرع » : — وهو من الكتب العمانية القديمة المعتمدة — قيل : لما قتل على بن أبى طالب أهل النهروان ، أمر أن تجمع كل متعلقاتهم ، فاذا هى خمسة آلاف مصحف من كتاب الله تعالى .. فبكى على حتى كادت نفسه أن تخرج ! ويقال : إنه دخل على ابنته أم كلثوم فهنأته بالظفر والغلبة على القوم .. فقال لها — متململا — : أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله !!

وهكذا كانت البداية مع هؤلاء الخوارج .

أهل الاستقامة والسنة :

روى الحـالم والمسعودى — فى معرض الحديث عن « أهل الاستقامة » و « أهل السنة » و « الخوارج » — : إن اسم « الخوارج » كان فى أول الأمر من دواعى المدح ومقتضياته .. ذلك لأن المراد بهم — كما سبق الحديث وتكرر

عنهم — الطائفة التى خرجت — وتخرج — فى سبيل الله للجهاد والغزو ، وكما نوه القرآن الكريم بهذا فى قول الله تعالى : « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة » ... ثم صار هذا الاسم فيما بعد سمة من سمات الذم على ألسنة المتأولين والغالين والرافضين ، وأصبح سبة يعير بها من انتسب إلى هؤلاء القوم ، ثم ازداد الأمر واشتد سبة وتعييرا وقبحا حين فعـــل الازارقة والصفرية والنجدية أفعالهم المتشددة المستبيحة تحت عباءة الخـــوارج ، وباسم الدين ، حتى أصبح اسم الخوارج من هذه الزاوية اسما قاتما معتما ، وأصبح من الأسماء التى اختفى سببها ، وقبحت لغيرها ، ومن ثم ، ولهـــذا السبب نفرت الاباضية — وهى الفرقة المؤمنة حقا ، والمستقيمة صدقا — من اطلاق هذه التسمية عليها ، وأصبحت من ذلك الحين ، ولذات السبب ، تتسمى باسم « أهل الاستقامة » لاستقامة أتباعها على جادة الطريق ، وانطباعهم بطابع الدين الصحيح الصريح ، وعكس هذا كانت تسمية « أهل السنة » إذ كانت من الأسماء التى قبحت آنذاك حيث كان المراد بها ، والمقصود منها .. السنة التى استنها معاوية وأصحابه فى سب على بن أبى طالب ، وشتمه وآله على المنابر ، وصارت « السنة » التى ينشأ فيها الصغير ، ويموت عليها الكبير عبر المجتمع الإسلامى كله ، حتى جاء الخليفة الأموى العادل عمر بن عبد العزيز ، فغيرها ، وأبدل ذلك السب والشتم فى نهاية خطبة الجمعة إلى قول الله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »

وغام الأمر — آنذاك — أمام الطريق التى يجب أن تخطو فوقه أقدام المسلمين وخطواتهم .. وتساءل الناس — فى لهفة — : من هم الخوارج ، ومن هم أهل السنة ، ومن هم أهل الاستقامة ؟ حتى أسعفهم الخليفة الأموى العادل عمر بن عبد العزيز ، ووضع أقدامهم على أول الطريق وانجد تساؤلاتهم .. ومن هنا عرف

الناس حقيقة الأمر ، وان أهل السنة ، هم أهل الاستقامة ، هم الخوارج في أصفى صورة، وأبهى شكل ، وأوسع معنى ، وأعمق ادراك وشمول واحاطة ، وهم في الحقيقة والواقع أهل النهروان . الذين هم نقطة الارتكاز ، ومحور الدائرة ، وقطب الرحى ، والمنطلق الذى انبعثت منه الحركة الاباضية فى العالم كله، وعلى المستوى الشمولى المستوعب لشتى حركات الحياة .

النواة الأولى للمذهب :

فى الحقيقة إن الخوارج هم نواة الاباضيـــة ، وهم نقطة البدء فى مسيرتها ومشوارها ، والخوارج لم يأتوا من خارج النطاق الإسلامى ، ولم يأتوا أو يبشروا بدين جديد ، وإنما هم قد واطنوا الإسلام فى كل مواطنه ، وداخل حدوده وأسواره ، وعايشوه أوعاشروه فى وطنه ، وفوق أرضه وبين ربوعه، ومع أبعاده ومسافاته، وآماده وساحاته، وهم لذلك ـــ أو بالتالى ـ من اتباع الإسلام الخلصاء الأوفياء الأمناء ، الذين حرصوا كل الحرص على التمسك به ، والتمذهب بطريقته سلوكا وعملا ، ورجاء وأملا ، وهم يريدونه ـــ كما بدأ الرسول به صلوات الله وسلامه عليه ، وتلقاه من ربه على يد جبريل أمين الوحى ـــ ديناً سلوكياً عقائدياً ، يتعانق مع كل سلوك ، ويتلاحم فى كل فكر ، ويتراءى مذهباً ومبدأ وحتمية وضرورة عند كل فعل ، أو عمل من خلال ما يفعله أو يقوم بأدائه ويعمله كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ..

فالقوم ـــ إذن ـــ مسلمون ، عايشوا الاسلام فى كل مواطنه ، وفى جميع حالاته ومواقعه ، إلا أنهم أخذوه مأخذ التشديد، ولم يفرطوا فيه أبداً ، أو يتهاونوا فى أدائه ، وممارسته ، والتعـــامل مع كلياته وجزئياته وعمومياته ومفرداته .. وفى مقابل ذلك ـــ وتأدية للأمر على أكمل وجوهه ـــ فقد وضعوا أرواحهم

على أسنة رماحهم ، وربطوا حياتهم فى شبا أسيافهم ، حشداً وتعبئة ، واستعداداً وتهيئة ...

كما فعل خوارج النهروان حين باعوا أنفسهم وأموالهم لله غزوا فى سبيله وجهاداً من أجل دينه .

وليس شرطاً أن ترتبط مسيرة الخوارج بأهل النهروان ..

وليس شرطاً أن يكونوا ممن خرجوا على على بن طالب ، أو غيره ...

وليس شرطاً أن يكونوا ممن خرجوا على بدعة التحكيم ، أو خرجوا على التقاليد والعادات والأعراف التى تواطأ عليها بعض القوم ، واصطدمت بالدين فى بعض تطبيقاته أو جزئياته ..

لماذا لا يكونون الخوارج الذين خرجوا جهاداً فى سبيل الله ؟

أو الخوارج الذين خرجوا عن أموالهم وديارهم وأهليهم وكل متعلقاتهم فى الدنيا تلبية لنداء الدين ؟

أو الخوارج الذين خرجوا على المصطلحات والأعراف التى تجدها المجتمعات وتحتفى بها الأمم والشعوب ولو كان فيها مساس بأمور الدين ؟

كل هذه المعانى وأكثر منهـــا يتقبلها منطوق الخوارج ، وتتسع لها تلك التسمية ، ويسعفها اللفظ فى مدلولاته وإشاراته .. وكلها أيضاً واردة فيما تستمده هذه التسمية من مسميات .. وعلى هذا فليس للخروج وقت ينطلق منه ، ولا مكان يتلاقى مع خوارجه ، وإنما يصح ويجوز جـــداً أن تبدأ خرجة الخروج أو الخوارج فى أى زمان أو مكان على مدى الحياة كلها إلى أن تقوم الساعة متى اقتضى الأمر ذلك أو استدعاه الحال ، أو حتمه المقام .. أو نادت به الضرورة .. وأعنى بها الضرورة الدينية . .

الإسلام النقى :

وعموماً — وبعد استقصاء واستعصاء ، ودرس وبحث . وتحليل وتعليل — نبين أن الاباضية هى الطريقة المثلى فى الأداء الاسلامى ، وفى تعاطى الحياة ، وفى التعامل مع النـــاس .. وأئمتها ودعاتهم الذين واجهوا مواكب النفاق وناهضوا أعاصير الشرك ، وعواصف الالحاد ، وتحدوا — بكل صرامة وشدة وبأس — تلك الأفاعيل الهوجاء النكراء التى تتبدى فى سلوك المبطلين أو المستهترين من الحكام والباطشين، سواء على المستوى الدينى أو التعامل الدنيوى بين أفراد وجماعات الأمم والشعوب.. تمشيا مع منطق الدين ، واستجابة لدعاواته ونداءاته ومتطلباته ..

وما أحوج الدنيا اليوم إلى هذا اللون المتميز فى الفقه الاسلامى ..

ما أحوج الدنيا إلى دعاة الاباضية وأئمتها الذين من مهمتهم — ومن أولى وظائفهم — إصلاح المسار الدينى ، ومؤاخذة التسيب ، والقبض بشدة على خناق الاستهتار والانحراف واللاأخلاقيات ، وإعادة الانضباط فى شتى السلوكيات إلى هذه الحياة .

ومن الثابت علميا وتاريخيا أن المذهب الاباضى قد شق طريقه فى غمار الحياة ، ووسط أحداثها ، وترك بصماته على كل شىء فيها واضحة غراء ، تشير إلى إيجابياته ، وتتضح ملامحها فى مقتضياته ومنجزاته .. ومبدؤه — على أصح الوجوه — مرتبط تماما مع مبدأ الاسلام وطلوعه ..

فهو حركة سلوكية دائبة دائمة قائمة فى الأشخاص الذين أسلموا وتحركوا بها ، أو داروا معها فى إطارها الاسلامى الصحيح ..

والمتتبع لهذا المذهب يراه وقد انتسب إلى العالم الفقيه ، والحجة الثبت الثقة

والمؤمن المجاهد ، والمسلم الغيور الامام عبد الله بن أباض بن تيم بن ثعلبة التميمى من بنى مرة بن عبيد وهط الأحنف بن قيس .

ومن المؤكد التاريخى ، ومن المعلوم بالضرورة ، أن الامام عبد الله بن أباض جاهر بدعوته فى عهد عبد الملك بن مروان المؤسس الثانى للدولة الاموية ..

ومن المؤكد التاريخى كذلك ومن المعلوم بالضرورة ، أن مد المذهب الاباضى لم يبدأ فى حركته من عبد الله بن أباض ، ولا انطلقت مسيرته أو شرارته من لدنه ، ولا تحركت أمواجه أو فاضت سيوله ومياهه ، إلا حين حركها أو أفاضها عبد الله بن أباض ، وإنما المذهب كان قائما فعلا ، وفى حركة وفى جولان وفى نشاط ، وفى إدراك تام وصحوة كاملة متيقظة ، وهو يؤدى دوره فى تحمل المسئولية ، والقيام بمهام تبعاته على أيدى أئمته الذين عايشوه وزامنوه وحملوا أموره وبذوره فى عقولهم وحقولهم من لدن حبر هذه الأمة ، وبحرها الزاخر عبد الله بن عباس ، أو فى الحقيقة والأصح من لدن صاحب الدعوة — أو على يديه — محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

معاً فى مضمار :

وأعنى بهذا ، أن الفكر الاباضى بدأ مع الدعوة الاسلامية ، ونشأ معها جنبا إلى جنب ، أو عاش فى ضميرها وسلوكها جنينا حيا متكاملا سويا ، مع فعل النبى وتقريراته وتأدياته الدينية والسلوكية ، ومع أفعال وتقريرات وتأديات الصحابة والتابعين فى شئونهم الدينية والسلوكية .

وكان ذلك شأن المسلمين جميعا آنذاك فى عهد الرسول ﷺ وفى عهود خلفائه من المحافظة على الدين ، وضبط السلوك الحياتى ، والبرنامج اليومى على إيقاع الشريعة ، وحداء العقيدة ، وتعاليم السماء .

وما كان العالم — آنذاك — فى حاجة إلى الافصاح عن حركة مذهبية تقوم على ترجمة المعانى الدينية ، والوصايا الالهية ، إلى تطبيق وفعل وعمل وإتيان ..

ذلك لأن الجميع كان سائراً فى الطابور ، وكان منتظما فى الصف ، ويمشون معا لذات الغرض والهدف ... فلم يكن ثمة نزاع أو شقاق ، ولم تقل الفتن بعد من جحورها وشقوقها ..

وكما يقولون : لا يكون الأطباء إلا حيث تتكاثر الأمراض والأدواء .

فلما استشرى المرض ، وكثرت العلل ، وبدأت الفتن تطل برؤسها ، وبدت المناوشات والمصارعات على الحكم ومقتضياته ، وظهر فى الميدان طلاب الجاه والمنصب والحكومة والخلافة ، ظهر فى مواجهة هؤلاء جميعاً — وبالتالى والضرورة أيضاً — هؤلاء الأئمة الهداة ، وكشفوا عن وجوههم وشخوصهم ، وحملوا أرواحهم على أكفهم ، تهيأ واستعدادا لساعات الروع والفزع ، وتسلموا القيادات والمواقع — بعضهم من بعض — كابرا عن كابر ، وعرف كل واحد دوره الذى يؤديه ، وواجبه الذى يقوم به ، وقد ربط كل واحد مصيره بدوره ، وحياته بواجبه ..

ومن هنا لاعجب إذا قلنا إن الاباضية بدأت مقنعة عجبة فى ضمير الإسلام ، ومع بدء دوره ، ثم ظهرت — فيما بعد — كاشفة سافرة حاسرة تؤدى دورها وتقوم بواجبها فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان .. وتقوم دائما ضد — أو عند — كل جور أو ظلم أو تعسف .. ويمكننا أخيرا — وعوداعلى بدء — أن نقول : إن كل سلوك نظيف شريف يؤديه أى مسلم فى أى زمان وفى أى مكان ، هو سلوك أباضى فى الشكل والمضمون ، والغاية والوسيلة ، والمقدمة والنتيجة ..

وليسمه العلماء والمصنفون ما يشاءون من التسميات، وليسلكه المؤرخون فى أى تشكيل يريدون ، وتحت أى بند يرون ، أو مع أى فكر يجدونه ملائما، أو ضمن أى اعتقاد مواكب مناسب ، وليطلقوا عليه جميعا — من عند ياتهم — ما يختارون من أدوات التمييز والتشخيص ، والأساليب الدالة المعبرة التى تبرمج الأمـــر ، وتضع النقاط فوق الحروف ، فهو أولا وأخيرا ، وقبلا وبعدا .. وهو فى البدء والنهاية ، وفى الحقيقة والواقع ونفس الأمر سلوك أباضى مائة فى المائة ...

شهادة وتقدير :

وحول المذهب الاباضى ومنهجه التاريخى والعقيدى والسلوكى ، ومدى ارتباطه العميق الوثيق بالخوارج فى أعلا انماطهم وعبر آدابهم يحدثنا العلامة أحمد أمين فى كتابه « ضحى الإسلام » — الجزء الثالث — فيقول :

لقد كان للخوارج لعناصر التى تكون الأدب وتجعله عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث ، وتضفى عليه حماسا شديداً تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة فى القول لا تخشى بأسا ولا ترهب أحداً، وديمقراطية صحيحة لا ترى الأمير إلا كأحدهم ولا العظيم إلا خادمهم ، ولقد رسم أدبهم الطريق الذى ينبغى أن يسلكوه رسما مستقيما واضحا لا عوج فيه ولا غموض... يجب أن يعدل الخليفة والأمراء وإلا يعزلوا ويقتلوا، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة، وإن حادوا يقاتلوا وليحل محلهم مسلمون مخلصون طاهرون ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ولا مجاملة ولا مواربة، ويجب أن يقابل الواقع كما هو ، ويشخص كما هو ، ويعالج كما هو على طريقة عمر بن الخطاب لا على طريقة عمرو بن العاص، وكان من وراء ذلك كله نفوس بدوية غالباً فيها كل الاستعداد للقول، وفصاحة اللسان، وفيها كل ما تعهده فى البدوى من قدرة على البيان وسرعة فى البديهة وأداء للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ ، من هذا كله

نرى الخارجى قد اجتمعت له العاطفة القوية والأداة الصالحة للتعبير عنها ، وهذا الذى ذكرنا قد جعل لأدبهم لوناً خاصا غير لون الأدب المعتزلى، وغير لون الأدب الشيعى . فأدب المعتزلة أدب فلسفى ، فيه عنصر المعانى أغلب وأقوى ، وأدب الشيعة أدب باك ، أو أدب حزين على فقدان الحق، أو أدب غضبان على أن الخلافة لم توضع موضعها ، أما أدب الخوارج فأدب القوة، أدب الاستماتة فى طلب الحق ونشره ، وأدب التضحية، فلا نستحق الحياة البقاء بجانب العقيدة ، وأدب التعبير البدوى الذى لا يتفلسف ولا يشتق المعانى ويولدها كما يفعل المعتزلة ، هو فى بعض الأحيان أدب غضبان ، ولكن ليس غضبه من جنس غضب الشيعة ، فالشيعة يغضبون لشخص أو أشخاص، ولكن الخوارج يغضبون للعقيدة والإسلام عامة بقطع النظر عن الأشخاص، وإن نظروا للأشخاص فى ضوء العقيدة، لا كما ينظر غيرهم من النظر إلى العقيدة فى ضوء الأشخاص ، وقد يرثون ويبكون ولكنهم حتى فى رثائهم وبكائهم أقوياء يذرفون الدمع ليسفكوا الدم ، ويبكون الميت ليشجعوا الحى، ويؤبنون المفقود ليرسموا المثل الأعلى للوجود ، لا يعرفون هزلا فى الحياة، وبالتالى فلا يعرفون هزلا فى الأدب، ولا يعرفون خمراً ولا مجوناً... فلا تجد فى أدبهم خمراً ولا مجوناً، إنما يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمتة القاسية التى تخرج رجالا أقوياء لا يحرصون على الحياة، فكذلك أدبهم، كالذى روى أن مروان — أخا يزيد لأمه — دخل وهو صغير على عبد الملك بن مروان يبكى لضرب المؤدب له فشق ذلك على عبد الملك، وكان عنده أحد الخوارج، فقال له الخارجى: دعه يبكى فانه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى الا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها ... لا يحبون الكذب ولا يحبون المعاصى فكانوا كما قال المبرد : والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة فكذلك كان أدبهم حتى حين قال قائل :

لقد زاد الحياة إلى بغضا ... وحبـــا للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى ... وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
فمن يك همه الدنيا فانى ... لها والله رب العرش قالى

ويقول قائلهم :

ومن يخش أطراف المنايا فإننا ... لبسنا لهن السابغات من الصبر
فان كريه الموت عذب مذاقه ... إذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الإنسان مثل منية ... أراحت من الدنيا ولم تحترز فى القبر

ويقول عيسى بن فاتك الخارجى :

فلما أصبحوا صلوا وقاموا ... إلى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم ... فظل ذوا الجعايل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم ... سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم : ... بأن القوم ولوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويهزمهم بآسك أربعونا ؟
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ... ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك ... على الفئة الكثيرة ينصرونا
أطعتم كل جبار عنيد ... وما من طاعة للظالمينا

ومن أجل هذا كان كلامهم كسهامهم، وخطبهم كقلوبهم ، يصفهم عبد الله بن زياد فيقول : إن كلام هؤلاء الخوارج أسرع إلى القلوب من النار إلى الهشيم ، ويروى المبرد : أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه ، فرأى منه ما شاء ، فهما وعلما ،

ثم بحثه فرأى منه ما شاء أربا ودهاءا ، فرغب فيه واستدعاه للخروج عن مذهبه فرآه مستبضراً محققا ، فزاده فى الاستدعاء ، فقال له : الخارجى : يا عبد الملك .. أتغنيك الأولى عن الثانية ؟ وقد قلت فسمعت ، فاسمع أقل ، قال له عبد الملك : قل ، فجعل الرجل يبسط من قول الخوارج ، ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بهية ، ومعان قريبة ... فقال عبد الملك لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد منهم ... لقد كانت ثقافة الخوارج بحكم غلبة البداوة عليهم ثقافة عربية خالصة لا أثر فيها للفلسفة اليونان كما هو الشأن فى ثقافة المعتزلة ، ولا أثر فيها لثقافة الفرس كما هو الشأن فى الشيعة ، إنما ثقافة الخوارج ثقافة أدبية لغوية على نمط العرب فى ثقافتهم ، وثقافة إسلامية على النمط المعهود فى عصرهم من تفهم للكتاب والسنة فى سهولة ويسر ، فان جادلوا فى الدين فاحتجاج بظواهر النصوص وتمسك بحرفيتها ، فكان على أدبهم هذا الطابع المتميز ، لقد كان مظهر أدبهم من جنس أدب العرب ، لا كتب تؤلف ، ولا بحوث تصنف ، ولا موضوع يحال ، ولكنه شعر كثير ، وخطب كثيرة ، وحكم مأثورة منثورة ، وقد أنتجوا فى هذا نتاجا ضاع كثيره وبقى قليله ، ولو لم يحفظ لنا المبرد فى كتابه الكامل طائفة صالحة منه لعمى علينا أمره ، وقد دلنا هذا القليل المروى على الكثير الضائع ، كما لم يبق فى أيدينا — على ما أعلم — من دواوينهم إلا ديوان الطرماح الشاعر .. ومن العجيب الغريب أن أكثر ما عيب به الخوارج ، وأخذوا منه ، إنما هو كثرة صلاتهم ، واستغراقات قيامهم ، وتبتلهم الماجد فى غفلات الناس ، وفى غفوات السحر ، ومع قرآن الفجر ، وممارسة صلوات الليل ، وتعاطى العبادات ، ومعاملة السلوكيات التى هى من صفات الأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين الذين قال الله فيهم وفى أمثالهم من نماذج الخير فى الانسان :

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » .

والذين امتدحهم وحبب فى الاقتداء بهم ، وانتهاج مسلكهم ، ودعا إلى طريقهم وطريقتهم ، وجعل منهم النموذج والمثال فى قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » ...

أما كيف بدأت الأباضية ودرها ؟

إن التشريع الإلهى يستهدف أول ما يستهدف — فى إلهياته ، وعباداته ، ومعاملاته — خدمة البشرية ، والنهوض بالانسان ، والترقى بهذا النوع وحده الذى قال الله فيه : « ولقد كرمنا بنى آدم » والذى ائتمنه على الدنيا ، واستخلفه دون خلقه فى الأرض .

إذ قال عز من قائل : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » فالانسان هو ملتقى السماء بالأرض ، وهو مقصد التنظيم الالهى الحـــق ، وهو البدء والنهاية ، والوسيلة والغاية فى خلق الدنيا ، وابتعاث الديانات .

وإن المتتبع للحركات التشريعية الجائية من السماء على ألسنة الأنبياء والرسل يجدها كلها لا تتعدى هـذا الغرض السامى النبيل ، وقد تحدث مع تأدية هذه الرسالات والنبوات معارك طاحنة بين الأنبياء والرسل من جانب ، وبين أقوامهم ومن يعز أو يصعب عليهم تلقيها أو قبولها من الجانب الآخر ، والنصر دائماً وفى النهاية لدعاة الله . وأصحاب الشرائع ، « إن العاقبة للمتقين » ...

وفى حياة الاسلام ، أو فى حركات المسلمين وتحركاتهم ، نجد أن هذا النوع من الصراع قد بدأ مبكراً منذ عهد عثمان بن عفان ، أو فى السنة السادسة من حكمه ، حيث أطلت العصبيات برأسها ، ومدت الفتن أعناقها ، وتطاولت العشائر بعضها على بعض ، امتداداً للمعارك الأولى التى خاضها النبى ﷺ مع أقوامه من قريش ، والذى انتهى به الأمر معهم إلى أن أخرجوه من مكة ، وشردوا أصحابه هنا وهناك .

وما زاد الطين بلة ، والواقع فتنة ، والنار اشتعالا ، أمر الخلافة آنذاك ، وما اعتورها وأحاط بها ، وطوقها ، من التسابق إليها ، والتصارع عليها ، ووأد القيم ، والاستهتار بالأخلاقيات والمبادىء فى سبيلها ومن أجلها ، خاصة وأن الاسلام كان آنذاك لا يزال وليداً وجديداً فى عمر الحياة وفى عقول الناس ، مما أتاح الفرصة لاعدائه ، والمتربصين به — من المنافقين والكفار — أن ينفثوا السموم فى طريقه ، وأن ينفخوا الكيد والغيظ — حقداً وحسداً ، وقيلا وقالا — بين صفوف المسلمين ، وضعاف النفوس ، وأصحاب الاغراض والأهواء ، .. وكأن الأمر من أوله كان تلاحماً ضارياً ، ومعارك رهيبة — فى صور شتى — على الدنيا وحيازتها ، وإصابة أكبر نصيب فيها من الغنم والكسب ، والجاه والمال ، والالقاب والمناصب !

إلا أن الله اللطيف الخبير بعباده وخلقه — وما يصلح حالهم وبالهم ، وما يحفظ لهم ، أو عليهم إيمانية الوعى والبصيرة ، وإسلامية الفعل والسلوك ، ومنهجية المذهب والعقيدة — حفظ على الدنيا هذا الدين ، وأبقى على الحق واليقين ، وأينع غصون الشريعة ، وأنضج ثمار العلم والمعرفة ، وأوصل ذلك كله إلى الناس عن طريق القنوات والجسور ، من لدنه إلى خلقه ، وعبر الخواطر والضمائر ، والاحاسيس والمشاعر ، وفى أعماق هذه الحياة ... وتحمل مسئولية القيام بهذه التبعة ، وتأدية ذلك الواجب ، وحمل هذه الأمانة ، وإنجاز تلك المهمة الصعبة — أو كان الأبطال فى هذه الملحمة الشاقة ، وتلك المعركة الشرسة — هم على الحقيقة هؤلاء الرواد الأشاوس الذين قطعوا ذلك الشوط الطويل ، واجتازوا تلك المسافة الواسعة البعيدة ، وارتادوا هذه المجاهل الكأداء العذراء ، وقادوا من خلالها تلك الزحوف الاسلامية الموحدة ، وهذه الجحافل المؤمنة المجاهدة . فوق خريطة العالم ، وجغرافية الاسلام ، وأعنى هؤلاء المؤمنين الذين خرجوا على الفتنة والباطل .

وفى العقد الفريد ، والجمهرة ، والكامل عن بعض ثقاة المؤرخين والاثبات أن بعضاً من الصحابة سألوا النبي ﷺ وقالوا له : يا رسول الله ، صف لنا الفرقة الناجية ، فقال ﷺ : « الناجى من اتبع كتاب الله وسنتى ، أما قرأتم قول الله فى كتابه الكريم : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ؟ ..

الفرقة الناجية :

فالاباضية أصبحوا فى الواقع — وفى نفس الامر — وعلى الحقيقة ، هم اللغة الصحيحة الفصيحة ، والصيغة المشرقة الوضاءة بين الله والناس ، والخـــدة الشطة السليمة التى تفرز للدنيا ماهيات الدين ، وتقدم على موائد الانسانية ما لذ وطاب من طعوم الحق ، وطيبات اليقين ، فهم الفرقة الناجية التى أخبر عنها النبي ﷺ فى كل أحاديثه ومروياته .. وكأن وجود هذا الصنف — أو النوع — من البشر ضرورة ملحة ، أو حتمية مقتضية ، استقطبت رحمـــة الله بعبـاده ، واستوجبت منهم مقابلة هذه الرحمة بألوان شتى من العبادات والقربات ، وأولها الشكر الخالص ، والعبودية الصادقة الصافية ، والاحتفاء بنعم الله ، والاحتفال بآلائه ، وترجمة ذلك كله إلى السلوك الذى يحبه الله ورسوله .. وكان من مظاهر رحمة الله الفياضة الحانية أنه لم يترك عباده هكذا — فى هذه الدنيا — ضياعاً أو زاعا أو هملا ، أو كميات هابطة ساقطة ، تحت ركامات الشك ، وانقاض الفتنة ، وخرائب التيه ، وأطلال الحيرة والقلق والتخبط والاضطراب .

ولما كان من حتمية الوجود الانسانى ، وضروريته — لتتأكد فاعليته ، وينمو وجوده ، وتستمر معه الحياة — أن يعبر الطريق ، ويجتاز الجسر من الحاضر إلى الماضى ، ويصاحب التاريخ ، ويرافقه فى كل خطواته ، ومع أبرز العناصر التى أثرت فيه بالإيجاب والسلب . والثبوت والنفى ، كان حتما مقضيا

أن يصطحب الإنسان مع التاريخ تلك القمة الهادية المهدية ، التى حملت أرواحها على راحاتها ، وحيـــاتها على أصلحتها ، وهبت وقت الفزع والروع ، مطالبة بإنسانية الإنسان ، وكينونته البشرية فى نطاق ما شرع الله ، وفى الإطار الذى خطته يد القدرة ، وحبك لسبيجه الشرع ، وتكفلت به عناية الإسلام ، وعمل على ترجمته وتطبيقه سلوك محمد عليه الصلاة والسلام ..

وهل هناك من هو أتقى وأنقى ، وأبر وأوفى فى تأدية هذا الدور العظيم ، والقيام بهذه الرسالة الكبيرة الخطيرة غير الأباضيين ؟

وهل هناك مذهب يتلاحم فى هذا الترقى الروحى ، أو يتلاءم مع ذلك السمو التشريعى الفقهى غير المذهب الأباضى والأباضية عموماً ؟

وهل هناك فوق ظهر الأرض ، وفى جيوب ، وبين طيات ، وطبقات الحياة من يمكنه أن يستوعب هذه التعاليم الإلهية ، أو يستطيع أن يستقطب تلك المواجيد الكونية السماوية ، غير إنسان أباضى — صادق الأباضية — مصدره من الله ، ومورده إلى الله ، وحياته بين المصدر والمورد ودائماً مع الله ؟ !

الأمانة العظمى والأباضية :

إن الأباضيـة — إنصافا للحق — حملت الأمانة العظمى ، والواجب الذى يقتضيه الاسلام بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وبعد خليفتيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، حين بدأ عمود الاسلام يتخلخل أو يتزلزل بعض الشىء ، بل حتى — فى الواقع — مع اطلالة هـــذا الدين ، وإشراقة تلك الدعوة ، ضرورة أنها دعوة الفطرة والخلقة والجبلة التى يستقيم عليها الأمر ، ويعتدل بها السلوك ، وهى بلاشك قد عملت فى أنفسهم العمل كله ، وامتزجت بهم وبكيانا تهم امتزاجها بصاحب الدعوة والدين معه ، إقتداءاً بسلوكه وتمشياً أو تأسيساً بمنهجية أصحابه ، ثم تشخصت أخيراً ، وتجسدت فى هؤلاء الذين جاهروا بها ،

واعتنقوها مذهبا ، وأعلنوها فى إطارها المختوم المرسوم فى عهد المؤسس الأول والمؤسس الثانى للدولة الأموية ، معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الملك بن مروان. ومن المعلوم بالضرورة أن الذى عجل بظهور الدعوة الاباضية على مسرح الواقع هو ما اعترى العالم الاسلامى حينئذ ، وما أحاط به وطوقه من الاضطرابات السياسية ، والفتن الداخليـــة ، والطوفان الرجيم الهائل ، والاعاصير المعربدة المسعورة من المذاهب الفلسفية الواردة ، والنظريات الفاسدة الملحدة ، والأفكار الغريبة الوافدة ، على محيط الدولة الاسلامية ، والتى جاء بهـا آنذاك الفرس والروم والهند واليونان ، والتى أدخلها وساعد على إنتشارها السوفطائيون وعلماء الكلام ..

ماذا كان قبل الأباضية ؟

هذا .. ولقد ظهر على مسرح الحياة عبر المد الدينى ، والحركة الاعتقادية أربع فرق أصلية ، وتفرع عن تلك الفرق فروع وجيوب ، بلغ عددها كلها إثنتين وسبعين ناحية أو فرقة أو منعطفا ، وكلها كادت تحطم كيان الدين ، أو تهز العقيدة ، لكثرتها وتعددها ، وثقلها ... أولى هذه الفرق ، أو الفرقة الأولى هى :

(أ) ... المعتزلة:

والمعتزلة أربع عشرة فرقة كما يلى :

١ — الواصلية ... أصحاب أبى حذيفة واصل بن عطاء الغزال

٢ — الهذيلية ... أصحاب أبى الهذيل العلاف شيخ المعتزلة

٣ — النظامية ... أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانى النظام

٤ — الخايطية ... أصحاب محمد بن أحمد بن خايط

٥ — البشيرية ... أصحاب بشر بن المعتمر

٦ — المعمرية ... أصحاب معمر بن عباد السلمى

٧ — المزدارية ... أصحاب عيسو بن صبح الملقب بالمزدار

٨ — الثمامية ... أصحاب ثمامة بن الأشرس النميرى

٩ — الجاحظية ... أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ.

١٠ — الخياطية ... أصحاب أبى الحسين بن عمر الخياط

١١ — الجبائية ... أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى

١٢ — الجهمية ... أصحاب جهم بن صفوان

١٣ — النجارية ... أصحاب الحسن بن محمد النجار

١٤ — الضرارية ... أصحاب ضرار بن عامر

(ب) ... الصفاتية :

والصفاتية خمس عشرة فرقة كما يلى :

١ — الكرامية ... أصحاب محمد بن الكرام

٢ — الهيصمية ... أصحاب محمد بن الهيصم

٣ — الأشعرية ... أصحاب أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى

٤ — المالكية ... أصحاب مالك بن أنس الأصبحى المدنى

٥ — الحنفية ... أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت

٦ — الحنبلية ... أصحاب أحمد بن حنبل

٧ — الشافعية ... أصحاب محمد بن ادريس الشافعى

٨ — الداودية ...

٩ — الكهشمية ...

١٠ — العابرية ...

١١ — الثورية ...

١٢ — الرزنية ...

١٣ — الاصحاقية ...

١٤ — الواحدية . .

١٥ — الظاهرية ...

(ج) ... الخوارج :

والخوارج ست عشرة فرقة كما يلى:

١ — الوهبية .. أصحاب عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى

٢ — الازرقية .. أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق

٣ — النجدية .. أصحاب نجدة بن عامر الحنفى

٤ — العطوية .. أصحاب عطية بن الاسود

٥ — الاعسمية .. أصحاب زياد الأعسم

٦ — الصالحية .. أصحاب صالح بن مسبروح

٧ — البيهسية .. أصحاب أبى بيهس الهيضم بن جبار

٨ — العجردية .. أصحاب عبد الكريم بن عجرد

٩ — الميمونية .. أصحاب ميمون السعدى

١٠ — الصفرية .. أصحاب زياد بن الأصفر

١١ — الحفصية .. أصحاب حفص بن أبى المقدام

١٢ — الثعلبية .. أصحاب ثعلبة بن كارم

١٣ — الاخنسية .. أصحاب الأخنس بن قيس

١٤ — الحازمية ... أصحاب حازم بن على

١٥ — الخلفية ... أصحاب خلف بن حيى الخارجى

١٦ — السعيدية ... أصحاب سعيد بن محمد الاباجى

(ى) ... الشيعة :

والشيعة سبع وعشرون فرقة كما يلى :

١ — الكيسانية ... أصحاب كيسان مولى على بن أبى طالب

٢ — المختارية . . أصحاب المختار بن أبى عبيد

٣ — الهاشمية ... أصحاب أبى هاشم بن محمد بن الحنفية

٤ — البنانية ... أصحاب بنان بن سمعان النهدى

٥ — الرزامية ... أصحاب رزام بن غيلان

٦ — الزيدية ... أصحاب زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب

٧ — الجارودية ... أصحاب أبى الجارود الهذيلى ،

٨ — السليمانية ... أصحاب سليمان بن جرير

٩ — الصالحية ... أصحاب الحسين بن صالح بن يحيى

١٠ — الامامية . . القائلون بامامة على بن أبى طالب بعد النبى نصا وتعيينا

١١ — الباقرية .. أصحاب محمد بن الباقر

١٢ — الناوسية ... أصحاب ناويس بن جعفر الكنانى

١٣ — الاسماعيلية ... القائلون بامامة اسماعيل بن جعفر بعد أبيه جعفر نصا وتعيينا

١٤ — الأبطحية ... القائلون بانتقال الامامة من الصادق إلى ابنه عبدالله الأبطح .

١٥ — الأسمطية ... أصحاب يحيى بن الأسمط

١٦ — الموسية ... القائلون بامامة موسى بن جعفر

١٧ ــ الغالية ... الذين غالوا فى أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة إلى حدود الالوهية

١٨ ــ السبئية ... أصحاب عبد الله بن سبأ بن عبد الله

١٩ ــ الكاملية ... أصحاب أبى كامل الذى كفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على

٢٠ ــ العلائية ... أصحاب على بن ذراع الأسدى

٢١ ــ المغيرية ... أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى

٢٢ ــ المنصورية ... أصحاب منصور العجلى

٢٣ ــ الخطابية ... أصحاب أبى الخطاب محمد بن زينب الأجدع

٢٤ ــ الكيالية ... أصحاب أحمد الكيال

٢٥ ــ الهشامية ... أصحاب هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة

٢٦ ــ النعمانية ... أصحاب محمد بن النعمان الملقب بشيطان الطاق

٢٧ ــ البصرية ، والاسحاقية ، والباطنيـــة ، والقرمطية ، والمدركية ، واليعملية .

وهذه كلها فروع لفرقة واحدة هى تكملة السبع والعشرين فرقة

هذا .. ويلاحظ أن بعض أفرع تلك الفرق ، أو بعض مذاهبها يلتقى تماما مع المذهب الأباضى فى الشكل والمضمون، ولا يبعد عنه كثيرا أو يختلف كبيرا أو يتعارض مع الحق أبدا على أى شكل... وذلك من مثل المذهب الحنفى، والمذهب المالكى. والمذهب الشافعى ، والمذهب الحنبلى .. فكلهم سار على الطريق الذى حدده النبى ﷺ منه نقطة الانطلاق، وتابعوا فى مسيرتهم تلك، شيوخ الصحابة وأجلاء التابعين رضى الله عنهم أجمعين، وكافأهم على إخلاصهم فى فقههم ومعتقدهم بخير ما يكافأ به أئمة المسلمين... ولنا عودة فى مؤلف آخر خاص بذكر الفرق الأربعة وشرح الفروع الاثنين

وسبعين فرعا التى تفرعت عنها ، ودور الفلاسفة والمتكلمين معها ، والقاء الاضواء على خلفيه تلك الفرق ، وتوضيح مذاهبها ، وتبيين اتجاهاتها وملاعبها ، وما تستهدفه وتنغياه فى مسيرتها ، من حيث المنهج والسلوك ، ومناقشتها فرقة فرقة ، واجراء حوار ونقاش معها يتبين فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

أحاض وأمراض :

ومن هنا — ومن ذلك المنطلق والمنطلق ، ونتيجة لكل هذا — كانت الاباضية أشبه بالهزات الايجابية الفعـــالة ، والزلزلات المؤثرة العاملة ، التى تسقط الأوراق الجافة والأغصان الذابلة ، والأجزاء الضامرة الهزيلة من جسم الأمم ، وهيولا الشعوب ، وكينونة الأفراد والمجتمعات والدول ، ونتيجة لذلك أثمرت تلك الهزات والزلزلات حصـــاداً متميزاً ، وحاصـــلا طيبا صحيحاً ، تمثل فى القضاء على الخرافات والأباطيل ، والشعوذات والجهالات التى تعترى السلوك العقيدى الذى يدين الله به عباده ، والذى يتقرب العباد من خلاله — وعبر أنابيبه وقنواته — إلى الله تعالى .. وفى الوقت نفسه ساهمت — أعنى الاباضية — فى خطة عملها ، وعلى خريطة برنامجها ، بالعمل الجاد على تحرير العقول وتخليصها من افتراءات المشعوذين والدجالين الذين يستترون تحت عباءة التقوى ، ويختبئون فى ظل ما يزرعونه أو يبعثرونه فى وجوههم من شعيرات أو غلابات اللحى والذقون التى يتخذون منها فخاخاً واشراكا لاصطياد السذج ، وإيقاع البسطاء فى حفائرها ومستنقعاتها ، .. فالاباضية هى الصحوة الكبرى ، والنفخة العظمى ، والبعث المتيقظ الواعى لهذه الأمة التى هد كيانها الخلاف السياسى ، وأثقل كاهلها الاستعمار الفكرى ، ووافدات الهند واليونان ، والفرس والرومان — كما أسلفت — من المقولات الوضعية ، والآراء الرخيصة ، والاجتهادات الفارغة التافهة التى تآمرت على إفشال الوعى الاسلامى ، وإفلاس الفكر العربى ،

وتصفية التقاليد والعادات والأعراف والموروثات التى يعتز بها المسلمون والعرب، والتى تهدد دائماً بامتلاك الأرض ، وانتهاك العرض ، والتى تمثلت أخيرا فى الماسونية ، والصهيونية ، والشيوعية، والوجودية ، والتى تمثلت قبلا، وتجسدت فعلا فى المانوية ، والمزدكية ، والديصانية ، والمزقوبية ، والمكتوبية ، والصابئة ، والدهرية ، والبراهمة، والسكابلية ، والبهادونية ، والباشمونية ، والناهودية ، وعبادة الكواكب ، واليعسوبية ، والبوذعانية ، والموسكانية ، والعنانية ، والنعنانية ، والنسورية ، واليعقوبية . والملسكانية ، والبلارسية ، والمغناوسية ، والبرطونية ، والكم الهائل من ذلك الطوفان الذى كاد أن يغرق أو يبتلع الأمة الإسلامية جمعاء . بآثاره المدمرة، وعدواه الغائلة القاتلة . . .

فالاباضية فى الحقيقة — ومع الحياد التام، ودون تحيز — هم الذين حموا العالم الإسلامى كله ،وأقاموا حوله ستارا وجدارا ، وأحاطوه بسياج قوى منيع ، ونطاق محكم رفيع، حفاظا عليه . وصونا له من هذه التيارات الجارفة ، وهذه الأمواج الباطشة الزاحفة . . .

والاباضية — برجالها الأبطال — كما حموا الفكر الإسلامى العربى من التآمر عليه ، والكيد له ، والعمل ضده ، حموا — كذلك — الوطن العربى المسلم ، ودفعوا عنه عدوه ، ودافعوه حتى حمل عصاه فوق كتفه ، ورحل إلى غير رجعة فهم الذين حاربوا معركة الجـزائر ، وتونس ، وليبيا ، ولبنان ، واليمن ، ومراكش والمغرب العربى كله ، وامتدت رماحهم وزحفت سيوفهم خارج نطاق العروبة ، وطالت بلادا إسلامية كاد أعداء الله أن يكيدوا لها ، أو ينالوا منها ، أو يطأوا أرضها ، أو يحتلو فيها الديار والاقطار ، وبالذات فى شرق افريقيا وزنجبار ... وهم فى طبعتهم الأخيرة ونسختهم الوحيدة التى لن تتكرر

وعلى وجه التعميم والتشميل ، — فى كلهم وأحـــادهم ، وجمعهم وجميعهم — تصحيح لمسيرة الإنسانية فى معتقدها الدينى ، وتصويب لكل مايعتور الحياة، أو يعترض طريقها — وبالأخص فى جانبها الروحى — من أخطاء وأغاليط .

قالوها ...لا:

وهم هذه الطائفة المؤمنة الواثقة فى الله التى استطاعت وحدها أن تقول — فى وقت يعز فيه القول — : « لا » للملوك والأمراء ، واستطاعت بالتالى — وبكل قوة وجسارة — أن تترجم هذه « اللا » إلى عمل وفعل ، فهى التى دفعت إمامها عبد الله بن أباض المؤمن القوى لأن يرسل كتابه ، — الذى شرق التاريخ وغرب ، وأوجز فى مأتيانه وأطنب — إلى عبد الملك بن مروان ، ويقول فيه ما تقشعر له الأبدان ، ويشيب من هوله الأطفال والولدان ! ... وهى التى حرضت — كذلك — خطيبها المفوه ، وفارسها المغوار ابن فهر الأزدى أبا حمزة المختار ، على ان يعتلى منبر المدينة ويخطب خطابه الذى كان ناراً وسعيراً ، وجهنم وزفيراً ، راح يحرق من يصادفه أو يلتقى به من أمراء بنى أمية الجائرين على مدى التاريخ الأموى فى كل زمان أو مكان !؟

والأباضيه — فى مجملها — رد فعل عنيف لما شاب العالم وقت ظهورها ، وساده وانتشر فيه ، من فساد وعبث ، وتسيب وانحراف ، ومادية ناهشة ، وطبقية طاحنة ، واختلال فى كل الموازين ، وعلى جميع المستويات ، وهى أشبه ماتكون بصمام الأمن أو « الفرامل » التى تحكم السيارة ، وتتحكم فى حركتها ، بالنسبة لأوضاع العالم ، والتيارات المختلفة فيه ، والرياح العاصفة التى كانت تتناوح بين جدرانه ، وتلطمه دائماً ، وتتصارع عليه لتعصف به وتبعثر ما فيه !

وإذن ، وبعد هذا الذى قدمت — وفى ضوء الرسالة الكبرى ، والأمانة العظمى التى ألزم بها الأباضيون أنفسهم — ينبغى أن نـــلوح فى الأفق هذه

الاستفهامات والأسئلة ، كى تنير الطريق أمام الباحث أو الدارس أو المهتم بأمر هذا المذهب...

كيف ، ومتى نشأت الاباضية ؟ وعلى يد من قامت هذه الطائفة ؟ وما أهم وأوضح تعاليمها وأصولها ؟ وما الضرورة التى اقتضتها وحتمت ظهورها ؟ وماهى الظروف والملابسات والعوامل التى ساعدت فى انتشارها على مستوى العالم بخطوات واسعة ؟ وما هو الدور العقيدى الصحيح الذى قامت به ، وتبنته ، ودعت إليه فى الكيفية التى عبدت بها الله ؟ والطريقة التى يجب أن تمارس بها العبادة ؟ وما هو السلوك المنهجى لتلك الطائفة ؟ !

أقدم من إسمه :

من الثابت تاريخياً أن المذهب الاباضى فى عمان أقدم من إسمه ، كما أن الاباضية فى عمان قديمة قدم الإسلام فيها ، كذلك تعتبر عمان الوطن الأم للاباضية فى العالم الاسلامى .

ومن المحقق كذلك أن الاباضية لم تنسب إلى أى شخصية فقهية تشريعية عقيدية قبل عبد الله بن أباض الذى عاصر معاوية بن أبى سفيان — ٤٠ — ٦١ هـ — مؤسس الدولة الأموية الأول ، وعبد الملك بن مروان — ٦٥ — ٨٦ هـ مؤسس الدولة الأموية الثانى ، ونحن نرى من خلال الدراسات المستوعبة ، أن الاباضية هى أول الفرق الاسلامية التى تعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة والاجتهاد ، وأن الايمان فى منظورها تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان.. ومن يستوعب التاريخ الاباضى ، ويتتبع دراسته ، يرى أن المسلمين فى عهد الرسول ﷺ آمنوا بما أنزل على الرسول ، ولم تكن لهم حاجة إلى تأويل القرآن ، أو بحث المتشابه فيه ، وبعد وفاة الرسول — وبعد انتشار الاسلام — أخذت الجماعة الاسلامية تحاول فهم العقيدة ، وتحاول شرحها ، وطبيعى جداً أن تختلف

المسلمون فى الشرح والفهم ، وحين ظهرت الفتنة الأولى فى الإسلام ، بعد السنين الست الأولى من خلافة عثمان . وأدت ماأدت إليه من اختلال وخبال فى الفكر الاسلامى عامة...

وبدأ أهل الدعوة يتلمسون الحلول من القرآن الكريم ، ومن الأحاديث النبوية ، والسنة الشريفة ، وبدأوا بالتالى يتساءلون — فيما بينهم — عن المسلم الحقيقى ، وعن الإيمان ، وعن جوهر العقيدة ، وعن مسئولية الإنسان ، وعن ارادة الله ، وصفاته وأسمائه ؟

وطبيعى جدا ان المسلمين الأوائل كان تفكيرهم اسلاميا عربيا خالصا ، ثم بعد ذلك اتصل الفكر العربى بتراث البلاد التى فتحها هؤلاء العرب ، وبدأ يظهر فى تفكير المسلمين استيعابهم للفلسفة والفكر ، والدراسات القديمة السابقة على الإسلام .

مع ملاحظة أن المذهب يعتمد كثيرا فى مقوله ومنقوله ، وبحوثه ودروسه على عبد الله بن عباس حبر الأمة ، وفقيه السنة ، لاسيما فى التفسير والأحاديث، فهو بحق كما يعتبره ، الاباضيون — وكما يعتبرون معاصريه معه كذلك من أصحاب رسول الله — الحلقة الأولى لسلسلة المذهب الاباضى .

ولا شك أن الاباضية قد أصبحوا مرآة النهضة العلمية الإسلامية على مدى التاريخ الاسلامى كله .

فالاباضية هم رمز الحضارة الإسلامية الأصيلة التى استمدت أصـــولها من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والحديث الشريف .

على مستوى العالم :

وعموما ، فلقد أسدت الاباضية إلى المجتمع الإنسانى كله العلم والعمل ، والفكر ، والإيمان ، والخلق . . . والمذهب الاباضى فى جملته ثورة بمثل الفكر السياسى

الإسلامى البحت ، وتارة يمثل الفكر الإسلامى المستمد من الثقافات والعقائد السابقة على الإسلام .

ومن ناحية التاريخ ،فإن الفكر الاباضى له نظرة عالمية إسلامية ، تقوم على مساحة واسعة ، وتعبر عن فكرة وحدة الأمة العربية الإسلامية .

ثم ان من جملة المذاهب الإسلامية — بل أول المذاهب على خريطة التاريخ — مذهب الاباضية المعتمد على الكتاب والسنة والاجماع والقياس فيما لم يرد فيه نص ...

وهذا المذهب أقدم المذاهب تأسيسا ، وعلماؤه أكثر العلماء تأليفاً، فهم أول من دون تفسير القرآن ، وأول من دون الحديث ، وأول من دون الفقه والاصول، وكثيرا من العلوم والفنون .

ولم يكن عجيبا أن تزدهر عمان منذ فجر الإسلام ازدهارا كبيرا ، فهى فى ذلك مكملة لمسيرتها الحضارية عبر آلاف السنين ، وقد دفع الإسلام عمان دفعة قوية نحو التطور والحضارة ، وساهم مساهمة فعالة فى إثراء الفكر العمانى ، وفى ارساء النهضة العمانية المجيدة .

وأصبحت عمان العربية الإسلامية مركزا علميا هاما فى الدولة الإسلامية ، الشاسعة الارجاء ، وظهر دورها الفعال الواضح فى مختلف نواحى الحضارة الإسلامية ، دون أن تفرط فى علاقاتها مع سائر الدول والشعوب التى اتصلت بها منذ أقدم العصور ،حتى العصر الحاضر ، بحكم موقعها الجغرافى، وصلاتها البحرية، والتجارية ، والسياسية ، والثقافية ، والعلمية عموما...

وليس عجيبا أن يتواصى الاباضيون فيما بينهم — عن طريق فكرهم ومؤلفاتهم — على تنظيف عقول المسلمين ، وتطهير العقل البشرى العام ، مما

أصابه وعشش فيه من بقايا الكفر ، وعبادة الأوثان ، وما وفد عليه وأظله من نزعات المجوسية ، وأباطيل البراهمة ، وسقطات الصابئة ، وأضاليل الدهرية وجهالات الفلاسفة ، وسفسطة المزايدين...

كما تواصوا — بالتالى — على أن يضعوا الخطوط الحمراء ، وكل الصيغ المنفرة المحذرة ، تحت — أو فوق — الفكر الجرىء الذى تورط فيه المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والمعطلة ، والمشبهة ، والمجسمة ، والصفاتية ، والحشوية ، والمرجئة ، وغلاة الروافض والخوارج والشيعة ، والزيديين وغير ذلك من الفرق التى سأتناولها بالإطناب والاسهاب فى مؤلف خاص ضمن سلسلة « عمان والامبراطورية العربية » .

أم المذهب :

ان عمان — بما تميزت من علماء وعالمات فى المذهب الأباضى — قد أثرت الوعى الإنسانى ، وأثمنته ، واحتضنت التراث وصانته من عوادى الزمن وبعثرات الفوضى وسلبيات الأيام... والمتتبع لتاريخ ومسيرة الحركة الفكرية الإسلامية كانت أو عربية — على مدى الوعى العمانى ، ومن خلال أرضياته ، وخلفياته ، وفى كل الجيوب ، وبين دهاليزه ومنعطفاته ، ليدرك تماما ما لعمان من اليد البيضاء ، والفضل العظيم العميم ، ويلمح قطعا ما خلفته عمان عبر بصماتها ، من المآثر والمفاخر ، والمعطيات والإنجازات التى وقفت شاهقة شاهقة ، شاهدة على مجد الإنسان ، فى وطنه عمان ...

وكما أسلفت القول : فإن التشريعات السماوية تستهدف أول ما تستهدف خدمة البشر ، والنهوض بالإنسان ، والعمل على إسعاده ، واشباع نوازع الخير فيه ، والنهوض به ، إلى أرقى الاطوار ، واعلا الادوار فى سلم التحضر والترقى ،

ليتمكن عن جدارة من خلافة الله فى الأرض ، واستعمار كل ذرة فيها ، واستنباط عناصرها ، واستخراج طيباتها لخدمة النوع ، وخير الحياة ..

وكان السبيل إلى ذلك كله ، هى شرائع السماء التى جاء بها الأنبياء والمرسلون ، وأوصلوها إلى أقوامهم وذويهم ، وتحملوا فى ذلك ما تحملوه مما قصه القرآن الكريم ، وأفاضت به كتب السنة ..

وكانت الشريعة الاسلامية هى خاتمة المطاف فى رحلة الدعوة إلى الله من لدن آدم إلى نبينا محمد ، وما كان بينهما من أنبياء ورسل عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، وعاشت مفاهيم الرسالة ، ومضامين النبوة ، وتعاليم الشريعة فى قلوب ، وفى سلوك المسلمين بدءاً من صاحب الدعوة والذين معه إلى يومنا هذا .. وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

وبدأ البحر الكبير ، أو المحيط اللامحدود — وأعنى به الاسلام — فى توزيع روافده ، وشق قنواته وطرائقه إلى عقول وحقول الانسانية فى مسيرتها الكبرى ، وامتد زحف الاسلام دون توقف إلى كل مكان فوق جغرافية الكون ، وفى خريطة الوجود ..

ودخل الناس جميعاً فى دين الله ، وتسابق العلماء إلى استقطاب مسائل هذا الدين ، حرصاً منهم على التوغل فيه ، واستيعابه ، وفرض تعاليمه وسلطانه على العقائد والسلوكيات التى يعتقدها ويسلكها كل إنسان على مدى — ومن خلال — الانسانية جمعاء ..

ومن هنا ، أصبح للفهم الفردى ، أو الفهم الكلى الجماعى — المتمذهب بمذهب واحد — أسلوبه وطريقة تفكيره فى أخذ هذا المذهب ، وممارسته ، والتعامل معه ، مع ملاحظة البيئة والجو والمتغيرات التى يزامنها ، ويعيش فيها ، ويخضع لظروفها وملابساتها ، وأسلوب الحياة فيها ..

عملاق بين الأقزام:

هذا .. ويلاحظ أكثر من ذى قبل أن المتتبع لمسلك الأباضى ، والطريقة الأباضية عند معتنقيها، يرى أن هذا المذهب وهو يستعرض - فى أنفة - بعض الاتجاهات والعقائد التى جابهها بعض المتفلسفين على الفكر الاسلامى، والتى دخلت - هاجمة - على مقدسات البيئة ، واختلطت اعتباطاً - أو عن سوء قصد - بمعطيات الاسلام ومنجزاته ، من أمثال الفلسفات اليونانية ، والتصوف الهندى ، والمحاورات السوفسطائية ، والمناقشات البيزنطية ، والجدل الاغريقى، وما تخلفه هذه العقائد فى النفس من رواسب وأوضار - قد تفسد النفوس ، وتبدد العقول - لابد لها من مواجهة ومصادمة ، وقوة مضادة ، وإلا اكتسحت وزحفت ، ومن هنا كانت حتمية المذهب الأباضى الذى طلع مع مطلع هذه العقائد والمفاسد ، فى أفق واحد ، وعلى أرضية واحدة ، وكان لا بد من التصادم والتضاد الذى يستطيع أن يدفع عن أرض العروبة وعقيدة الاسلام ما حاول هؤلاء الخبثاء الدهاة أن ينثروه ، أو يبذروه فى عقول وفى حقول المسلمين ، وكان قدراً مقدوراً أن يصادف خروج هؤلاء الفلاسفة الغازين الزاحفين خروج الأباضية الذين ائتمنهم الله على دينه ، واصطفاهم حراساً على العقيدة ، حماة للاسلام ، دعاة له ، مجاهدين فى سبيله...، أضف إلى ذلك ما كانت عليه الأمة - بعد وفاة الرسول ﷺ - من اختلاط الحابل بالنابل ، والعالم بالجاهل ، والارتداد ، والجاهلية ، مما أيقظ الفتنة ، ونصايح على العصبيات ، وأحيا الشعوبية من جديد ، ونفخ فى بوق القبليات ، مما قد يكون له أسوأ الأثر على حياة الدعوة ، وقد يودى بها بالمرة ، ويقضى عليها تماماً ...

ومن هنا ، جاء الدور الأباضى فى وقته ، وفى الحساب المعلوم المرسوم الذى قضى به الله ، وسارت عليه سنته ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ..

كانا على موعد :

ومع مجيء هذا الدور البطولى ، جاء إلى المسرح هؤلاء الأبطال ، الأباضية ، — الذين تجردوا خالصين مخلصين منطلقين من عمان قاعدة الاسلام المتينة ومن غيرها من البلاد الاسلامية — رجالا أشداء العزيمة ، أقوياء الشكيمة ، نذروا أنفسهم لله ، وباعوها بيع السماح ، وحملوا الارواح على الراح ، واعتنقوا السيوف والرماح ، خارجين كالليوث الكواسر ، والسباع الضوارى مجاهدين فى سبيل الله ، ومن أجل الدين والعقيدة ، تحت الراية الاسلامية المعودة فى آفاق الحياة ، والتى كتب الله خطها ، ورسم خطوطها ، وزين أبعادها وأمادها ، وجمل نطاقها وحدودها بقوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » !!

وهكذا .. يمكننا الاعتقاد تماماً ، والجزم الأكيد اليقين ، إن هذا المذهب الاباضى لم يأت من فراغ ، ولم تقذف به الظروف على شاطىء الكون اعتباطاً ومصادفة ، بل إنله خلفياته التاريخية الواسعة ، وأرضياته الثابتة الشاسعة ، ومنطلقاته العريضة التى مكنت الفكر الاسلامى ، أن يتحرك من خلالها ، وأن ينطلق عبرها وبين جنباتها غازياً مجاهداً ، متخففا ، متجرداً هدفه الله ..

وهكذا كانت الأباضية — فوق أرض عمان — نجدة المستغيث ، وغوث العائذ اللائذ ، ورجاء الصارخ المكروب ، وأمل الأمة ، ووحيدة الاسلام فى أول مخاضه ، ونصيرة الدعوة فى الوقت الذى تناثرت فيه الآراء ، وتبعثرت الأفكار ، وغام الوعى ، وضل الطريق تحت أقدام الغزاة الدعاة ، المجاهدين فى سبيل الله ، وصدق الله إذ يقول : « وإن جندنا لهم الغالبون » !

وهكذا مرات عديدة ، خرج هؤلاء المغاوير من النهروان ومن عمان إلى مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، حيث وردوا الماء من مناهله ، وتلقوا

خالص الدين من الأنصار والمهاجرين وأمهات المؤمنين ، وعلى رأسهم عبد الله ابن وهب الراسبي — فيما بعد — ، وجابر بن زيد الفرقى النزوى — أولا — وفى زمن متباعد بعض الشيء . وغيرهما ، وتتلمذوا هناك ما شاء الله ، وما يسر لهم من أصول هذا المذهب وفروعه ، وتزودوا بالكثير من آياته وبيناته ، وأمكن — بالتالى — لكل من الراسبى والنزوى — كل فى زمنه ووقته — نشر هـــذا المذهب بين الصفوف العمانية المتراصة ، وذهب به تلامذتهما غرباً وشرقا ، وفى جهات العالم الأصلية والفرعية ، يؤدون الرسالة ، ويبلغون الأمانة ..

وفى مستهل القرن الثانى بدأ انتشار غرس جابر وازدهاره فى عمان وفى غيرها حتى نضج وأينع ، وأشتى وأربع ، فى المغرب العربى كله ، وفى مصر ، واليمن ، وحضرموت ، ومكة ، والمدينة ، وليبيا ، والجزيرة العربية كلها ، والشرق الأوسط من الخليج إلى المحيط ، ثم انتظم صفه ، وامتد زحفه ، حتى شمل الدنيا ، واستوعب العالم فى صورته التى أصبح عليها ، وفى شكله المتعارف عليه الآن .. وهو المذهب الأباضى ..

وفى هذا يقول بعض المحققين من المؤرخين والفقهاء وعلماء التفسير والحديث قولتهم المشهورة : بارض العلم بالمدينة ، وفرخ بالبصرة ، وطار إلى عمان ، ومن عمان انطلق إلى كل بقاع العالم وأصقاعه .

عبد الله بن أباض :

أما الامام الذى انتسب إليه هذا المذهب الأباضى ، فهو : عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمى ، من بنى مرة بن عبيد ، رهط الأحنف بن قيس ، وهو الذى فارق جميع الفرق النائية عن الحق ، البعيدة عنه — ولو بعض الشيء — كالمعتزلة ، والقدرية ، والصفاتية ، والجهمية ، والخوارج الغلاة ، والروافض ، والشيعة ..

والإمام الأباضى هو أول من بين هذه الفرق ، ونقض مذاهبهم ، وكشف القناع عن فساد معتقداتهم ، بالحجج الباهرة ، والبراهين النيرة ، والمنطق الصحيح ، والأسلوب الواضح الصريح ..

نشأ ابن اباض فى زمن معاوية بن أبى سفيان ، وعاش إلى عهد عبد الملك بن مروان، وكتب اليه ونصحه، وانتقد تصرفاته، ووجهه — ووجه معه كل ولاة الأمور — فى رسالته المشهورة التى تناقلها السيار ، ومشت بها الأحاديث والأخبار .

وقال عنه العلامة الشماخى — وأيده فى مقولته المحقق الرقيشى — : إن عبد الله ابن اباض المرى التميمى ، امام أهل التحقيق ، والفيصل عند اختلاف الطريق . والعمدة فى مواجهة أولى الاهواء والتفريق ، سلك بأصحابه ، والمتمذهبين بمذهبه محجة العلم والعدل ، وفارق سبل الضلالة والجهل .

وكان — رحمه الله — ممن خرج إلى الجهاد لمنع بيت الله وحرمه من لامبالاة مسلم عامل يزيد واستهتاره.. وله مناظرات طويلات مع الخوارج المتشددين وغيرهم من الفرق المندرجة ضمن الاثنتين والسبعين فرقة ، عساه يعيدهم إلى الصواب ، أو يربط المسيرة بأقدامهم على طريق الحق والهداية .

وللامام عبد الله بن أباض مع عبد الملك بن مروان مواقف عديدة ، وكثيرا ما كان يبدى له النصائح ، وان تعرض بسببها إلى كثير من المصاعب والمتاعب، وتلك هى أولى الاحرف فى أبجديات الدعوة إلى الله ، والتبشير بدينه ، والعمل لنشر الوية الإسلام عالية خفاقة .

وفى حياة ابن أباض دروس وعظات لاصحاب الدعوات والرسالات. قال القطب فى شرح العقيدة : إن المسلمين بعد قتل أبى بلال اجتمعوا بجامع البصرة ، وعزموا على الخروج ، وفيهم عبد الله بن أباض ، ونافع بن الأزرق ، ووجوه المسلمين

فلما جن الليل وسمع عبد الله دوى القراء ، ورنين المؤذنين ، وحنين المسبحين ، وضرعات الداعين الباكين . قال لأصحابه : لم لا أكون مع هؤلاء وأخرج معهم ؟

فرجع وكتم أمره ثم اختفى فى خرجة كبرى أصلحت فيما بعد موازين الحياة ...

قال العلامة البرادى — صاحب كتاب الجواهر — :

إن عبد الله بن أباض هو الذى فارق جميع الفرق الضالة عن الحق من المعتزلة والقدرية والصفاتية والجهمية والخوارج والروافض والشيع ، وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقادهم بالحجج الباهرات ، والآيات المحكمات النيرات والروايات البينات الشاهرات . نشأ فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه السير المشهورة والنصائح المعروفة المذكورة . ورفع المذهب عن عبد الله بن العباس ، وأبى الشعثاء جابر بن زيد ، ونقل عن أهل النهروان والنخيلة وعن التابعين من أهل صفين والجمل ، وعن الصحابة مثل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، ومحمد وعبد الله ابنى بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، ومعاذ ابن جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسلمان الفارسى ، وبلال ، وصهيب الرومى ، وعائشة أم المؤمنين ، والخليفتين الرضيين أبى بكر وعمر ، والمهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين .

وذلك أنه فارق جميع الفرق الغالية والمتشددة وقال : إن الإيمان قول ، وعمل ، ونية ، واتباع سنة ، وان ليس فيه مساومة أو مقايضة بالجنات ولا ميولة إلى هوى ، وإنما هو اتباع سبيل التقوى ، والإيمان أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله وجنته وناره ووعده ووعيده والبعث والحساب واليوم الآخر ، وتصديق ما جاء به الأنبياء من ربهم ، وان القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على نبيه محمد ﷺ ، وان لله ثواباً لا يشبهه ثواب ، وعقاباً لا يشبهه عقاب ، وان نؤمن بالقدر خيره وشره ، وان الله خالق كل شيء ولا خالق سواه ، وأنه لا يخلف وعده ولا يبطل وعيده ، وأنه صادق فيما قال ، وان كل ما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله فهو الحق المبين ، ولا شك فيه ولا ارتياب ، وان الله سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولا تحويه الأقطار ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد القهار ، الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، الخالق البارىء المصور الباعث الوارث المحيي المميت الباقي الذي لا يموت ، القوي الغني العلي الولي الجبار المتكبر الواحد الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، عالم خبير عزيز حكيم ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، أول ليس قبله شيء ، آخر ليس بعده شيء ، خالق كل شيء ومحيط بكل شيء ، وعالم بكل شيء وهو بكل شيء عليم ، لا تدركه الأوهام ، ولا يشبه بالاجسام ، ولا الحركات والسكون ، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، عالم بما يكون قبل كونه أن لو كان ، كيف يكون بالقدرة الظاهرة والعظمة الباهرة ؟ منشيء النشأة الأولى والنشأة الآخرة ، لا تحويه الأمكنة ، ولا تغير الأزمنة ، ذو العزة والملكوت والقوة والجبروت ، الحي الباقي الذي لا يموت ، البريء من الأشباه والأضداد ، المقدس عن الصاحبة والأولاد ، المنزه عن صفات أهل الشرك والإلحاد ، المتعالي عن ادراك النواظر ، وتحصيل الأوهام والخواطر ، القادر بلا أعوان وأنصار ، الناظر بلا خواطر وأفكار . العالم لا بالكتساب ولا اضطرار ، الدائم لا بزمان ومقدار ، المطلع على خفيات الأسرار ، لا تراه العيون والأبصار ، العالم بما يكون قبل كونه أن يكون

«إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»، «فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون» ...

وان الإسلام من الإيمان : وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وان ما جاء به محمد بن عبد الله هو الحق المبين ، لاشك فيه ولا ارتياب ، وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور.

ويحدثنا التاريخ فيقول : إن عبد الله بن أباض كان مثلا أعلا للفكر الإسلامى الصحيح ، كما كانت تهتدىء دائماً منه العبارات الرائقة ، والإشارات الوضيئة الشيقة ، والسلوكيات التى تبهج الخاطر ، وتسر الناظر ، مع تداخل علومه وحكمه ، وتناسب حروفه وكلمه ، إذ كله داخل فى كله ، وأوله مرتبط بالأخير من قوله ، بل كل مسألة من مسائله تسكملة لما قبلها ، وتوطئة لما بعدها ، وكل باب فى فقهه كالشرح للذى قبله ، والذى قبله أيضاً كأنه شرح له ، فكل حكمة له أو كلمة منه ، إنما هى كالتكملة أو المقدمة ، فأوسطه طرفاه ، وآخره مبتداه ، وأوله منتهاه ..

وقال عنه الكثير من الفضلاء الأجلاء : إن عبد الله بن أباض كان آية فى التحقيق ، وكان ذا تجمل وزهد ، وتواضع وعفاف ، كثير الوقار والحياء ، رضى الخلق ، جميل اللقاء ، لا يرى لنفسه مزية على مخلوق ، لما غلب عليه من هيئة الجلال ، وهيبة العلم والكمال .

وكان رضى الله عنه من أولياء الله الذين خلع الله عليهم الخلع العظيمة ، وتولاهم بمننه الجسيمة الوسيمة ، فاصطفاهم لنفسه ، واختصهم بمحبته وأنسه ، وطهر أسرارهم من أنجاس الأغيار ، وصان قلوبهم بما أودع فيها من الأنوار والأسرار ، فكان لذلك ضمن صفوته فى عباده ، وخباياه الغالية فى بلاده ..

لقد ابتدأ ابن أباض — كما تبتدىء الصفوة المختارة — باحثاً منقباً عن الله فوجده — سبحانه — ظاهراً فى آثاره ، وجده فى النسمة العاطلة ، فى الزهرة الندية ، فى النجم المتألق ، فى شعاع الشمس ، وجده فى الخير ، فى الجمـــال ، فى الكمال والجلال ، وجد الله فى كل شيء حين نظر إليه بعين الوجد والحب والوله والقرب فأحبه وهام به ، وكانت حالته مع الله كما يصف هو ذلك فيقول : والمحب يتعالى إلى محبوبه بكل شيء ، ولا يتسلى عنه بأى شيء ، ويتبع آثاره ، ولا يدع مشورته أو استخباره ...

وكان ابن أباض محباً لله إلى الحد الذى قال عنه : كل ما فاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك من الحظوظ — وإن عظمت — سوى الله قليل ...

وكان لابن أباض منهج فى عبادته لربه ، وحبه له ، يعبر عنه دائما فى قوله: ينبغى أن يكون فرحك فى العطاء بالمعطى ، ولذتك فى اللذات بخالق اللذات ، وتنعمك فى النعم بالمنعم دون النعمة ؛ لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب ورؤية النعمة عند رؤية المنعم ساتر له وباب ..:

وكان كثيراً ما يقول : واعجبا لمن لم ير محسنـــا غير الله، كيف لا يميل بكليته إليه ؟ وفى الاتجاه إلى الله نعيم لا يعد له نعيم، ولذة لا تعدلها لذة ، وإذا نعم الناس بملبس يبلى ، أو بمطعم لا تلبث حلاوته أن تزول ، فان لأولياء الله وأصفيائه نعيمهم المبرأ من الأوضار، ومحبتهم الخالصة عن الشركاء والاغيار . إن لهم نعيمهم الروحى ، ؛ ولكن مع هـذا — أيضا — لهم نعيم أبدانهم الطيب الطاهر ..

المقامات والطريق :

وكان الامام عبد الله بن أباض يرى أن أول الطريق إلى الله هو مقام التوبة، وأن مقام التوبة هو أول الطريق إلى مقام الخوف ، ... وأن مقام الخوف هو

أول الطريق إلى مقـام الرجاء ، ... وأن مقام الرجاء هو أول الطريق إلى مقام الصالحين ، . . وأن مقام الصالحين هو أول الطريق إلى مقام المريدين ، .. وأن مقام المريدين هو أول الطريق إلى مقام المطيعين ، ... وأن مقام المطيعين هو أول الطريق إلى مقام المحبين ، ... وأن مقام المحبين هو أول الطريق إلى مقام المشتاقين ، وأن مقام المشتاقين هو أول الطريق إلى مقام الاوليـــاء ، وأن مقام الأولياء هو أول الطريق إلى مقام المقربين .

وذكر الإمام الاباضى أن لكل من هـذه المقامات آدابها التى إذا أداها المؤمن والتزم بها ، أنفردت نفسه بالذكر ، وجالت فى ملكوت عز الله بخالص العلم به ، وارادة على حياض المعرفة ، قارعة لبابه ، خاشعة فى رحابه .

ولقد سلك الامام الأباضى حياته مع رجال جامتهم دعوة الإسلام ، فآمنوا بها ، وصدقتها قلوبهم ، وما كان قولهم إذا دعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا:

« ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا »

ووضعوا أيديهم فى يد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهانت عليهم نفوسهم ، وأموالهم ، وعشيرتهم ، واستطابوا المرارة والمكاره فى سبيل الدعوة إلى الله ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، وسيطر على نفوسهم وعقولهم ، وصدرت عنهم عجائب الايمـــان بالغيب ، والحب لله والرسول ، والرحمة على المؤمنين ، والشدة على الكافرين ، وإيثار الآخرة على الأولى ، والآجل على العاجل ، والغيب على الشهادة ، والهداية على الجباية ، والحرص على دعوة الناس ، وإخراج الخلق من عبادة العباد إلى عبادة الله خالق العباد ، ومن جور الأديان إلى سماحة الاسلام وعدالة الايمان ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدين ، والاستهانة بزخارف هذه الفانية وحطامها ، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة ، وعلو الهمة ، وبعد النظر فى أمثر روافد الاسلام وخيراته فى العالم .

ولقد انتشرت تلك الصفوة من هؤلاء الرجال الأبطال فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونسوا فى سبيل ذلك لذاتهم ، وهجروا راحاتهم، وغادروا أوطانهم وبذلوا مهجهم ، وحرأموالهم ، حتى ألقى الدين بجرانه ، ونـاء بكلكله ، وأقبلت القلوب إلى الله ، وهبت ريح الايمان والأمان قوية طيبة مباركة ، وقامت دولة التوحيد الخالص ، والايمان الناصع ، والعبادة والتقوى ، ونفقت سوق الجنة ، وانتشرت الهداية ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، ولقد ضمت وقائعهم كتب التاريخ ، وحفظت أخبارهم وأيامهم دواوين الاسلام ، وكانت دائما مادة التجديد ، والبعث الجديد فى حياة المسلمين ، وعبر أشواطها ، وعلى مدى مشوارها الطويل العريض ، الوسيع العميق . ..

وذكر ابن الاثير ، والمقريزى ، والطبرى ، والمبرد ، وابن عبد ربه فى « العقد الفريد » خروج الخوارج إلى مكة المكرمة — لصونها وحمايتها من أهل الشام الذين حركتهم أهواء بنى أمية ومطامعهم — وعلى رأسهم « عبد الله بن أباض » ، كما ذكر هؤلاء المؤرخون كذلك افتراق الخوارج فيما بينهم ، وأن نافع بن الأزرق كتب إلى كل من ابن الصفار، وعبد الله بن أباض يدعوهما ومن معهما إلى معتقده ... فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه ، خشية أن يتفرقوا عنه ، أو يختلفوا عليه .

وأما ابن أباض فحين قرأ كتاب ابن الأزرق قال : قاتله الله ، أى رأى رأى ؟ لقد كذب نافع فيما يزعم .. وأن القوم برآء من الشرك ، ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ...

يا لها من رسالة :

ولقد وجه الامام عبد الله بن أباض رسالة إلى الحاكم عبد الملك بن مروان المؤسس الثانى لدولة بنى أمية ولقد صب فى تلك الرسالة ثقافته العقيدية ، ونخل

فيها مكنون سره ، وأراق على سطورها تجارب عمره ودهره ، ونفض من خلالها حصاد حياته وممارساته ، وأزجى من ثناياها النصيحة خالصة صادقة ، وساق على ساحتها ومساحتها مواليد الحقيقة الناصحة الواضحة . . وأخذ بتلابيب بني أمية منذ جدهم الاكبر أبي سفيان بن حرب ، وراح يطوح بهم في الفضاء ، ويكشف عن أعمالهم كل غطاء وخفاء ، وأشهد العالم عليهم ، ولقنهم الدروس البالغات ، والعظات البينات ، وأبان لهم أن الحق واحد لا يتعدد ، وان له صولة ودولة .

وان الناس جميعاً سواسية أمام سلطانه وبرهانه . . وان كلمة الحق لابد أن تقال في أي مواجهة ، وعلى أي صعيد . . وإلا كان الناس — في سكوتهم عن قولة الحق — شياطين خرسا .

ولقد استعرض الإمام ابن أباض في هـــذه الرسالة كثيرا من المواقف والأشخاص ، خاصة من كانوا في دائرة الضوء .

ومن كان لهم تعامل أكيد ، وممارسات وإنجازات على مستوى الأفراد والجماعة والمجتمع . .

وكان مما جاء في هـــذه الرسالة — ردا على عبد الملك بن مروان فيما كان يزعمه — :

وأما قولك في شأن معاوية بن أبي سفيان : أن الله قام معه وعجل نصره ، وأفلج حجته ، وأظهره على عدوه ، بقالب دم عثمان ، فإن يكن يعتبر الدين من جهة الدولة أن يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا ، فانا لا نعتبر الدين بالدولة ، فلقد ظهر المسلمون على الكفار ، لينظر كيف يعملون ؟ وقد ظهر الكفار على المسلمين ليبلو المسلمين بذلك ، ويكون عقابا على الكافرين . . ، وقال ، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فان كان الدين

إذا ظهر الناس بعضهم على بعض ، فقد سمعت الذى أصاب المشركون من المسلمين يوم أحد... وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار ، وظهروا أيضاً على أهل البصرة ، وهم شيعة عثمان ، وظهر المختار على ابن زياد وأصحابه ، وهم شيعتهم ، وظهر مصعب على المختار ، وظهر ابن السجف على أخنس بن دجلة وأصحابه ، وظهر أهل الشام على أهل المدينة ، وظهر ابن الزبير على أهل الشام بمكة يوم استباحوا منها ما حرم الله عليكم وهم شيعتكم ، فان كان هؤلاء على الدين فلا يعتبر الدين من قبل الدولة ، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ، ويعطى الله رجلا كافراً ملكا فى الدنيا ، كما أعطى فرعون ملكا ظهر فى الأرض ، وقد أعطى الذى حاج إبراهيم فى ربه .

ثم إن معاوية إنما اختلس الإمارة من الحسن بن على بعهد عاهده ، ثم لم يف له بالذى عاهد عليه ، وقال الله : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » .

فلا تسأل عن معاوية ، ولا عن عمله ، ولا عن صنيعه ، غير أنا قد أدركنا ، ورأينا عمله ، وسيرته فى الناس ، ولا نعلم أحداً أترك للقسمة التى قسم الله ، ولا لحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرام منه ، فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية لكان فى ذلك ما يكفره بنعم الله .

ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا من الناس ، لعينا يشرب الخمر المسكفر ، فيكفيه من السوء ، وكان يتبع هواه بغير هدى من الله وقال الله : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين » فلم يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذى عقل من الناس .

فاتق الله يا عبد الملك ، ولا تخادع نفسك فى معاوية ، فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون فى معاوية ، ويزيد ، ويعيبون عليهما كثيراً مما يصنعون .

فمن يتولى عثمان ومن معه فإنا نشهد الله وملائكته وكتبه ورسله بأنا منهم برآء ولهم أعداء بأيدينا ، وألسنتنا ، وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ، ونموت عليه إذا متنا ، ونبعث عليه إذا بعثنا ، ونحاسب بذلك عند الله.

وكتبت إلى تحذرنى الغلو فى الدين ، وإنى أعوذ بالله من الغلو فى الدين ، وسأبين لك ما هو الغلو فى الدين إذا جهلته ؟ فانه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتابه الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن ، وقال الله تعالى: « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، كما فعل عثمان ، والأئمة . من بعده ، وأنت على طاعتهم ، وتجامعهم على معصية الله ، وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها ، وقال الله عز وجل: « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل».

فهؤلاء أهل الغلو فى الدين .. فليس من دعا إلى الله ، وإلى كتابه ، ورضى وغضب لله ، حين عصى أمره ، وأخذ بحكمه حين ضيع ، وتركت سنة نبيه .

وكتبت إلى تعرض بالخوارج تزعم أنهم يغلون فى دينهم ، ويفارقون أهل الإسلام ، وتزعم أنهم يتبعون غير سبيل المؤمنين .. وانى أبين لك سبيلهم وانشر عليك جهادهم ، وارفع فوق هامات الحياة أعلامهم .. وألويتهم . .

كانوا يتولون فى دينهم وسنتهم رسول الله ﷺ ، وأبا بكر ، وعمر بن الخطاب ويدعون إلى سبيلهم ، ويرضون بسنتهم ، وعلى ذلك كانوا يخرجون ، وإليه يدعون ، وعليه يتفارقون ، وقد علم من عرفهم من الناس ، ورأى من علمهم ، أنهم كانوا أحسن الناس عملا ، وأشد قتالا فى سبيل الله ، وقال الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » .

فهذا خبر الخوارج تشهد الله ، والملائكة ، انا لمن عاداهم أعداء ، وانا لمن والاهم أولياء ، بأيدينا ، وألسنتنا ، وقلوبنا ، على ذلك نعيش ماعشنا ، ونموت على ذلك إذا متنا ، غير أنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظـــهر ، ولـكنهم ارتدوا عنه ، وكفروا بعد إيمانهم ، فنبرأ إلى الله منهم .

أما بعد: فإنك كتبت إلى تطلب منى أن أكتب بجواب كتابك ، وأجتهد لك فى النصيحة، وأن أبين لك،ألا . فانى قد بينت لك بجهد نفسى وأخبرتك خبر الأمة، وكان حقا على أن أنصح لك ، وأبين لك ما قد علمت . إن الله يقول : «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الـكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون،إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » .

إن الله لم يتخذنى عبداً لاكفر به ،ولا أخادع الناس بشىء ليس فى نفسى ، وأخالف إلى ما أنهى عنه .

أدعوكم يا آل مروان إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، لتحلوا حلاله، وتحرموا حرامه، ولنرضوا بحكمه، وتنيبوا إلى ربكم ، وتراجعوا كتاب الله ، وأدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بينى وبينكم فى الذى اختلفنا فيه ، ونحرم ما حرم الله ، ونقسم بما قسم الله ، ونحكم بما حكم الله ، ونبرأ ممن برأ الله منه ورسوله ، ونتولى من تولاه الله ، ونطيع من أحل لنا طاعته فى كتابه ، ونعصى من أمر الله بمعصيته أن نطيعه ، فهذا الذى أدركنا عليه نبينا ﷺ .

وإن هذه الأمة لم تحرم حراما ، ولم تسفك دماً ، إلا حين تركوا كتاب ربهم الذى أمرهم أن يعتصموا به ، ويأمنوا عليه ، وإنهم لا يزالون مفترقين مختلفين ، حتى يراجعوا كتاب الله ، وسنة نبيـــه ، ويطبقوا كتاب الله على أنفسهم ،

ويحكموه إلى ما اختلفوا فيه، فان الله يقول : «وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب » .

وإن هذا هو السبيل الواضح ، لا يشبه به شيء من السبل ، وهو الذي هدى الله من قبلنا محمداً ﷺ والخليفتين الصالحين من بعده ، فلا يضل من اتبعه ، ولا يهتدي من تركه ، وقال : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

واحذر أن تفرق بكم السبل عن سبيله ، ويزين لك الضلالة باتباعك هواك فيما جمعت اليه الرجال ، فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، إنما هي الأهواء ، إنما يتبع الناس في الدنيا والآخرة إمامين : إما هدى ، وإمام ضلالة .

أما إمام الهدى ، فهو يحكم بما أنزل الله ، ويقسم بقسمته ، ويتبع كتاب الله ، وفيه وفي جماعته قال الله تعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » ، وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم ، ونهى عن معصيتهم .

وأما إمام الضلالة ، فهو الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، ويقسم بغير ما قسم الله، ويتبع هواه بغير سنة من الله ، فذلك كفر ، كما سمى الله ، ونهى عن طاعته وطاعة جماعته، وأمر بجهادهم، وقال: «ولا تطعهم وجاهدهم به جهاداً كبيرا ، فانه حق أنزله بالحق ، وينطق به ، وليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون؟ «ولا تضربن الذكر عنك صفحاً ، ولا تشكن في كتاب الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فانه من لم ينفعه كتاب الله ، لم ينفعه غيره .

وكتبت إلي أن أكتب اليك بوصول كتابك ،فاني قد كتبت اليك ، وأنا أذكرك بالله العظيم لما قرأت كتابي ، وتدبرته ، واكتب إلي إن استطعت بجواب كتابي إذا كتبت إليك بما أتنازع فيه أنا وأنت ، انزع عليه بينة من كتاب

الله أصدق فيه قولك ، فلا تعرف لى بالدنيـــا ، ، فإنى لا رغبة لى فى الدنيا ، وليست من حاجتى ، ولكن لتكن نصيحتك لى فى الدين ، ولما بعد الموت ، فإن ذلك أفضل النصيحة ، فان الله قادر أن يجمع بيننا و بينك على الطاعة ، فانه لاخير فيمن لم يكن على طاعة الله ، وبالله التوفيق ، وفيه الرضى ، والسلام على من اتبع الهدى ...

وهكذا :

وهكذا كان الايمان بالله والثقة فيه ، والاطمئنان إلى عـــدالته ، والرغبة فيما عنده ، كل هذه المعانى هى التى جعلت الامام عبد الله بن أباض — إمام هذا المذهب الاباضى — يكتب رسالته ، ويوجهها إلى عبد الملك بن مروان ، وقد ضمنها كل تعليماته وتوجيهاته ، ونصائحه وتوصياته ، فى أسلوب جرىء مهذب ، وصيغة شريفة عفة ، ومنهج عقيدى ينصلح به شأن الدنيا وأمر الدين ، وشتى المعاملات بين الناس ، ولاسيما بين الحاكم والمحكوم ، فى حسن الأداء ، وصدق الالتزام ، وخالص النيات ، والأعمال .

هذا .. إلى جانب ما فى هذه الرسالة من تصحيح وتوضيح إلى أن ولاية أمر المسلمين ، وحكمهم وحكومتهم ، ليست شيئاً هيناً ، وليست بالأمر اليسير الذى يتأبى به ، أو ينصرف عنه ، أو يتاجر فيه ، لحساب الحاكم وبطانته ، وسماسرته وعملائه ، بل إن الولاية والحكومة والامامة مسئوليات وتبعات ، وعهود ووعود وأمانات .

ومن هنا ، انطلق صوت الحق فى ضمير عبد الله بن أباض ، وجاءت كلماته الصارخة فى وجدانه ، وجعل الايمان يتدفق على لسانه ، ويفيض على شبا يراعته ، وعيداً وتهديداً ، وتحذيراً وإنذاراً لهذا الحاكم الأموى ، وكل من سار على دربه ،

أو انتهج مذهبه ، أو وضع قدمه على أول خطوة فى طريقه من ولاة أمور المسلمين وحكامهم .

مع بيان أن المناصب العامة — على مستوى البيئة الاسلامية — ليست مغنما ، ولا مربحا ، ولا حانوتا ، ولا مزرعة ، يتكسب منها اللصوص ، ويتعيش عليها الخونة ، ويتوارثها الابناء عن الآباء ، والاحفاد عن الاجداد .

وهكذا يجب أن يكون علماء المسلمين وأئمتهم فى مواجهة الحكام ، فالساكت عن الحق شيطان أخرس ...

إنى مهاجر إلى ربى :

قال أبو الفرج فى كتابه « الاغانى » : « إن عبد الله بن يحيى الكندى — أحد بنى عمرو بن معاوية — كان مجتهداً عابداً ، قال قبل أن يخرج لحرب بنى أمية — بعد أن استجار به الناس من ظلمهم — : لقيني رجل فأطال النظر إلى ، وقال : ممن أنت ؟ فقلت : من كندة .. فقال : من أيهم ؟ قلت : من بنى شيطان .. قال : والله لتملكن ، ولتبلغن خيلك وادى القرى ، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك .. فذهبت أتخوف مما قاله ، واستخير الله ، فرأيت باليمن جوراً ظاهراً ، وعسفاً فاجراً ، وتسلطاً شديداً ، وسيرة فى الناس قبيحة .

قال أبو الفرج : ثم قال لأصحابه : والله لا يحل لنا المقام على ما نرى ، ولا يسعنا الصبر عليه ... وكتب من فوره إلى أبى عبيدة مسلم ، وهو مولى بنى تميم ، الذى جمع أصحابه من الاباضية يستشيرهم .. فكلهم قال له :

إن استطعت أن لا تقيم يوما واحداً فافعـــل ، فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ..

ولست تدرى متى ينتهى بك أجلك ، والله يبعث دائما خير عباده إذا شاء لنصرة دينه ، ويخص بالشهادة منهم من يشاء ؛ ومن كتبها له ..

وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الازدى أحد بنى سليمة ، وباج ابن عقبة الفرهودى فى رجال أوفياء أمناء من الاباضية ، وحثوه على الخروج ، وأمدوه بالكثير من كتب المذهب ... والتى جاء فيها : .. واقتدوا بأسلافكم الصالحين ، وسيروا مسيرتهم ، ولقد علمتم أن الذى أخرجهم على الحاكم ، وذمرهم منه ، وأبرموهم به ، وزهدهم فيه ، إنما هو العبث والظلم ، والموبقات التى يمارسها هذا الحاكم وأعوانه ...

وهنا تجمع الناس جميعا على مبايعة أبى يحيى عبد الله بن يحيى الكندى ، وقصدوا معه إلى دار الامارة ، وعليها إبراهيم بن جبلة بن مخرمة ، فأخذوه ، وحبسوه ، ثم أطلقوا سراحه ، وعفوا عنه ، فأتى إلى صنعاء ، وأقام عبد الله ابن يحيى فى حضرموت ، وأمه الناس من كل فج ، وكثر جمعه واتباعه ، وسموه منذئذ « طالب الحق » .

قال أبو الفرج : فلما استولى عبد الله بن يحيى على اليمن ، خطب الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ ، ووعظ ، وذكر ، وحذر .. ثم قال : أيها الناس . إنا ندعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما .. الاسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالا لا نبغى به بديلا ، ولا نشترى به ثمنا قليلا ، وحرمنا الحرام ، ونبذناه وراء ظهورنا ، ولاحول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول ، من زنى فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شك فى إنه كافر فهو كافر ، أقول : لاشك أن المراد بالكفر فى هذا المقام

— على رأى الاباضية — هو كفر النعمة الذى ورد ذكره فى أكثر من مكان فى القرآن الكريم .. والحديث النبوى الشريف ..

قال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .. وهو عام لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو قادر ، ولكل من ترك الحج وهو مستطيع وفى صحيح البخارى حديث إمرأة ثابت بن قيس المختلعة التى قالت : إنى أخاف الكفر فى الاسلام ..

وفى صحيح مسلم : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » .

وفى صحيح مسلم أيضا : « إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما » ..

والأحاديث كثيرة فى الصحاح حول هذا كله ..

قال أبو الفرج : وفى رواية أخرى ، قال طالب الحق فى خطبته : فانا ندعوا إلى فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار مقتدى بها ، ونشهد ان الله صادق فيما وعد ، عدل فيما حكم ، وندعو إلى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والولاية لاهل ولاية الله ، والعداوة لأهل عداوة الله .

أيها الناس .. إن من رحمة الله أن جعل فى كل فترة بقية من أهل العلم ، يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون على الألم فى جنب الله تعالى ، يقتلون على الحق فى سالف الدهور ، شهداء فما نسيهم ربهم « وما كان ربك نسيا » ..

أوصيكم بتقوى الله ، وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به ، فابلوا بلاءا

حسبنا فى أمر الله وذكره ... أقول قولى هـــذا ، واستغفر الله لى ولكم . .

قال المقريزى : وأقام عبد الله بن يحيى فى صنعاء أشهرا يحسن السيرة بين الناس ويلين جانبه لهم ، ويكف عنهم .

ثم جاءته الشراة من كل جانب يبايعونه ، وينضمون إلى صفه ، وينضمون فى جيشه وزحفه . وتحت لوائه ..

قال : فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف ، وبلج بن عقبة ، وابرهة بن الصباح إلى مكة المكرمة فى تسعمائة ، وقيل فى ألف ومائة ، وأمر المختار أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ، وأن يوجه بلجا إلى الشام .

وأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية ، وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأرسل الوالى الخطباء والفقهاء من قريش وغيرهم إلى أبى حمـــزة ليناقشهم فيما جاء من أجله ، وليشرح لهم المبادىء التى تقوم عليها دعوة الخوارج عامة ، والاباضية على وجه الخصوص ، وأهم تعاليمهم ..

وخرج أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى - على الجميع — وقد تنكب قوسه ، حتى إذا خطب الخطباء ، وتكلم الفقهاء ، وانتهى كل من خطابه وكلامه — بعد أن عظموا حرمة الحج ، ويوم عرفة ، ما قدر لهم ، وما قدروا عليه — تكلم أبو حمزة المختار ، فحمد الله واثنى عليه .. ثم قال — للخطباء والفقهاء والعامة المستمعين والمشاركين — :

أما ما قلتم وذكرتم من تعظيم هذا اليوم ، فانكم لم تبلغوا بعد أى بلاغ إلى ذلك... ثم ذكر جور بنى أمية ، وما هم عليه من ظلم الناس ، والتعسف بهم ، والتحكم فيهم ، والفسق والجور والفجور .. ومازال بهم ومعهم حتى أفحمهم جميعا ، وحتى أسمعهم من لم يكونوا قد سمعوه قبلا أبدا ، ومن لم يكونوا يعرفونه بالمرة ،

فرجعوا إلى الوالى — الذى سلطهم وحرضهم — وأعلموه بأمر الرجل وخطورته واعترفوا جميعا بعجزهم عن مباراته ومجاراته فيما ذهب اليه من عجائب القول وغرائبه... قال لهم الوالى: فاسألوه الموادعة فى هذه الايام، على أن يستأنف معه الحديث فيما بعد، وعلى أن لانعرض له، ولا يعرض لنا .. فأعطاهم أبو حمزة ما طلبوه، ووادعهم إلى مابعد الحج وأداء المناسك ..

حتى إذا فرغ الناس من مناسكهم وصاروا إلى مكة .. خرج الوالى عبدالواحد وخلى مكانه، قال أبو سفيان: وصار بلج بن عقبة يأتى لرمى الجمرات فى الخيل والسلاح، وكان أبو حمزة كثيراً ما يقول له: رحمك الله يا ابن عقبة، مايدعوك إلى هذا؟ وماذا عليك لو جئت متنكرا حتى ترمى جمارك؟

وكان بلج يرد عليه بقوله: لا ... والله لا أفعل، إلا ما أفعل الآن وأكثر من هذا ..

ان القوم غادرون، ولا آمن غدرهم بنا، ونقضهم ما قطعوه من عهد أو ميثاق . . وهـــذا ديدنهم، وتلك طبيعتهم وجبلتهم، فان فعلوا كنا قد استعددنا لهم ...

وأقام أبو حمزة فى ذى طوى، وأقام من حوله خلق كثير، واجتمع اليه من نواحى مكة رجال من خزاعة. وبعد ذلك توجه إلى المدينة فدخلها.

وخطب من فوق منبر النبى ﷺ فى مسجده الشريف، وقال: يا أيها الناس إنا نخيركم فى ثلاث خلال، أيما شئتم فخذوا لانفسكم، رحم الله أمرأ أخذ الخيار لنفسه، إما قابل لما ندعو اليه، ويعبد الله على طريقتنا، وحملته نيته الصادقة على أن يجاهد معنا فى صفنا وبنفسه، فيكون له من الأجر ما للمجاهد منا، ومن قسم هذا الفيء ما لافضلنا. ومن أفضله ...

وإما عارف بهذا الأمر مقيم فى داره ، يدعو اليه بقلبه ولسانه ، فعساه — وارجو — أن يكون أحسن منزلة منا .

أما الثالث فهو الذى كره قولنا ، ..فإنا آمناه على أهله وماله إذا كف عنا يده ولسانه ، فان ظفرنا به ، ولم يعرض نفسه لغضبنا لم نسفك دمه ، وان نحن قتلنا كان قد كفى مؤونتنا ،

ثم وجه أبو حمزة بلج بن عقبة الأزدى ، وابرهة بن الصباح الحضرمى إلى الشام ، فى سبعمائة من الرجال ، فلقيهم فى الطريق بوادى القرى عبد الملك بن عطية رسول مروان بن محمد فى أربعة عشر ألفاً ، فيهم خمسة آلاف فارس ، وهزمهم بلج بن عقبة ، ودارت بهم دائرته الثائرة الغضبى ، وقتل منهم الكثير والكثير جدا . فصاح ابن عطية فى أصحابه : ياأهل الشام .. ياأهل الحفاظ .. ياأهل النصرة والنجدة .. ياأهل القتال والنزال ، هلموا واثبتوا .. فعطف القوم على بلج وابرهة .. وتكاثروا عليهما — وهم كثير — فقتل بلج ومن شاء الله من أصحابه . .

وتوجه عبد الملك بن عطية بعد ذلك إلى اليمن يريد الإمام عبد الله بن يحيى فقاتلهم وقاتل حتى قتل ! !

وفى موسوعة « العصور القديمة » — التى ألفها العلامة البريطانى المستر « جيمس هنرى » — :

إن عبد الواحد بن سليمان كتب إلى مروان بن محمد يعتذر من عدم قدرته واستطاعته على اخراج المختار من مكة ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر — عامله على المدينة — يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة لقتال أبى حمزة المختار الاباضى ،

وتجمعت هناك وحدات عارمة من الجيش الأموى فى أكثر من ثلاثة عشر ألف مقاتل من أهل المدينة ، ولما بلغ أبا حمزة اقبال أهل المدينة عليه استخلف على مكة ابراهيم بن الصباح وشخص هو اليهم فى جيش يتقدمه بلج بن عقبة ، فلما كان فى الليلة التى وافاهم فى صبيحتها ، وأهل المدينة هناك بقديد . . قال لاصحابه : انكم لا قون القوم غدا ، وقد وضح الصبح لذى عينين ، فأكثروا ذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، ووطنوا أنفسكم على الصبر ، ..ومع الصباح غداة السابع من صفر سنة مائة وثلاثين أرسل إليهم أبو حمزة بلج بن عقبة فى ثلاثين راكباً وسطا معاصح ـ ،فذكرهم الله وسألهم أن يكفوا عنهم، وقال لهم: خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم ، وجار فى الحكم عليكم ، ولا تجعلوا لقاءنا بكم ، ولا آخر شوطنا عندكم ومعكم ، فانا لا نريد قتالكم أبدا ، وكيف نقاتلكم وأنتم جيرة رسول الله ، وفيكم أهل بيته ؟

فشتمهم أهل المدينة ، وتعدوا عليهم ، وقالوا : لن تمكنكم مما تريدون .. ياأعداء الله . أنحن نخليكم تدخلون الديار ، وندعكم تفسدون فى الأرض ، وتعيثون فيها الفساد ؟

فرد أصحاب حمزة المختار وقالوا لهم : ومن هم أعداء الله يا أعداء الله ؟

أنحن نفسد فى الأرض ؟ كلا .. ثم كلا . وكلا ... إننا خرجنا مجاهدين فى سبيل الله ، لنقضى على الفساد ، ونغل أيدى المفسدين ، ونقاتل من قاتلنا ، واستأثر بالفيء وأكله وحده غنيمة باردة . وتلصص عليه من وراء ظهور

المسلمين . فراعوا الله فى سلوكم ، وانظروا بعين واعية وقلوب باصرة إلى مافيه خير الإسلام والمسلمين .

الخطاب الثانى :

ودارت المعركة التى انتصرت فيها جيوش الحق ، وتقدم الاباضية الخوارج فى مسيرتهم صوب المدينة المنورة .

ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام.. ورقى أبو حمزة المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ياأهل المدينة.. سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ، وأنتم — لعمر الله — فيهم القول ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام ، والفرج الحرام ؟ فقلتم : نعم...فقلنا لكم: تعالوا — نحن وأنتم — فناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم... فقلتم : لا نفعلوا.. فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نلقاهم ، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه ؛ وإن نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسم فيئكم بينكم ، فان أبيتم وقاتلتمونا دونهم فقاتلناكم ، فأبعدكم الله وأسحقكم !

يا أهل المدينة.. مررت بكم فى أزمان الاحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم ، فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم ، فكتب بوضعه عنكم فزاد الغنى غنى ، وزاد الفقير فقرا ، فقلتم : جزاه الله خيرا ، .. فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم .

أتعلمون ياأهل المدينة.. أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ، ولا بطراً ، ولا عبثاً ، ولا لهواً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه . ولا لثأر قديم نيل منا ، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد أطفئت ، وعنف القائل بالحق ، وقتل القائم بالقسط ، ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمان، وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله ، « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض، فأقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد، وعليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون ، مستضعفون في الأرض ، فآوانا الله . وأيدنا بنصره ، وأصبحنا — والله — بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد، فدعوناهم إلى طاعة الرحمان ، وحكم القرآن ، ودعوتمونا إلى طاعة الشيطان ، وحكم مروان ،وآل مروان ، وشتان — لعمر الله — ما بين الغي والرشد ... ثم أقبلوا يهرعون ويزفون ، وقد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلت بدمائهم مراجله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند وحسام، فدارت رحانا ، واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون.

وأنتم يا أهل المدينة..إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، ويشف صدور قوم مؤمنين .

يا أهل المدينة . . إن أولكم خير أول ، وآخركم شر آخر .

يا أهل المدينة . .الناس منا . ونحن منهم، إلا مشركا عابد وثن . أو كافراً من أهل الكتاب . أو اماما جائرا .

يا أهل المدينة.. من زعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها . أو سألها عما لم يؤتها ،فهو لله عدو، ولنا حرب .

يا أهل المدينة.. أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوى — على حبه — للضعيف ، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد . فأخذ جميعها لنفسه ، مكابراً محارباً لربه ، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله ؟

يا أهل المدينة.. بلغني أنكم تنتقصون أصحابي وتعيبونهم وقلتم : هم شباب أحداث ، وأعراب حفاة ، ويحكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابا أحداثا ؟ شبابا والله مكتهلون في شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا أنفسا تموت غداً بأنفس لا تموت أبداً ، قد خلطوا كلالهم بكلالهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفا من النار ، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة ، فلما نظروا إلى السيوف وقد انتضيت ، وإلى الرماح وقد أشرعت ، وإلى السهام وقد فوقت ، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت ، استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ، ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب .

فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله !

وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجداً في محراب الله !

أقول قولي هذا ، واستغفر الله من تقصيرنا ، « وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

وقال — أيضا — صاحب الأغاني عن أبي علقمة : سمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل المدينة.. مالي رأيت رسم الدين فيكم باقيا ، وآثاره دارسة ؟ لا تقبلون

عليه عظة ، ولا تفقهون من أهله حجة ، قد بليت فيكم جدته ، وانطمست عليكم سنته ، ترون معروفه منكراً ، والمنكر من غيره معروفا.. إذا انكشفت لكم العبر ، وأوضحت لكم النذر ، وعميت عنها أبصاركم ، وصمت عنها أسماعكم ، ساهين فى غمرة ، لاهين فى غفلة ، تنبسط قلوبكم للباطل إذا لشر ، وتنقبض عن الحق إذا ذكر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجهل ، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفوراً ، تحملون منها فى صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة ، ولم تلن لكتاب الله الذى لو أنزل على جبل لرأيتموه خاشعاً متصدعا من خشية الله !

يا أهل المدينة.. ما تغنى عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم ، إن الله قد جعل لكل شيء غالبا يقاد له ، ويطيع أمره ، وجعـــل القلوب غالبة ، فاذا مالت القلوب ميلا . كانت الأبدان لها بتعاون القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها ، ولا يصححها إلا المعرفة بالله ، وقوة النية ، ونفاذ البصيرة ، ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم ..

يا أهل المدينة .. داركم دار الهجرة ، ومثوى رسول الله ﷺ ، لما نبت به داره ، وضاق به قراره ، وآذاه الأعداء ، وتجهم له الخبثاء ، فهاجر إلى قوم — لعمرى — لم يكونوا أمثالكم ، متوازرين مع الحق على الباطل ، محتارين للاجل على العاجل ، يصبرون للضراء رجاء ثوابها ، نصروا الله ، وجاهدوا فى سبيله ، وآووا رسول الله ﷺ ، وآزروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة .. قال الله تعالى لأمثالهم — ولمن يهتدى بهداهم — : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وأنتم أبناؤهم ومن بقى من خلفهم ، تتركون أن نقتدوا بهم ، وتأخذوا بسنتهم ؟ عمى القلوب، صم الآذان ، اتبعتم الهوى ، فأردا كم عن الهدى ، وأسها كم،

فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا ، ولا تعظكم فتعتبروا ، ولا توقظكم فتستيقظوا ، لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ، ما سرتم بسيرتهم ، ولا حفظتم وصيتهم ، ولا احتذيتم مثالهم ، لو شقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف الله العذاب عنكم ؟

وروى أيضا أن أباحمزة بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه لحداثة أسنانهم وخفة أحلامهم ، فصعد المنبر — وعليه كساء غليظ ، وهو متنكب قوسا عربية — فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ وآله، ثم قال : يا أهل المدينة .. قد بلغني مقالتكم في أصحابي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم ، وقلة عقولكم لأحسنت آدابكم، ويحكم: إن رسول الله ﷺ أنزل عليه الكتاب ، وبين له فيه السنن، وشرع له فيه الشرائع، وأوضح له فيه ما يأتي وما يذر ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يحجم إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه . . . ، وقد أدى الذي عليه ، لم يدعكم من أمركم في شبهة ، ثم من بعده أبو بكر ، فأخذ بسنته ، وقاتل أهل الردة ، وشمر في أمر الله حتى قبضه الله إليه ، وأبناء الأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرته .

ثم ولي بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه ، وجند الأجناد ، ومصر الأمصار ، وجاء الفيء ، فقسمه بين أهله ، وشمر عن ساقه ، وحسر عن ذراعه ، وضرب في الخمر ثمانين ، وقام في شهر رمضان ، وغزا العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه . وأهل الأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته .

ثم ولي من بعده عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه ، ثم أحدث

أحداثا أبطل آخر منها أولا ، واضطرب حبل الدين بعدها ، فطلبها كل امرىء لنفسه ، وأصر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه .. حتى مضوا على ذلك .

ثم ولى معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ ، وابن لعينه ، وحلف من الأعراب ، وبقية من الأحزاب — مؤلف طليق — فسفك الدم الحرام ، واتخذ عباد الله خولا ، ومال الله دولا ، وبغى دينه عوجا ودغلا ، وأحل الحرام ، وعمل بما يشتهيه .

قال فى العقد الفريد : ولما دخل معاوية مكة أراد أن يلعن عليا على المنبر ، فأنكر ذلك سعد بن أبي وقاص ، ولما مات سعد لعن معاوية على بن أبي طالب على المنبر ، وكتب إلى عماله أن يلعنوه .

وروى ابن الأثير وغيره من الثقات عن الحسن البصرى قال : أربع خصال كن فى معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذوا الفضيلة ، واستخلافه بعده إبنه يزيد سكيراً خميراً ، يلبس الحرير بالطنابير . وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » وقتله حجر بن عدى وأصحاب حجر . وهم خلق كثير . .

فيا ويلا له من حجر ! ، ويا ويلاه من حجر وأصحابه !

وقد ثبت أن معاوية رأس الفئة الباغية ، التى قتلت عماراً — كما فى البخارى وغيره — ولقد جعله النبى ﷺ من المؤلفة يوم هوازن ، وأنه من الذين أسلموا يوم الفتح فصيرهم النبى ﷺ من الطلقاء ، وأنه جاء يقود أباه فلما رآهما رسول الله ﷺ

لعنهما.. وصارحه بشيء من هذا أبو قتادة الأنصاري، والإمام علي بن أبي طالب شهيد الحق والواجب... كما في ابن الأثير، والطبري، وغيرهما.

وقال صاحب الأغاني — يحكي خطبة أبي حمزة — :

ثم ولي معاوية بعده ابنه يزيد، يزيد الخمور، يزيد الصقور، يزيد الفهود، يزيد الصيود، يزيد القرود، فخالف القرآن. واتبع الكهان، ونادم القردة، وعمل بما يشتهيه، حتى مضى على ذلك.

قال: ثم ولي مروان بن الحكم طريد ولعين رسول الله ﷺ وآله، وابن لعينه.

ثم تداولها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله ﷺ وآله، وقوم من الطلقاء، ليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين لهم باحسان.. فأكلوا مال الله أكلا، ولعبوا بدين الله لعبا، واتخذوا عباد الله عبيداً، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر..

فيا لها أمة ما أضيعها وأضعفها!

ثم مضوا على ذلك من أعمالهم، واستخفافهم بكتاب الله تعالى، وقد نبذوه وراء ظهورهم، وتحكموا في عباد الله.. وأذكر قتل عبد الله بن الزبير، وقتل سعيد بن جبير، وقتل عدد من المهاجرين والأنصار على يد عبد الملك، والحجاج، وما يصنعه الوليد، ويزيد، مما أجمع على إنكاره المؤرخون.

وانظر أيها القبيح: قول أبي حمزة وفعله؟ أم قول أولئك وأفعالهم؟ أم ترى أن قتل الحسين بن علي هين عند الله؟ ومعاوية هو الذي استخلف يزيد قاتل الحسين كما أنه هو نفسه الذي قتل الحسن أيضا بالسم! يالها من مهزلة مروعة قام بها بنو

معاوية على مسرح الحياة ، ومع من ؟ مع آل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه !!

قال : وقد ولى منهم عمر بن عبد العزيز ، فبلغ ، ولم يكد ، وعجز عن الذى أظهره من الحق والعدل ، حتى مضى لسبيله راضيا مرضيا !! ..

قال : ثم ولى يزيد بن عبد الملك وهو غلام ضعيف سفيه ، غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده ، ولم يؤانس رشده ، وقد قال الله عز وجل : « فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » .. ولاشك أن أمر أمة محمد فى أحكامها ، ودمائها ، أعظم من ذلك كله ، وإن كان ذلك عند الله عظيما ، فهو يشرب الحمرام ، ويأكل الحرام ، ويلبس الحرام ، يلبس بردتين قد حيكتا له ، وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر ، قد أخذت من غير حلها ، وصرفت فى غير وجهها ، بعد أن ضربت فيها الأبشار ، وحلقت فيها الأشعار ، واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ، ولا لنبى مرسل ، ثم يجلس وحجابة ، وسلامة عن شماله ويمينه تغنيانه بمزامير الشيطان ، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها ، حتى إذا أخذت مأخذها فيه ، وخالطت روحه ، ولحمه ودمه ، وغلبت سورتها على عقله ، مزق حلتيه ، ثم التفت إلى مغنيتيه وقال — ويالسوء ما قال — أتأذنان لى أن أطير ؟ نعم . فطر إلى النار أيها المعتوه ، وإلى لعنة الله أيها المفتون .. حيث لا يردك الله !

ثم ذكر بنى أمية ، وأعمالهم ، وسيرهم ، فقال : أصابوا إمرة ضائعة ، وقوما طغاما جهالا ، لا يقومون بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أربابا لهم ، فملكوا الأمر ، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطش الجبابرة ، يحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويأخذون بالظن ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويؤمنون الخونة ، ويقصون ذوى

الأمانة ، ويأخذون الصدقة على غير فرضها ، ويضعونها فى غير موضعها .

فتلك هى الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله!!

تلك هى الفرقة التى ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ، أهلها وأتباعها لا يرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن ، ولا عقل بالغ فى الفقه ، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب ، قد قلدوا أمرهم أهواءهم ، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه ، فى جميع ما يقوله لهم — غيا كان ، أو رشداً ، أو ضلالة أو هدى — ينتظرون القول فى رجعة الموتى ، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم ما فى داخل بيته ، بل لا يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه ، ينقمون المعاصى على أهلها ، ويعملون إذا ظهروا بها ، ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة فى الدين ، قليلة عقولهم ، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة ، وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟

فأى هؤلاء الفرق يا أهل المدينة تتبعون ؟ وبأى مذاهبهم تقتدون ؟ وقد بلغنى مقالتكم فى أصحابى ، وما عبتموه من حداثة أسنانهم ...

ويحكم .. وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله المذكورون فى الخير إلا أحداثا شبابا؟ والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، قد نظر الله إليهم فى جوف الليل ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقا ، وكلما مر بآية من عذاب الله شهق خوفا ، كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض جباههم وركبهم ، وصلوا كلال الليل بكلال النهار ، مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من طول القيام ، وكثرة الصيام ، أنضاء عبادة ، موفون بعهد الله ، منتجزون لوعد الله ، قد شروا أنفسهم ، حتى إذا ألقت السكينتان ، وأبرقت سيوفها ، وفوقت

سهامها ، وأشرعت رماحها ، لقوا شبا الأسنة ، وشائك السهام ، وظباء السيوف بنحورهم ، ووجوههم ، وصدورهم ، فمنى الشاب منهم حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وانحطت عليه الطير من السماء ، وتمزقته سباع الأرض ، فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بها صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ! وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد ، وضربات العدو فى سبيل الله ...!

ثم بكى وقال : آه آه على فراق الإخوان ! رحمة الله على تلك الأبدان ! رضى الله عنهم وأدخلهم دار الجنان !!

وفى العقد الفريد ـ من رواية الامام مالك بن أنس ـ قال : خطبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر . ومن لم يتثبت فى مذهبه رجع إلى مذهب أبى حمزة . قال أبو حمزة :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، وصلة الرحم وتعظيم ما صغرت الجبابرة من حق الله ، وتصغير ما عظمت من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ، ويعصى العباد فى طاعته ، فالطاعة لله ، ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل فى الرعية ، ووضع الأخماس فى مواضعها ، التى أمر الله بها .

إنا والله ما خرجنا أشرا ، ولا بطرا . ولا لهوا ، ولا لعبا ، ولا لدولة ملك ، نريد أن نخوض فيها . ولا لثأر قد نيل منا . ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت . ومعالم الجور قد ظهرت . وكثر الادعاء فى الدين . وعمل بالهوى . وعطلت الأحكام . وقتل القائم بالقسط . وعنف القائل بالحق . وسمعنا مناديا ينادى إلى الإيمان . وإلى

طريق مستقيم ، أجبنا داعى الله وآمنا به ، وأقبلنا من قبائل شتى ، وتجمعنا من كل فوج .. قليلين مستضعفين فى الارض ، فآوانا الله ، وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا .

ياأهل المدينة ... أو لكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، إنكم أطعتم قراءكم، وفقهاءكم ، فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

يا أهل المدينة . . . يا أبناء المهاجرين والانصار ، ما أصبح أصلكم ، وأسقم فرعكم ، كان آباؤكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين والبصائر النافذة والقلوب الواعية ، وأنتم أهل الضلالة والجهالة ، استعبدتكم الدنيا ، فأذلتكم ، والأمانى فأضلتكم ، فتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه ، سراعا إلى الفتنة ، بطاءا عن السنة ، عميا عن البرهان ، صما عن العرفان ، عبيد الطمع ، حلفاء الجشع ..

نعم . ما ورثكم آباؤكم — لو حفظتموه — وبئسما تورثون أبناءكم — إن تمسكوا به ، نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ، كان عدد آبائكم قليلا طيباً ، وعددكم كثيرا خبيثا ، اتبعتم الهوى فأرداكم ، واللهو فأسهاكم ، ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدجرون ، وتعبركم فلا تعتبرون..

سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ، فقلتم : والله ما فيهم الذى يعلم ، أخذوا المال من غير حله فوضعوه فى غير حقه ، وجاروا فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله، واستأثروا بفيئنا فجعلوه دولة بين الاغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا فى مهور النساء وفروج الإماء ، وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا ، وظلموكم ، وجاروا فى الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله . . فقلتم : لا نقوى

على ذلك ، ووددنا أنا أصبنا من يكفينا ، فقلنا : نحن نكفيكم ، ثم الله راع علينا إن ظفرنا لنعطين كل ذى حق حقه ، وجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم ، وقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ، فوالله لو قلتم : لا نعرف الذى تقول ولا نعلمه ، لكان أعذر ، مع أنه لاعذر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن ينطق بالحق على ألسنتكم ، ويأخذكم به فى الآخرة .

الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما بغير ما أنزل الله ، أو متبعاً له ، أو راضيا بعمله

وقال — أيضا — أما بعد : فإنك أيها المستمع فى ناشىء فتنة . وقائد ضلالة ، قد طال جثومها ، واشتدت عليك غمومها ، وتلوثت مصائد عدو الله وما نصب من الشرك لأهل الغفلة ، عمى فى عواقبها فلن يهد عمودها . ولن ينزع أوتادها إلا الذى بيده ملك الاشياء وهو الرحمن الرحيم .

ألا .. وان لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمها . ولم يشايعوا أهلها على شبهها ، مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق . ركبوا منهج السبيل . وقاموا على العلم الأعظم .. هم خصماء الشيطان الرجيم . يصلح الله بهم البلاد ويدفع عن العباد ، طوبى لهم وللمستصبحين بنورهم . وأسأل الله أن يجعلنا منهم أنه سميع مجيب الدعاء .

قال صاحب الأغانى : ثم خرج أبو حمزة وخلف بالمدينة بعض أصحابه ، فسار حتى نزل الوادى . وكان مروان قد بعث ابن عطية — قائد جيوشه فى مكة والمدينة — فى جيش ضخم لملاقاته . وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة لملاقاة جيش ابن عطية

وقتل بلج وأكثر أصحابه . ولم ينج منهم إلا ثلاثون رجلا فقط رجعوا إلى أبي حمزة .. وقد نصب ابن عطية رأس بلج على رمح !!

واغتم الثلاثون الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة . وجزعوا من انهزامهم وقالوا : فررنا من الزحف ، فواويلتاه ! فقال لهم أبو حمزة: لا تجزعوا فأنا لكم فئة ، وإلى انصرفتم ..

وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة ، واستخلف «المفضل» عليها .. وخطب أهل المدينة وودعهم .. وكان فيما قال :

يا أهل المدينة : انا خارجون لحرب مروان ، فإن نظهر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ، ونقسم بينكم . وان يكن ما تمنون لنا، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون !!

وأقام ابن عطية بالمدينة شهرا وأبو حمزة مقيم بمكة...وناتبه على بن حصين العنبري — وهو من أخلص أصفيائه — وقال له : انى كنت قد أشرت عليك يوم «قديد» — وقبله — أن تقتل هؤلاء الأسراء فلم تفعل، وعرفتك أنهم سيغدرون بك وأنت لا تبالي بهم حتى قتلوا ، بلجا ، وأصحابنا المقيمين بالمدينة .. وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء الغادرين الفجرة ، ولو قدم ابن عطية لكانوا أشد عليك منه .. فقال أبو حمزة : لا أرى ذلك، لأنهم قد دخلوا في الطاعة ، وأقروا بالحكم، ووجب لهم حق الولاية .

قال ابن حصين : انهم سيغدرون بك .. فقال أبو حمزة : ابعدهم الله ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه » .

وقدم عبد الملك إلى مكة فصير اجناده فرقتين .. فرقة بالأبطح .. والفرقة الاخرى بازاء أبي حمزة وتحت قيادته هو ، وصار أبو حمزة أسفل مكة ، وصير

قائد رجاله « ابرهة بن الصباح » فى الأبطح حيث قتله «هبار القرشى» فى كمين على جبل دمشق عند بئر ميمون .

أما أبو حمزة ، فلقد التقى وابن عطية بأسفل مكة فى معركة ضارية خشنة . وخرج أهل مكة جميعا مع ابن عطية ، فى مواجهة أبى حمزة . . حيث قتل أبو حمزة على « فم الشعب » ، وقتلت معه امرأته وهى ترتجز وتقول :

أنا الجعيـداء وبنت الأعـلم من سأل عن اسمى فإسمى مريم

بعت سوارى بسيف مخذم

وتفرقت الخوارج الأباضية ، وتتبعهم ابن عطية وقتلهم جميعا ، وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح على فم شعب الخيف ، ودخل ابن حصين دارا من دور قريش ، فأحدق أهل الشام بالدار وأحرقوها .. فلما رأى ابن الحصين ذلك رمى بنفسه من فوق سطح الدار ، وقاتلهم حتى أسر وقتل ، وصلب مع أبى حمزة وصاحبه ، ولم يزالوا مصلوبين معلقين على الأعواد تعتورهم الرياح وحتى أفضى الأمر إلى بنى العباس ، وحج « مهلهل الهجيمى » فى خلافة أبى العباس فأنزل أبا حمزة ليلا ودفنه وفعل كذلك بأصحابه .

وهكذا يلاقى الأحرار من الصعاب والنكال ماتنوء به راسيات الجبال .

والمشقة والمحنة والعذاب والنكال والقتل ،كل ذلك أول خطوة فى طريق المجد والخلود وهو أول بند فى قاموس التضحية ، وأول باب يفتح على دنيا الأحرار الابرار ممن اصطفاهم الله لإصلاح هذه الحياة .

النبع الذى فاض :

أما عن خلفيات المذهب ، فلقد رفع هذا المذهب الأباضى الشيخ أبو الحسن على ابن محمد البسيانوى ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، وسعيد بن عبد الله بن

محمد بن محبوب ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن بشير وعبد الله ابنى محمد بن محبوب ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، وسعيد بن عزز والوضاح بن عقبة ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن موسى بن على ، وهاشم بن غيلان ، ومحمد بن محبوب ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن موسو بن أبى جابر ، ومنير بن النير ، وسليمان بن عثمان ، ومحبوب بن الرحيل البصرى ، وخلف بن زياد البحرانى ، وشبيب بن عطية العمانى ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن الجلند بن مسعود العمانى ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسو ، وجعفر بن السمان ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن المختار بن عوف العمانى ، وعبد الله بن يحيى الحضرمى ، وعلى بن الحصين ، وهلال ابن عطية الخراسانى ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة البصرى ، وفروة بن نوفل ، ووداع بن حوثرة ، ومن بعصرهم من المسلمين ، عن عبد الله بن أباض ، وعروة والمرداس ابنى حدير ، ومن بعصرهم من المسلمين ، عن أبى الشعثاء جابر بن زيد ، وعبد الله بن وهب الراسبى ، وزيد بن صوحان العبدى ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن عبد الله بن العباس ، وخزيمة بن ثابت ، ومحمد وعبد الله إبنى بديل ابن ورقاء الخزاعى ، وعمار بن ياسر ، وبلال ، وصهيب وسالم مولى أبى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وأبى ذر ، وعائشة أم المؤمنين ، والخليفتين أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين ، عن النبى ﷺ ، عن جبريل الأمين ، عن رب العالمين .

مع أهل عمان :

إن مذهب أهل عمان متسلسل من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بنقلة ثقات وأئمة هداة وعلماء أثبات ، اشتهر مقامهم بين رجالات الإسلام ، وعرف منهاجهم بين قادة الأنام .

إن مذهب أهل عمان تناقله فطاحل الرجال الذين هم فى الدين أسهر من نار

على علم ، وأول ناقل له مازن بن عضوبة السعدى ، وهو معروف فى التاريخ العمانى ، فهو صحابى عمانى ، ثم كعب بن برشـــة الطاحى أو العودى الصحابى ، ثم صحار بن العباس العبدى العمانى الصحابى الثالث ، ثم أبو شداد العمانى الصحابى الرابع .

هؤلاء الأشياخ الأجلاء والهداة الأدلاء ، والعمالقة الأولون هم الذين حملوا إلى عمان الدين الإسلامى ، وعلموا أهل عمان أصوله ، وفروعه ، وواجباته ، ولوازمه ، ومقتضياته ، وتفقه أهل عمان منهم قبل كل أحد ، وبعد ذلك انتشر الإسلام فى عمان انتشار ضياء الشمس بعد الظلام ، حتى عم عمان أولها وآخرها ، ولقد رسخ رجالها الأبطال وعلماؤها الفطاحل كالإمام أبى الشعثاء ، والإمام الربيع بن حبيب راوى المسند الصحيح ، وضمام بن السائب الندبى العمانى ، وجملة من أهل العلم العمانيين ، ومنهم السبعون راكباً الذين خرجوا مع عبد بن الجلندى إلى المدينة المنورة .

عن.. من .. نقلوا؟

ومن نقلة العلم من أهل عمان إلى عمان ، وإلى العراق ، كثيرون لا يحصون عدداً إلا أن طبقاتهم متفاوتة ، أما عمن نقلوا ؟ فقد نقلوا عن النبى ﷺ ، ونقلوا عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بن أبى طالب ، ونقلوا عن عائشة أم المؤمنين السيدة المصونة التى تحوى شطر الدين عن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، ونقلوا أيضاً عن العبادلة الثلاثة ، وهم عبد الله بن العباس حبر الأمة وبحرها الزخار ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ، ونقلوا أيضاً عن أنس ابن مالك وأبى هريرة راوية الدين ، وعن أبى سعيد الخدرى ، وعن عبد الرحمن ابن عوف أيضا كذلك ، وعن عمار بن ياسر ، وعن عبد الله بن مسعود حضيرة الفقه ، وعن أبى ذر ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وسلمان الفارسى ، وصهيب إمام الشورى ، وزيد بن صوحان المقتول

شهيداً يوم الجمل ، ونقلوا أيضاً عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، وعن محمد وعبد الله ابنى بديل ، وحرقوص بن زهير السعدى أحد المشهود لهم بالجنة ، وعن زيد حصن الطائى الذى نعته السيدة عائشة والمقتول فى النهروان .

هؤلاء هم علماء الصحابة ، وسادة أمة الإجابة ، رحمهم الله ، ورضى عنهم وللاباضية مصادر أخرى كثيرة ، فلقد أخذوا أيضاً عن كثير من رجال العلم وأعمدة الحق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن أنكر المنكر على أهله ، وممن شهد يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين ، وممن شهد النهروان مع المسلمين ، وممن لم يشهد هذه المشاهد ممن مات على دينهم ، ومن مات قبل اختلاف الأمة ، فهم الأئمة والأولياء ، رحمهم الله ، لا ينكر فضلهم ولا يجهل شرفهم .. . وهم أهل الطبقة الأولى .

ثم من بعدهم الطبقة الثانية وهم : عبد الله بن وهب الراسبى وأصحابه الذين جاهدوا معه يوم النهروان حتى استشهدوا رحمهم الله على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ثم أهل الطبقة الثالثة وهم : فروة بن نوفل الأشجعى ، ووداع بن حوثرة الأسدى ومن كان معهما يوم النخيلة رحمهم الله .

ثم أهل الطبقة الرابعة ، وهم : قريب ، والزحاف وأصحابهما الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، ذكرهم الإمام أبو إسحاق الحضرمى .

ثم أهل الطبقة الخامسة وهم : المرادس بن حدير ، وأخوه عروة ومن معهما وهم الأربعون الذين شاع ذكرهم فى عالم الإسلام بكل فضل فى الدين ، ومن باعوا نفوسهم لله حتى سالت أنفسهم على الحق .

ثم الطبقة السادسة وهم : عبد الله بن أباض ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وصحار بن العباس العبد ، وجعفر بن السماك ، وحتات بن كاتب ، وأبو عبيدة الضرير وهو أبو عبيدة الكبير العالم النحرير ، وأبو نوح صالح بن نوح الدهان .

ثم الطبقة السابعة وهم : عبد الله بن يحيى الكندى المعروف بطالب الحق إمام أهل اليمن ومن معه من الرجال، كالمختار بن عوف المعروف بأبى حمزة أحد أبطال العلم ، وأقيال السنان ، وأبو الحر على بن الحصين ، ومن استشهد معهم فى جهاد أهل البغى رحمهم الله .

ثم الطبقة الثامنة وهم: ابن حبيب بن عمرو الفراهيدى البصرى ، وضمام بن السائب الندبى ، وأبو منصور الخراسانى ومن معهم فى أيامهم .

ثم الطبقة التاسعة وهم : الجلندى بن مسعود الإمام ، وأبو الخطاب إمام أهل المغرب ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسى ، ومن كان فى طبقتهم وهم أفاضل الأمة فى زمانهم .

ثم الطبقة العاشرة وهم : محبوب بن الرحيل ، وهاشم بن عبد الله الخراسانى، وموسى بن أبى جابر ، وبشير بن المنذر ، ومنير بن النير الجعلانى ، وهشام بن المهاجر ، وعبد الله بن أبى قيس ، وسعيد بن المهنئ ، وعلى بن عزرة ، وهاشم ابن غيلان ، وسليمان بن عثمان ، وعبد المقتدر بن الحكم ومحمد بن هاشم بن غيلان ، وموسى بن على ، وسعيد بن محرز ، والوضاح ابن عقبة وأضرابهم ، فهؤلاء الأئمة الأجلاء والأساطين الفخام هم مقدمة رجال الأباضية الذين يأخذ بعضهم عن بعض من معاصريهم وغيرهم ، ذكرناهم لا على الترتيب الزمنى كما ينبغى ، لأن هذا يحتاج إلى فراغ واسع يأتى على ذكر منازلهم العلمية ، وطبقاتهم الزمنية وأسمائهم القبائلية ، وأعمالهم الفقهية ومؤلفاتهم الثمينة التى يحق لها أن تكتب بماء الذهب على وجنات الحور ، فقد قاموا رحمهم الله ورضى عنهم مقاماً يحق له الإكبار ، وجاهدوا واجتهدوا فى حق دين الله عز وجل ، وأدوا واجبهم حتى انقضت أيامهم ، وجاء من بعدهم من أقاموا منار الدين ، وكشفوا عن منهج سيد المرسلين ، وابتلوا بالأمة حينا من الدهر ،

هذا والله يجزيهم رضاه ويهديهم إليه سبيلا ، إذ ما من قرن إلا ولأهل عمان فيه أبطال عديدون ، وفقهاء كثيرون ، وعلماء عمان هم فقهاء الشريعة ، لم يتخصص منهم أحد فى غير الفقه ، وإن نال بعضهم من غير الفقه أيضا .. ، وقد اشتهر بالطب منهم جماعة كمحمد بن هاشم الطبيب الرستاقى المشهور ، وهو صاحب لامية الطب ، وإن كان لبعضهم فى الطب أياد إلا أنها بالمعنى المعروف عند العرب ولهم فى الطب النبوى نصيب ، لأنه شرعى ، فهم فى علوم الشريعة الرعيل الأول ، ومن بعدهم غيرهم من علماء الأمة ، فهم رواة الحديث ولهم فيه السبق على غيرهم فإن الإمام الربيع بن حبيب أول من ألف فيه المسند الشهير بالجامع ، إذ جمع فيه أمهات الأحكام من جوامع كلمه عليه الصلاة السلام ، وعليه بنى المسلمون قواعد مذهبهم الصحيح ، ولم يذكره المؤرخون لعدم إطلاعهم عليه ، فانه لم ينشر وبالأخص لم يطبع ، فانظر ما يقوله العلامة التنوخى فيه ، ولهم فى علوب الأدب المقام الأكبر بالخليل بن أحمد الفراهيدى ، وابن دريد وأضرابهم ! وفى التاريخ كذلك ، وفى سائر العلوم والمعارف الإنسانية لهم اليد البيضاء الطولى .

ذرية بعضها من بعض :

وإذا أردنا أن نذكر علماء عمان فى كل قرن .. أعنى مشاهيرهم الأجلاء ، فالإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، وأبو عبيدة ومن معهم ، فهم علماء القرن الأول للهجرة ، ولا يرد علينا أن هؤلاء بصريون ، بل نقول : هم عمانيون بغير شك ، وإن أقاموا بالبصرة ، فقد صارت البصرة عمانية بكل معنى الكلمة ، إذ كان علماؤها هؤلاء ، وهم عمانيون ، وأميرها المهلب بن أبى صفرة وهو عمانى بغير شك ، فهى عمانية به وبقومه الأزد من أهل عمان .

أما علماء القرن الثانى ، فهؤلاء وآخرون جاءوا من بعدهم ، فان الإمام الجلندى

ابن مسعود رحمهما الله في أول علماء القرن الثاني. قال المؤرخ أبو الحسن البسياني : وكان في أيام الإمام الجلندى حاجب ، والربيع بن حبيب بالعراق ، وعبد الله بن القاسم وهلال بن عطية الخرساني، وخلف بن زياد البحراني، وموسى بن أبي جابر الأزكاني ، وبشـــير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلاني .

ومنهم أيضا، أبو صالح الوضاح بن عقبة ، ويحيى بن نجيح ، وكلهم عالم فقيه وأئمة هدى ، بل كاد أن يكون أيام الإمام الجلندى كل أهل عمان علماء ، أو قل على الأقل أهل ذلك القرن .

ومن علماء القـــرن الثاني أيضاً : شبيب بن عطية العماني الذي قام بالأمر احتسابا ، وكان من مشاهير أصحاب الامام الجلندى رحمهم الله ، وعبد الوهاب ابن جيفر ، ومحمد بن عبد الله بن حماس ، وأبو جعفر سعيد بن محمد ، وسعيد بن محرز ، ومحمد بن محبوب الرحيلي القرشي ، ومحمد بن هاشم .

وقد سبق ذكر أبيه هاشم بن غيلان ، والأشعث بن محمد ، ومحمد بن المعلى الكندي ، ومحمد بن عبد الله زميل الشيخ موسى بن علي ، وعبد الله بن محمد بن روح ، ووائل بن أيوب ، والصلت بن خميس المعروف بأبي المؤثر البهلوي وهو خروصي النسب .

وأما علماء القرن الثالث فهم : هؤلاء المذكورون ومن التحق بهم ، وهم زياد بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر ، والحكم بن بشير ، والأزهر بن علي، وعلي ابن عزرة ، وجعفر بن زيادة ، وعبد الله بن أبي قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورابس بن يزيد ، وأبو مالك بن هزبر ، والأشعث بن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وعمر بن الأخلس الذي صـــلى بالناس الجمعة وغيرهم وغيرهم أكثر من أن يحصى أو يستقصى .

وعموما :

وبالجملة فإنا إذا ذهبنا إلى ذكر علماء عمان فى كل قرن يضيق بنا الوقت ، فهؤلاء العلماء المعدودون ، وأولهم زياد بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر ، والحكم بن بشير ، إلى غدانة بن محمد ، وهم إلى عهد الإمام الصلت بن مالك ، والإمام الصلت المذكور كان قد بويع له بالإمامة لستة عشر خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فهو فى صدر القرن الثالث ، وكان العلماء المشاهير الذين لهم فى الأمة الحل والعقد ، والابرام والنقض لا يحصون عدداً ، ثم طال عهد الصلت بن مالك ، إذ عاش فى الإمامة إلى سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، فكانت إمامته خمساً وثلاثين سنة ، نشط فيها العلم ، وقوى سوقه ، وطالت أغصانه ، وأثمرت أيام الصلت بن مالك الثمر الحلو فى عمان ، وانتشر العلماء فيها ، وانتشروا من عمان إلى سائر بقاع العالم ، وساروا فيه كما تنتشر الشمس ، ويسرى الهواء .

فى كل بلد تجد أجلة العلماء ، حتى لقد غصت العواصم العمانية بهم ، وكان سلطان الامامة بالغاً حده ، وعمان فى ذروة الشرف ، وأهلها يتسابقون على العلم ، إذ توالت أيام الامام وازدهر عهدها ، وقامت لهم فى أرجاء عمان كيكبة مشرقة ، وضيئة (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

فلما طال العهد بالأمة ، تجاسروا على الامام الصلت بن مالك حتى صارت أيامهم حديث سمر الناس ، وحيرة أهل الفضل ، ولم يزالوا على ذلك حتى تخلى الصلت رحمه الله عن الأمر تسكيناً لثورة الثائرين ، واخمادا للفتنة وقضاءا على الاضطراب ، وتهدئة للخواطر والمشاعر . .

إمامة .. وأئمة :

إن الإمامة فى عمان فكرة مذهبية خالصة ، أساسها عقيدة دينية ، واختيار

الامام وتنصيبه مردود أمره إلى « أهل الاستقامة » فى الدين ، الذين يتشاورون فيما بينهم ، ويختارون لأنفسهم « إماما » يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر وفق ماجاء فى القرآن الكريم . والسنة النبوية المطهرة ، وأفعال الرسول صلوات الله وسلامه عليه، كما كان يفعل من إجراءات فى اختيار الخليفة . . .

وبالتالى، فإذا اختار المسلمون لهم اماما ، وجبت عليهم - بالضرورة - طاعته، فيما يأمرهم به، وفيما ينهاهم عنه ، فهو لهم الراعى الأمين، وكل راع مسئول عن رعيته، وطاعة الامام واجبة له على رعيته، وفى أعناقهم وذمائهم فى أمور الدنيا . وفى أمور الدين ، واليه ترجع كل الشئون ، وتؤول المهام الجسام ، والتبعات الضخام .. فهو الذى يولى الولاة ، وينصب القضاة ، ويجبى الأموال ، ويقيم الحدود، وفق قواعد الدين .. أداءاً للامانة ، ووفاءا بالعهد ، وقياما بالمسئولية التى ربطها الله فى عنقه ، ووضعها فوق عاتقه ، وائتمارا بأمر الله الذى ألزمه به فى معاملة الناس .

وان المتتبع لحركة الامامة وتاريخها فى عمان، - عبر الكتب والمؤلفات والواقع - يجد أن الامامة قد عاشت حياتها . كما يعيش الأفراد حياتهم ، وان عمر الامامة - تماما - مثل عمر الأفراد، طفولة، ومراهقة وشبابا، وكهولة وهرما، وشيخوخة ..

وهى كالأفراد - أيضاً - بعضها يولد هزيلا مريضا ، وبعضها يولد صحيحا معافى ، تمتد حياته ويطول عمره .. والامامة - كذلك - مثل الأفراد يصيبها داء الفجاءة أحيانا . وأحيانا يدب فيها الفناء تدريجيا ، فتموت عضوا عضوا ، حتى ينتهى أجلها وتنقضى أيامها ، فهذا شأن كل موجود ، ماديا كان ذلك الموجود ، أو معنويا ..

وكما يحدثنا التاريخ، فإن الإمامة شكل من أشكال الخلافة ، أو هى — وفى عمان بالذات — امتداد للخلافة الإسلامية فى عهودها الأولى، منذ الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وأول إمام بويع له فى عمان الإمام الجلندى بن مسعود جيفر بن بن جلندى ، وهو أحد بنى الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الجرار بن عز بن معولة بن شمس — ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم — وكان الجلندى فى جيش الإمام طالب الحق ، فلما قتل الإمام جاء إلى عمان فبايعوه فيها، وكان فى زمانه حاجب ، والربيع بن حبيب فى البصرة ، وكان أبو عبيدة مسلم غير موجود فى ذلك الوقت ، وقد حضر البيعة حملة العلم الأربعة، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقتل سنة أربع وثلاثين ومائة ، كذا قال ابن الأثير: وبقى فى منزلة الامام بعده شهيب بن عطية الأباضى العمانى ، ومحمد بن أبى عفان ، حتى اجتمع المسلمون على تقديم الامام الوارث بن كعب الخروصى ،وهو أول إمام من بنى خروص ، وهم من اليحمد،وذلك فى سنة تسع وسبعين بعد المائة ، وكان القائم بإمامته والبيعة له موسى ابن أبى جابر الأزكوى — أحد حملة العلم إلى عمان — وكانت إمامته ثلاث عشرة سنة رضى الله عنه وأرضاه .

ثم بويع للامام غسان بن عبد الله اليحمدى من الفحج ، بويع له فى اليوم الذى مات فيه الامام الوارث من عام اثنتين وتسعين ومائة ، وكان على رأس العلماء الذين تولوا بيعته العلامة سليمان بن عثمان ،والعلامة مسعدة بن تميم ، وكانت بيعته بنزوى وتوفى سنة سبع ومائتين ، وكانت إمامته حوالى خمس عشرة سنة وبويع بعده للامام عبد الملك بن حميد ، وهو من بنى على بن سودة بن على بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدى، وكانت بيعته بعد موت الامام غسان بيوم واحد،

وكان على رأس العلماء يومئذ موسى بن على بن الحصين الجنبرى ، وتوفى الامام سنة ست وعشرين ومائتين، وكانت بيعته ومونه بنزوى .

ثم بويع للامام مهنا بن جيفر، وهو من اليحمد ، بويع له فى اليوم الذى مات فيه عبد الملك بنزوى ، وعلى رأس العلماء يومئذ موسى بن على المذكور ، وفى زمانه توفى موسى بن على رضى الله عنه لثمان ليال خلون من ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين ، وبويع للامام الصلت بن مالك فى اليوم الذى مات فيه المهنا ، وكان على رأس العلماء بشير بن المنذر أحد حملة العلم إلى عمان ، ومحمد بن محبوب ابن الرحيل القرشى .

وكانت إمامة الصلت خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً ومات ودفن بنزوى، وصلى عليه عزان بن تميم ،قبل أن يكون عزان إماماً، ووقع بعده اضطراب كثير، وافتتاق عريض ، أدى إلى إنقسام أهل عمان إلى نزوانية ورستاقية .

ومازالوا كذلك حتى أمدهم الله بالامام العادل سعيد بن عبد الله بن محبوب وكانت بيعته سنة عشرين وثلاثمائة . وكان على رأس العلماء يومئذ أبو محمد الحوارى بن عثمان ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر ، ومحمد بن زايدة السمائلى .. وقتل شهيداً بعد ثمانى سنوات من إمامته ، وبويع للامام راشد بن الوليد الكندى، وكان على رأس العلماء المبايعين له، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبى المؤثر الخروصى، ولبث فى إمامته حوالى أربع عشرة سنة ، وصارت عمان بأيدى الجبابرة ، فاعتزل الامام دار الخلافة إلى منزله حتى توفاه الله والعلماء موجودون ولم تنقطع الدعوة ، وربما يقدمون إماما ويعاجل بالقتل وهكذا حتى بويع للإمام الخليل بن شاذان بن صلت بن مالك سنة سبع وأربعمائة وكان فى زمانه من العلماء محمد بن المنذى الكندى والحسن بن أحمد شيخ صاحب

كتاب بيان الشرع ، وفى زمانه وزمان الامام راشد بن سعيد زار عمان الامام الشارى إبراهيم بن قيس الحضرمى، وتوفى فى أوائل سنة خمس وعشرين وأربعمائة .

ثم بويع بعده للإمام راشد بن سعيد ، وهو من اليحمد ، بويع له بعد موت الخليل، وبقى فى الامامة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

وكان فى زمانه أبو الحسن البسيانى ، وأبو محمد بن بركة، وأبو سعيد الكندمى والحسن بن سعيد بن قريش، وبويع بعده لولده حفص بن راشد، وبويع بعده للإمام راشد بن على سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وكان فى زمانه الحسن بن أحمد الهجارى، ومحمد ابن عيسى السرى، ونجاد بن موسى وتوفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وبويع بعده للامام محمد بن أبى غسان ولأبى المعالى وغيرهما من الأئمة ، مع اضطراب الاحوال وافتراق الكلمة النزاوية الرستاقية .

ومنذ ذلك الحين اختفى صوت الامامة فى عمان أكثر من قرنين من الزمان وتولى الأمر ملوك النباهنة، وقتلوا كثيراً ودمروا كثيراً ، ومن ضحاياهم العلامة الجليل أحمد بن النظر الشاعر العالم صاحب كتاب «الدعائم»، و«سلك الجمان فى سيرة أهل عمان» .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بويع للامام الحوارى أبى مالك ، وكان فى زمانه العلامة سليمان بن أحمد مفرج البهلوى ، ولبث فى الامامة حوالى ثلاث وعشرين سنة ، ثم بويع بعده للامام أبى الحسن بن خميس بن عامر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، وبقى فى إمامته سبع سنين وشهرين ، وكان فى زمانه العلامة ورد بن أحمد بن مفرج البهلوى المتوفى سنة أربع وسبعين وثمانمائة ، ثم بايعوا

عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت بن مالك ، وذلك فى سنة خمس وثمانين وثمانمائة ، وقضى بتفريق أموال بنى نبهان .

وكانت إمامته تسع سنين ودفن بنزوى ، ثم بايعوا لمحمد بن سليمان بن مفرج ثم بايعوا لأبى الحسن بن عبد السلام ، وكان فى زمن هؤلاء الأئمة بعض ملوك بنى نبهان الذين تصارعوا كثيرا فيما بينهم على الملك . . حتى استتب الأمر للإمام محمد ابن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الحاضرى ، وهو رجل من قضاعة ويتصل نسبه بالنبى هود عليه السلام ، وكانت بيعته سنة ست وتسعمائة ، ولبث فى إمامته ستا وثلاثين سنة ، وتوفى رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ..

ثم بويع من بعده لولده بركات بن محمد بن إسماعيل فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وكان على رأس العلماء المبايعين عبد الله بن عمر بن زياد الشقصى ، ومحمد ابن أحمد بن غسان ، وصار بين الإمام وبعض ملوك النباهنة ورؤساء القبائل بعض التنافس ، وتوفى الإمام وأهل عمان فى صراع شديد ، حتى أدرك الله الأمة بالدولة اليعربية ، فجاء الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبى العرب من ولد نصر بن زهران فجمع شملها ، وداوى جراحها ، وأصلح شأنها ، وزالت النعرات القبلية والرستاقية ، وأصبحت دولة مسلمة فطرية محمدية ذات أسطول عالمى هزم البرتغال وطهر الخليج من الجنوب إلى الشمال ، وأعادت اليعربية لعمان الشرف الباذخ ، والمجد الشامخ ، فقد بويع الإمام ناصر سنة أربع وعشرين بعد الألف ، وكان على رأس العلماء الشيخ خميس بن سعيد الشقصى الرستاقى مؤلف منهج الطالبين ، وفيهم من العلماء الشيخ مسعود بن رمضان النبهانى النزوى ، وصالح بن سعيد الزاملى العقرى وكان عدد العلماء الحاضرين أكثر من أربعين عالما وذلك فى بلدة الرستاق وتوفى سنة خمسين بعد الألف .

ثم بويع بعده للإمام سلطان بن سيف بن مالك بن عمه فى اليوم الذى مات

فيه الإمام ، فغزا الهند ، واستمر فى قتاله ضد البرتغال، وعمل على تقوية الأساطيل، وتعمير البلاد ، وتأمينها، ولبث فى إمامته حوالى إحدى وأربعين سنة، وكان فى زمانه عدد كبير من العلماء منهم الشيخ درويش بن جمعة المحروقى المؤلف، والشيخ خلف بن سنان الغافرى .

ثم بويع بعده لابنه بلعرب بن سلطان فى اليوم الذى مات فيه أبوه من عام واحد وتسعين بعد الألف ، وكان على رأس العلماء فى ذلك الوقت محمد بن عبد الله بن عبيدان .

وفى زمانه الشاعر المشهور راشد بن خميس بن جمعه الحبسى ، ومات الامام سنة أربع ومائة بعد الألف، ودفن بقصره الذى بناه .

ثم بويع لأخيه سيف بن سلطان قيد الأرض ، واستمر فى جهاده ، واحتل شرق أفريقيا متابعة لجهاد سلفه ، وتوفى سنة ثلاث وعشرين بعد المائة والألف بالرستاق، وكان فى زمانه عدد كبير من العلماء كالعلامة الجليل سعيد بن بشير الصبحى وناصر بن خميس الحراشدى وخلف بن سنان الغافرى وعدى بن سليمان الذهلى وناصر بن سليمان بن مداد .

ثم بويع بعده لابنه سلطان بن سيف سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد الألف، وبنى حصن الحزم .

وتوفى سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف ، وبموته تفاقم الشر فى عمان وكثرت الفوضى والفتن .

فقد بويع بعده للإمام مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب فى ذلك العام ، ولم يبق فى امامته أكثر من ثلاث سنوات ،ثم خذل وقتل .

وبويع بعده للإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف فى ذلك العام ،

وقامت الحروب بين القبائل ، وحرقت عدة مكاتب، وقتل عدد كبير من رجال العلم والإصلاح ، واعتزل الامامة، وقدموا لها سيف بن سلطان وكان صغيراً ، إلا أن محمد بن ناصر الغافري أخذ البيعة .

وهنا انقسم أهل عمان إلى غافري ، وهناوي ، فالغافرية اتباع محمد بن ناصر ، والهناوية أتباع خلف بن مبارك الهنائي، وبقيت حزازات في قلوب القبائل العمانية، يتقاتلون باسمها، وأدخلوا العجم في البلاد فعاثوا في الأرض الفساد، حتى أغاث الله البلاد بالامام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي ، وبويع له سنة سبع وستين ومائة بعد الألف ، وبه انقرضت دولة اليعاربة بعد صراع دام بينهم حوالى أربعين سنة ، وكان في ذلك الوقت من العلماء العلامة الصبحي المذكور الذي توفي قبل دخول العجم إلى عمان ، والعلامة حبيب بن سالم ابو سعيد النزوي، والشيخ سعيد بن أحمد الكندي ،... وكانت أيامه أيام راحة واستراحة ، وتوفي بعد تسع وعشرين سنة من إمامته ، وبقيت عمان حوالى تسعين سنة لم يكن بها إمام متفق عليه ، ولكن العلماء الأخيار فيها كثير، كالشيخ العلامة الرباني جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي صاحب التآليفات الكثيرة والأسرار المنيرة والكرامات الشهيرة والفتاوى النيرة وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، والعلامة ناصر بن أبي نبهان الذي توفي بزنجبار سنة ثلاث وستين ومائتين وألف، وعمره سبعون سنة ، وأخوه نبهان ، والسيد مهنا بن خلفان البوسعيدي من أهل مسكد والشيخ العلامة جميل بن خميس السعدي مؤلف القاموس في تسعين جزءاً ومنهم الشيخ سلطان بن محمد البطاشي المتوفى عام واحد وسبعين ومائتين بعد الالف، والشيخ سالم بن سعيد الصايغي مؤلف الأرجوزة واللباب، والعلامة خميس بن راشد العبري والد الشيخ ماجد بن خميس .

ثم بايعوا للامام غزان بن قيس بن غزان بن قيس بن الامام أحمد، وذلك

سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، وكان على رأس العلماء العلامة المحقق سعيد ابن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي ، والشيخ صالح بن على بن ناصر الحارثى والشيخ محمد بن سليم الغاربى السعدى، وغيرهم من أفاضل العلماء .

ثم بويع للامام سالم بن راشد الخروصى سنة واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، وكان على رأس العلماء يومئذ العلامة الجليل نور الدين عبد الله بن حميد السالمى، وحضر البيعة العلامة عامر بن خميس المالكى، والعلامة أبو زيد عبد الله ابن محمد الريامى ،والعلامة محمد بن سالم الرقيشى والشيخ عبد الله بن راشد الهاشمى، والشيخ عامر بن على الحبسى، ثم قتل الامام بعد سبع سنوات من إمامته فى بلدة الخضراء ، وبايعوا بعده للامام محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلى بعد أيام من قتل الامام ، وكان القائم بإمامته العلامة الأمير عيسى بن صالح بن على الحارثى المتوفى سنة خمس وستين عن عمر يبلغ خمسا وسبعين سنة ،وحضر البيعة عدد من العلماء كالشيخ ماجد بن خميس العبرى الذى أدرك الامام عزان والامام سالما، وهذا الامام الثالث .

ولبث الامام فى إمامته إلى سنة ثلاث وسبعين، وتوفى ليلة ٢٩ من شعبان من السنة المذكورة ، واستخلف على المسلمين الامام غالب بن على بن هلال الهنائى، وبايعه كل من العلماء والزعماء، وكان على رأس العلماء العلامة محمد بن سالم بن ذاهر الرقيشى المتوفى سنة ثمان وسبعين عن عمر يناهز الثمانين .

وبقى الامام غالب فى الامامة حوالى عشرين شهراً، واعتزل الامامة وأعمال المسلمين وأقام فى بيته، وذلك فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف فى آخر ربيع الثانى...،لم تزل عمان إلى اليوم معمورة بالعلماء والفضلاء والصالحين باركها الله وحماها . .. وزادها وزانها ..

قال صاحب « كتاب عمان » :

الامامة منشأة قديمة عريقة فى عمان ، ترتد إلى القرن الثانى من العصر الهجرى الموافق للقرن الثامن الميلادى :

وقد أنشأ الاباضيون من المسلمين هذه المؤسسة ، وصانوها هناك ، ودافعوا عنها طويلا ، وأمدوها بأرواحهم ، واستودعوها شبابهم وحياتهم .

والاباضيون فرع من الخوارج المعتدلين، الذين قاموا بحركات دينية محافظة ، وانفصلوا عن على بن أبى طالب ، وقد قصد بعضهم إلى شرق الجزيرة العربية ، واستقروا بجبال عمان ، حيث نشروا مذهبهم الذى تعرض لتغييرات يسيرة على مدى القرون المتتالية ...

ويمكن اعتبار امامة الاباضيين فى عمان من الآثار الحية التى خلفتها الخلافة الإسلامية الأولى ، فى ثوبها القشيب ، وشكلها الزاهى الجميل .

فهى حركة إسلامية واعية متيقظة ، ترعى مصالح الاسلام ، وشئون المسلمين، ولا يزال الامام الاباضى يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الراشدين فى القرن الهجرى الأول ..

وليس مما يغفل شأنه بحال ، أن نعرف أن لقب « الامام » نفسه كان يطلق على الخليفة أحياناً فى تلك الأيام ، وكانت رسوم واجراءات انتخاب أو تعيين الامام، أشبهها تكون تماما بانتخاب أو تعيين خليفة المسلمين على مستوى الأمة الاسلامية جمعاء ...

ليس لها مثيل :

لقد شغلت عمان حيزا كبيرا فى ذهن النبى ﷺ وفى وجدانه ، إلى حد أنه

صلوات الله وسلامه عليه قال فيها ، وفى أهلها ما لم يقله — وما قاله — فى غيرها ، وفى أهل غيرها أبدا ..

وكذلك فعل أصحابه الكرام رضى الله عنهم ، وفعل التابعون من هذه الأمة .

وإن عمان كانت — وستظل — الأمر العظيم العالى ، والشيء الثمين الغالى الذى شغل بؤرة الشعور فى التفكير الاسلامى العام .

فأهل عمان — كما حدثتنا كتب التاريخ مجتمعة بجمعة — أسلموا لله طوعا ، ووالوا رسول الله ، وتولوه ، فسمعوا له ، وأطاعوه ، على بعد دارهم ، وكثرة عددهم ، ومنعتهم فى أقوامهم ، وقالوا لرسوله وعامله : أهلا ومرحبا ، ولم يرمنهم صلوات الله وسلامه عليه — طيلة حياته — إلا الخير الذى يحبه ، ومكارم الأخلاق التى امتدحها الله فى كتابه الكريم — وهو يخاطب رسوله — : « وانك لعلى خلق عظيم » . .

لاشك أن شفافية الروح العمانية ، وصفاء النفس فيها ، وحساسية الشعور منها ، وأريحية الفعل فى سلوكها ، ومنهجية الأسلوب فى معتقدها ودينها ، كل ذلك — وأكثر منه — كان له الفضل كل الفضل فى سبق عمان بين أشواط هذه المضامير وفوزها الساحق الشاهق فى قطع هذا المشوار الطويل ، من أزله إلى أبده ، مما كان له — وما ترتب عليه — من ردود الفعل المبهرة ، على جميع المستويات .

وفى شتى الأنشطة والأصعدة ، ومع ذاتية العمل الصادق المخلص ، التى تمخضت عنه — بعد أن حملت فيه طويلا — الارادة العمانية اللا محدودة ، والمشيئة القوية الفاعلة ، التى يتميز بها كل عمانى فى صفوف الحيـــاة ، وبين مواكب الاحياء ...

وفى هذا — وفى معرض الحديث والثناء على عمان وأهل عمان — يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « رحم الله أهل الغبيراء — يعنى عمان — آمنوا بى ولم يرونى » .

ويروى أحمد — فى مسنده .. عن طريق أبى لبيد — قال : خرج منا رجل يقال له بيرح بن أسد ، فرآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه — وكان ذلك فى خلافة أبى بكر — فقال له : ممن أنت أيها الرجل ؟ قال : من أهل عمان ... فأدخله عمر على أبى بكر رضى الله عنهما .. قال أبو بكر : أأنت إذن من هذه الأرض التى سمعت رسول الله ﷺ يقول فيها : « إنى لأعلم أرضاً يقال لها عمان، ينضح البحر بناحيتها ، الحجة منها أفضل من حجتين من غيرها ،لو أتى أهلها رسولى ما رموه بسهم ولا حجر » ؟

ولعل هذا يشير إلى ما رواه أبو مسلم من حديث أبى برزة الأسلمى ، قال : بعث رسول الله ﷺ رجلا إلى قوم — ولعله عامل صدقة — فسبوه وضربوه فجاء إلى رسول الله يشكو .، فقال له النبى — مباهياً بأهل عمان ، مثنياً عليهم، حامداً أفعالهم — :

« لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك » ..

وفى حديث طويل ، وفى خبر ذائع شائع — بين النبى ﷺ وبين مازن بن عضوبة السعدى الأزدى — يقول عليه السلام — فيما يقول — : « دينى دين الإسلام ، سيزيد الله أهل عمان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بى ورآنى ، وطوبى ، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، ولم ير من رآنى ، وإن الله سيزيد أهل عمان خيراً وبركة ، وإيمانا وإسلاما » ...

وذكر الامام أبو يعقوب فى لواحق المسند من روايات الامام الربيع بن حبيب عن شيخه أبى سفيان محبوب بن الرحيل القرشى المخزومى — رحمهم

الله جميعا ، و رضى عنهم — عن أزور ، قال : إن نسوة من نساء أهل عمان أستأذن على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فأذنت لهن .. فسلمن عليها — وفى رواية ، فسلمت عليهن — ثم قالت : من أنتن ؟ قلن : من أهل عمان ... قالت لهن : لقد سمعت حبيبى عليه الصلاة والسلام يقول — فى مقام المدح على عمان وأهل عمان — : « ليكثرن وراد حوضى من أهل عمان » ..

طوبى للغرباء :

وحول ذات المعنى ، وفى نفس الموضوع ، من روايات الربيع عن أبى سفيان ، قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضى الله عنهما ، وأخذ يسألها عن مسائل لم يسألها أحد عنها من قبل ، — وأكثر من السؤال لها ، وطلب الاجابة منها — وقالت له فى نهاية اللقاء : وممن أنت ؟ قال لها جابر : من أهل المشرق .. من بلد يقال لها عمان .

قال أبو سفيان : فامتدحت السيدة عائشة عمان كثيراً ، وقالت له : إن النبى ﷺ دعا لأهل عمان بالخير ، والبركة ، وكثرة الرزق ، وحلاله ...

وفى اجتهادات بعض العلماء الثقات ، وجمهرة من رواة الحديث ، ورجال الفقه ، إن رسول الله ﷺ حين قال : « بدأ الدين غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء من أمتى » ، وسأله أصحابه ، وقالوا له : ومن هم الغرباء يا رسول الله ؟ قال صلوات الله وسلامه عليه : « الغرباء هم الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، وهم الذين يتمسكون بحبل الاسلام حين يقطع » !

فلقد أكد هؤلاء العلماء ، وتلك الجمهرة الثقات من رواة الحديث وأئمة الفقه أن الغرباء هم أهل عمان .. وقالوا : من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ دائما وعلى مدى الحياة ، فلينظر إلى الصلحاء ، الاتقياء ، من أهل عمان .

ينظر إليهم فى أخلاقهم ، فى سلوكهم ، فى تعاملهم مع الحياة ، فى منهجيتهم العقيدية .

فى صدقهم وأمانتهم وعفتهم ، فى كل شئون الدنيا ، وفى كل أمور الدين .

وفى بعض كتب الصحاح ، قال رسول الله ﷺ : « من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان » .

وقال ﷺ — عن طريق أحمد والترمذى والنسائى — : « من أعيته المكاسب فليأت عمان ، فإن خيرها كثير ، وبرها وفير » .

وفى رواية — عن أبى داود — أن النبى عليه السلام قال : « يوشك أن ينتقل الناس فى آخر الزمان إلى عمان » .

وفى رواية أخرى له — أيضاً — قال صلوات الله وسلامه عليه : « من أحب أن يسكن عمان فليسكن ، فان فى أهلها القناعة ، والرضى باليسير ، وعليهم من الله أمن وسكينة » .

وسمع عبد الله بن سلمة رجلا يودع آخر ، فقال له : وأين تريد ؟ قال : أريد عمان ..

قال : فالحق بها يا ابن أخى سراعا .. فان بها أمان الليل ، وأمان النهار . يوشك أن ينتقل إليها الناس فى آخر الزمان — كما قال رسول الله ﷺ — فرارا من جور الظلمة ، وأعوان الحاكم ، وحطاط النبط » .

وعن النبى صلوات الله وسلامه عليه — فيما يرويه البخارى ومسلم فى صحيحهما — :

« يوشك أن تكفر أمتى ، ويلى عليهم أعوان الظلمة ، الذين يدسون القوانين

ويتاجرون بها ، ويرفضون البراهين ، ويتبعون الاهواء ، ويقدسون الاقوى ، وحينئذ يلتجىء الناس إلى عمان ، وإن عمان عند اقتراب الساعة يعمر خرابها ، ويكثر سكانها ، وتفيض خيراتها ، وتضيق بمن فيها ، من كثرة من يهاجر إليها ، حتى ليباع مربض الشاة ، ومقعد الرجل بعشرة دنانير ، أو بعشرين دينارا فلا يقدر على ذلك إلا خواص الناس ، وذلك لكثرة الاموال فى أيدى أهلها واتساع الأرزاق بينهم ، بما يفضحه البحر ، وتأتى به الأرض الطيبة الخصبة ، آمن ليلهم طيب نهارهم » .

لئن أعاشنى الله :

وحول هذا المعنى الآمن الهادىء المستقر الذى يسود عمان ، ويتواكب دائما مع أهلها ويلازمهم ، يقول « سلطان بن سيف اليعربى » — أحد أئمة عمان العدول — : « لئن أعاشنى الله ، وأطال حياتى ، وأمد فى عمرى ؛ لأتركن المسافر يذهب من عمان إلى مكة بغير زاد أو ماء ، ولسأؤمن الطريق ، وأزوده بالطعام والشراب ، وكل ما يحتاجه الظاعن » .

قال الإمام سالم بن حمد بن سليمان الحارثى — تعليقا على ما سمع وشاهد ، وعلم وأدرك — :

ولا ريب فى هذا كله ، فان أهل عمان شاركوا فى كل فضل ، حتى دعا لهم رسول الله ، وباركهم خليفته وصديقه أبو بكر ، ولقد ظهرت دعوات النبى لهم ، وتوسمات أصحابه فيهم .

وفى هذا يقول جمع كثير من علماء عمان ، وفى مقدمتهم شيخهم الامام السالمى — رحمهم الله جميعا — حيث يقرر فى دروسه الجامعة ، وعظاته النافعة ومؤلفاته الثرة الغزيرة :

إن دعاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وشهادة أبي بكر لأهل عمان ، صادفا الواقع ، وأصابا الحقيقة ، وصدق الله توسمهما فيهم ، وقولهما عنهم ، وثناءهما عليهم ، فأهل عمان أكثر الناس — على مستوى العالم كله — هدى وصوابا ، وعلما وعملا ، وعبادة وتقوى ، منهم الأئمة العدول . وفيهم العلماء الراشدون ، لم يتسلط عليهم هدر من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم . وإن غلبوا على دولتهم — في بعض الاحايين — فانما هو تمحيص المؤمنين وتمحيق الكافرين ، وما زالت دعوتهم بالحق ظاهرة ، وسيرتهم بالعدل شاهرة ، ودولتهم بالفضل زاهرة عامرة ، وحسبنا في هذا المقام سيرة جلالة السلطان المعظم قابوس بن سعيد ، وسلوكه الذاتي ، ومنهجه الاخلاقي في معاملة أهل عمان جميعًا ، وعلى وجه العموم ، هذا فضلا عن سلوكه المنهجي الملتزم على مستوى العالم الإنساني جميعه .

أحرزوا قصب السبق :

ولقد سبق أهل عمان — كما أسلفت — إلى الاسلام ، وشاركوا في صحبة الرسول ﷺ بأربعة من رجالاتهم العباقرة الأفذاذ ، عرف مقامهم ، وحمد مرامهم

الأول : ماذن بن عضوبة السعدي الطائي السمائل الأزدي ، وقد سبق الكلام حوله كثيرا ، وطافت به الخواطر والأفكار ، حينما مد يديه إلى النبي ﷺ وهو يبايعه على الاسلام ، والدخول في دين الله ..

الثاني : كعب بن برشة الطاحي — ويعرف أيضاً بالعودي — الذي أرسله زعماء الفرس إلى النبي ﷺ ، لاستطلاع خبره ، واستكناه أمره ، وكشف صحة نبوته وسيره...

فأتى النبى ﷺ ، وعرف نبوءته ، واستيقنها نفسه ، وصدق برسالته ، إذ كان ممن قرأ الكتب ، وعلم عن النبوات ، وطالع ما تشير إليها من علامات وارهاصات ...

فعاد إلى القوم ، وأخبرهم بصحة نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ولذلك ، فانه حين أخبرهم وطالعهم بالآيات، قالوا له — مبهورين مأخوذين — : هذا أمر ضخم ، وحدث جلل، نريد أن نشافه فيه كسرى ، ونخبره بخلفياته ومأتياته ، إذ كانوا يعلمون يقيناً صدق كعب ، وأنه لا يقول غير الحق ، وإن نبوة محمد صحيحة ، وإنه رسول الله إلى الناس كافة .

فكان كعب — بذلك — أول أو ثانى داعية إسلامى فى عمان ، بعد مازن ومن اقتدى به .

والثالث صحار بن العباس العبدى من عبد القيس من أهل عمان ، وكان من أجله العلماء الاتقياء الأوفياء .

والرابع : أبو شداد العمانى المعروف بالذمارى ، كان يأتى ذماراً فقالوا فيه: العمانى الذمارى ، ذكره صاحب الاستيعاب وغيره ممن كتبوا عن الصحابة رضوان الله عليهم .

وإن أنكر فضل أهل عمان من أنكره من أعدائهم ، فهذه حقائق واضحة فى أفق التاريخ وضوح الشمس فى رابعة النهار ، لا ينكرها إلا أعمى عن الحقائق ، وأى فضل أعظم ممن أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الثناء العظيم؟، ثم أثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ذلك الثناء الجسيم؟ ثم عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه ، وأثنت عليهم الأنصار فى ملأ من

المهاجرين والأنصار؟ ولذلك لم يزالوا ثابتين على الحق رغم عاديات الدهر الذي من طبعه التقلب .

فأهل عمان أهل خير لم يتزعزعوا عن دينهم منذ أسلموا ، ولا نقضوا عهدا ، ولا ذمة ولا بدلوا من الأوامر الشرعية شيئاً أبدا . بل هم على الحق ثابتون ، وعلى المذهب الصحيح عاضون النواجذ تبعاً لوصيته عليه السلام .

إن عمان أشبه ما تكون ببؤرة الشعور التي يتزاحم عليها الفكر الاسلامي ، وتتواكب فيها عناصر نهضته ، وعوامل تقدمه وحضارته . بمن ولدت وتمخضت من عباقرة العلماء ، وبما قدمت — وتقدم — للعالم من أساليب السياسات ، والمنهجيات السلوكية الموفقة... حفظها الله حصنا الاسلام والمسلمين .

ومنهم الخطباء والشعراء :

قال عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ — وهو يرد على من ينكر فضل أهل عمان — : ربما سمعت من لا علم له يقول ، ومن أين لأهل عمان البيان؟ فقال الجاحظ — وهو يرد على هذا القائل — : إنه لا علم له ، وهل يعد هؤلاء الجاحدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل عمان ؟ ولا شك أن هذه أكبر شهادة من هذا العالم الوحيد الفريد المتميز في علمه وسعة معارفه :

ثم أخذ الجاحظ يذكر فضائل أهل عمان فقال — ضمن ما قال — : ومنهم — أي أهل عمان — مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائماً ، وقاعداً ، ومفرداً ، ومنافسا ، ومجيبا ، ومبتدئا ، أي في كل هذه الأحوال ، ونحو ذلك .. كان أخطب الناس ، أي أوسعهم مقالا ، وأسرعهم بيانا ، وأفواههم حجة ، قال : وابنه من بعده كرب بن مصقلة . ولهما خطبتا العجوز في الجاهلية ، والعذراء في الإسلام ، أي

هاتان الخطبتان شاعتا عند العرب.. الأولى فى الجاهلية ، فتناقلها الأدباء ، والثانية فى الإسلام ، وقد جمعتا من العلم والأدب ما خضعت له أعناق فطاحل العرب ، ولولا أن ذكرهما يطول بنا لجئت بهما . .

قال الجاحظ : ومن خطباء عمان وعلمائها صحار العبدى ، أبو إسحاق وهو ابن العباس العبدى ، وهو الذى سبق عده فى الصحابة ، فهو الصحابى الثالث من عمان ، قال ابن إسحاق : قيل إنه أدرك النبى ﷺ وروى عنه ثلاثة أحاديث ، وهو من أئمتنا وشيخ أبى عبدة مسلم صعصعة بن صوحان بين أعلام الأدب ، وأبطال العرب ، وما زالت خطبه مأثورة متداولة ، مشهورة متناقله ، يتناقلها العلماء الأعلام ، وتزدان بها المؤلفات .

قال: ومن خطبائهم ، مرة بن البليد الأزدى، ولم يكن فى الأرض أجود منه ارتجالا وبديهة ، ولا أعجب فكراً وتحبيراً منه ، وكان وصول المهلب إلى الحجاج ، ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ، ولم يكن فى أرض عمان أنطق منه ، ومنهم خطيب المصريحى بن يعمر ، وأصله من عمان ، وكذلك الجحاف بن حكيم وغيرهما .

قال الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء : رأيت أعرابيا بمكة فاستفصحته أى أعجبتنى فصاحته ، فقلت : ممن الرجل ؟ فقال: من الأزد ، قلت : من أيهم ؟ قال : من بنى الحدان بن شمس ، فقلت : من أى البلاد ؟ فقال : من عمان ، قلت : صف لى بلادك ، فقال : سيف أفيح ، وفضاء صحصح ، وجبل صلدح ، ورمل أصيح ، فقلت : أخبرنى عن مالك ؟ قال : النخل ، قلت : وأين أنت عن الإبل؟، أى ، ولها الشهرة إذ ذاك عند العرب ، فقال : كلا.. إن النخل أفضل ، أما علمت أن النخل حملها غذاء ، وسعفها صياء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وجذعها غماء ، وفروها إناء ، قلت : وأنى لك هذه الفصاحة ؟ أى من أين لك هذه الفصاحة البليغة التى تجابهنى بها فى موقفى هذا بداهة ؟ قال : إنا بقطر لا نسمع

فيه هدير التيار ، أى نحن بعيدون عن ساحل البحـــر الذى لا يزال الاعاجم والانباط يختلطون بأهله ، بل نحن بعيدون منهم حيث منابت الشيح والقيصوم من عمان أى فى داخلها .

وفى خبر الحجاج بن يوسف الثقفى ، حين خرج إلى القادسان ، وإذا بأعرابى فى زرع له ، فقال له الحجاج : ممن أنت ؟ قال من أهل عمان ، قال : فمن أى القبائل أنت ؟ قال : من الأزد : قال : فكيف علمك بالزرع ؟ قال : إنى لأعلم منه علما . قال له الحجاج : أى شىء خيره ؟ قال : ماغلظت قصبته ، واعتم نبته ، وعظمت جثته ، قال : فأى العنب خيره ؟ قال : ما غلظ عوده ، وعظم عنقوده قال : فما خير التمر ؟ قال : ماغلظ لحاه ، ودق نواه ، ورق شحاه ، فأدهشه بما أبداه من فصاحة علمية .

قال : ومن أهل عمان ، كعب بن سور قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، قال : وهو أول من قدم على البصرة بعد تمصيرها .

وأيضا . فقهاء ومحدثون :

ومن أهل عمان أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدى رحمه الله تعالى ، وكان غاية فى العلم والورع ، مثالا للنزاهة والتقوى ، ومرجعا للمشاكل ، ومنتهى الطالب للفقه الإسلامى بجميع معانيه فى أيامه ، أجمعت الأمة على ثقته وعدالته وضبطه وصيانته ، وعاش عمرا طويلا قضاه فى تحصيل العلم وحفظه وجمعه ونشره فى الأمة ، فطلبة العلم فى عهد التابعين عيال عليه ، فأين رجال العلم عند جابر تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما ؟

ومن أهل عمان الإمام الربيع بن حبيب الفرهيدى صاحب المسند الصحيح ، انتقل إلى البصرة ونسب إليها ، وعاش فيها عمراً إذ هى آنذاك حضيرة علم

ودوحة فقه، ومعدن فضل ، ثم رجع إلى عمان فى آخر عمره ، فعاش قدوة الأمة وعمدة أهل المذهب ، وكان يضرب به المثل فى العلم ، ومن أهل عمان أبو حمزة الشارى المختار بن عوف السليمى من أهالى مجز من أعمال الصحار ، صحب الإمام عبد الله بن يحيى الـــكندى المعروف بطالب الحق فى حضرموت ، وكان المختار عنده السيف البتار ، والضيغم الزآر الذى تحدث عنه وعن أصحابه صاحب الأغانى، وذكر طرفا من تاريخهم الزاهر ، وذكرهم العاطر ، فسكانوا جمال الكتب وزينة الدفاتر .

وهو خطيب مصقع ، قال عنه المؤرخون : إن خطاب أبى حمزة الشارى لا تخفى على أحد من أهل العلم ، ولقد رواها أجلة العلماء ، كمالك بن أنس ، وقال فيها مقالته المشهورة : خطبنا أبو حمزة خطبة حيرت المبصر ، وردت المرتاب ، وهذه أعظم شهادة من ذلك العالم الجليل بحق أبى حمزة ، وأنه على الحق حيث ردت خطابه المرتاب عن ارتيابه ، وحيرت المبصر الذى يرى أنه البصير فى دينه .

حتى علم العروض :

ومن أهل عمان الخليل بن أحمد الفراهيدى ، ولقد اشتهر بالعلم بين أعلام الأمم ، وهو فى مقدمتهم فقهاً وأدبا وتاريخا وشعراً ، وله بدائع علمية لم تكن لغيره من رجال العلم ، ولا عرفها أحد قبله ، فهو صاحب العروض الذى لم يكن له سبق وجود فى عالم العلم ، وقد سماه باسم المكان الذى فتح له به فيه وهو العروض ، فرتب أبحر الشعر ستة عشر بحراً ، ورتب قوافيها على غير مثال سبق، فكأنه من آيات أفكاره الوقادة ، وقد ذكره ابن خلكان وغيره ، وله « كتاب العين » الذى هو إمام الكتب فى اللغة ، وشهرته تغنى عن ذكره ، وما سبقه إلى تأليفه أحد ، وإليه يتحاكم أهل الأدب ، فإنه إمام فيما يختلفون فيه ، وهو صاحب

النحو ، وإليه ينسب ، وهو أول من بوبه وأوضحه ورتبه وشرحه وهذبه ، وهو شيخ سيبويه فى النحو ، وسيبويه أنحى أهل الأرض فى أيامه ، وكان الخليل المذكور قد أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، وهو أيضا صاحب الشكل والنقط فى الالفاظ العربية ، ولم تكن قبله مشكولة ، فأزال الخليل إشكالها بأشكالها ، ومشت الأمة على عمله هذا منذ ذلك العهد تبعا له ، وله فضيلة السبق فيه والتقدم فى مضماره ..

ومن أهل عمان ابن دريد ، المعروف بأدبه وعلمه ، وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى الحسن بن دريد الأزدى ، صاحب « كتاب الجمهرة » المشهور بين أهل الأدب لغة وغيرها ، ولو لم يكن له غيره لكفى ، وهو الخطيب المشهور والأديب المذكور ، والشاعر المعروف ، والفصيح الذى يقف عند كلامه البلغاء ، ويستعير من بلاغته الفصحاء ، ويعجز عن مجاراته فى الأدب أجلة الأدباء ، ويستعين بعباراته اللغوية الخطباء ، فهو خطيب فى شعره ، مصقع فى نثره ، قدوة فى خطبه وأدبه ، حكيم فى وضعه ، أديب فى شعره ، مجيد فى نظمه ونثره ، لا زيادة عليه فى فنون الأدب والعلم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا مقصورته لكفت دليلا على بلاغته ، وبرهانا على حكمته ، وقد تداولها الشراح ، وتسابقوا إلى التعليق عليها لما حوته من المعانى الأدبية ، وما انطوت عليه من الحكم .

صاحب الكامل وأيام العرب :

ومن أهل عمان أبو العباس المبرد ، صاحب « كتاب الكامل » المشهور الذى هو أحد كتب الأدب ، وأيام العرب ، وقد عده كثير من أهل العلم فى طليعة الوعاة العرب ، وله مصنفات كثيرة ، والكامل أشهرها ، وشيوعه بين الأدباء مقدور مشهور غير متهم ولا منكور ، لا سيما فى تحليل المعانى الشعرية ، وذكر محتويات كلماتهم ، فله يد طائلة ، ولهجة واسعة ، ومقالات جامعة ، ولا يخفى أن

أهل عمان فى الركب العربى من المقدمين فى الأعمال الإسلامية بجميع معانيها ، فلأهل عمان فى سياسات الممالك السهم الأكبر والحظ الأوفر ، وناهيك بسياسة المهلب بن أبى صفرة العمانى الأزدى ، فقد وصفه أهـــل التاريخ بأوصاف سياسية يحتار فى وضعها كثير من فطاحل الرجال ، وله فى الحزم والعزم على مراوغة الأبطال ، بحيث يعييهم أمره ، وبذلك استنقذ البصرة من أيدى الأزارقة وكادت الدولة الإسلامية أن تيأس من إرجاعها إلى دائرتها ، حتى جاءها هذا البطل الأزدى العمانى ، فأخرجها من أشداق الأزارقة وأراهم منه صولة لا ترد ، ونكايات لا تعد ، ودهاء لا تصل إليه عقولهم ، فأعاروها اسم بصرة المهلب ، وقد أشبع العوتبى المؤرخ الناقد ، الفكر العربى بأعمال المهلب ، حتى هم أن يتولى مهام الدولة إلى حد بعيد ، وهو هو فى سيره وسراه ، وكان قيامه على الأزارقة فى حرب البصرة بأبطال عمان من قومه وآله ، وهم العمدة معه فى ذلك ، وإن كان معه من غيرهم ، ومن قرأ التاريخ العربى الإسلامى أدرك ما قلناه واضحاً ، فلم تزل المعارك دائرة بينه وبين الأزارقة عهداً طويلا ، حتى ردهم الله بسببه خاسرين ، حليفهم الفشل ، والخذلان .. وإذا استقرأ الباحث الدارس التاريخ العربى ، رأى فيه لعمان نقاطاً هامة ومواقف شامخة عملاقة فى هذا المجال البطولى الشامخ العملاق.

وذكر ابن خلدون كثيراً من أمجاد أهل عمان ، وفاخر بأفعالهم ، وباهى بهم فى كل زمان ومكان ، ولقد قال — فى معرض الفخر — .. ولأهل عمان فى الشجاعة المنزلة العليا ، والسهم الأوفر ، وذلك فيهم غير مجهول ولا مستنكر ، فمنهم بلج بن عقبة الفراهيدى الذى كان يعد بألف فارس ، وهو شاب فى سن العشرين من عمره ، قال : وخبره فى سيرة الإمام طالب الحق الكندى مشهور مذكور ، وكم مثله من الأبطال العمانيين ثم ذكر أفراداً منهم فى تاريخ الامام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربى ، ومن أرادهم بالتفصيل فليرجع إليهم هناك يجد رجالا تفوق الرجال ، وأبطالا لهم فى الشجاعة أعلى مثال ، ولهم فى السياسات التى يحار فيها الواصفون مقام ، ونوه بسياسة المهلب

فقال: ولآل المهلب تاريخ ضخم يدل على إنجازات هؤلاء الرجال المنظورين ، والأبطال المشهورين ، وهم من منابت عمان التي أنبتت أرقى أنواع الانسان في كل زمان ومكان ...

ومن هذا الطراز في كل نواحي هذا البلد الطيب الولود الودود.. ولله يوم يصبح البطل العماني فيه مرفوع الأعلام في أفق التاريخ، وغير بعيد ذلك اليوم إن شاء الله ، في عهد جلالة السلطان المظفر العادل «قابوس بن سعيد» فإن الزمان قد هم أن يستدير كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ،فيعرف الحق لأهله، ويرد الباطل على ذويه، وفي عمان من أهل الفضل في المجالات الأخرى من يعد في طليعة ركب الرجال الميامين ، كل واحد منهم أفضل من الثاني ، كأنما يشير إليهم جميعا ويعنيهم قول القائل :

من تلق منهم تقل:لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

فهم في الفضل النمط الأوسط يرجع إليه العالي ، ويلتحق به التالي ، وهم في العلم البحور التي تقذف باللآلىء ، وهم بين الرجال في قمم الشرف الأطم العوالي ، هؤلاء جميعا نقطة من قطر ، وبلة من بحر ، ذرية بعضها من بعض .

تلك هي عمان :

تلك هي عمان الودود الولود ، التي قدمت — وتقدم — للعالم خلاصة ما يحتاجه هذا العالم، من أفكار مضيئة ، وآراء وضيئة ، ورجال وأبطال ، في كل مضامير العلم ، وميادين العمل والنضال ، من الابداع الانساني، وانبوغ العباقرة ومعطيات طاقة البشر ، ومنجزات الحياة فيما تحتاجه من خير وبر ...

ولا سيما في مجالات الاسلام ، وما يقتضيه الدين من نسك وورع ، وزهد وعفة ، ونزاهة وشرف ،وما تتطلبه منهجيته من الترفع عن الدنايا ، والتعالي على السفاسف والخطايا، والأخذ بأسباب المجد، واقتناص نواصي العز والفخار والسؤدد...

إن عمان أدت — وتؤدى ، وستؤدى دائماً إلى ما شاء الله — دورها الحضارى فى ترقية الانسان ، وتطوير الدنيا ، وتحرير العالم من كل معوقاته ، وتخليصه من أسر القبضات المعربدة الداهمة ، وفكه من أصر الاحمال الثقيلة الرهيبة الغاشمة ، وتوجيهه إلى الجادة والريادة ، ورفعه إلى منصات القيادة والسيادة ، ووضعه حيث مبدأ المسيرة ، وربط قدميه بأول الطريق ...

وذلك هو الدور الكبير الذى ما فتئت عمان تقوم به منذ مطلع التاريخ من مشرق هذا البلد ، فلقد حافظت على العروبة ، كما حافظت على الاسلام ، وصانت التقاليد ، وحمت القيم ، وارتفعت بالمبادىء ، وحركت المثاليات ، وأمشت المجردات المرجوة المأمولة ، واقعاً يتحرك ، وأسلوباً ، يفعل ويريد ، ودنيا مأمولة حافلة بكل أسباب القوة ، وتدافع الامل ، وتعارك المضادات ، والوصول أخيراً إلى إنتصار مشيئة الحياة .

فمن أذكر ، ومن أترك من عالقة هذا البلد وشوامخه ، الذين زحموا مسيرة الكون ، وملأوا شوارع الوجود ، وزحزحوا النجوم والكواكب والأفلاك ، تمهيداً وتوطئة لاحتلال مواقع النجوم ، واقتياد مسارات الكواكب والأفلاك ، فى كل ما يندر وجوده ، أو يصعب تطويعه وانقياده من شوارد العلم ، أو أوابد المعرفة ، أو المثاليات العاليات ، فى كل ما ينهض بالبشرية ، ويسعفها فى أداء ما خلقت له ، وتحقيق ما تصبو إليه وتتمناه ، فى نطاق ما رسمته الشريعة ودعا إليه الرسول ، ونادى به الله ... ؟

أولئك هم جميعاً خيار ، من خيار ، من خيار ...

وهكذا كان الاسلام هو الخير كله أشرقت به آفاق عمان ، وانشقت عنه — وأنبتته — أرض عمان ، وكان علماء عمان وفقاؤها ، هم نتاجه وثمراته ، وخيراته وبركاته ، ليس فى عمان وحدها ، بل فى العالم كله ، مع تنوع هذه

الثمرات ، وتعدد هذه الخيرات والبركات ، فلقد حفظ هؤلاء العلماء أرومة اللغة وأرومة الدين ، وحافظوا — أيقاظاً حراساً — على مفاخر العروبة ، ومآثر الإسلام .. ونقلوا كل ذلك — بأمانة وإخلاص ، وإيثارية وصدق — إلى من تلاهم ثم تواصوا معهم بالحق ، إلى أن ينقلوه هم كذلك — وبالتالى — إلى أعقابهم وأخلافهم من الاجيال اللاحقة ، والأمم القادمة ، على مدى التاريخ ، وسعة الأيام ، ومد الحياة ، وأيضاً وبنفس الأمانة والإخلاص ، والإيثارية والصدق ، ومن هنا استمر هذا المدد الربانى سارى المفعول بين جنبات الأرض ، وفى جميع الأصقاع والبقاع ، وفى شتى الأزمنة والأمكنة ، وسيستمر بعون من الله ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ....

وهمسة فى أذن أهل عمان جميعا ، وعلمائها خاصة ، ورجاءاً حريصا مخلصا ، أضعه بين يدى جلالة السلطان قابوس بن سعيد ، ونداءا ودعاءا لجلالته بالذات ، — وعلى وجه الخصوص — : «أن حافظوا على ماحباكم الله به ، واختاركم لانجازه وتحقيقه ، وترجمته وتطبيقه ، من توظيف الدنيا فى خدمة الدين ، وانتهاج الحق طريقا لمسيرة الاسلام والمسلمين ، حتى تكونوا « الأمة الواحدة » و « الفرقة الناجية » التى عناها الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله : «.... وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم فى النار ، إلا واحدة » .. والتى أمر الله رسوله بالسير على منهجها ، واختطها طريقا للدعوة إليه ، وسبيلا واصلة إلى الفوز والنجاة فى يوم الدينونة ، وفى هذه الحياة ، فى قوله تعالى :

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين » .

خاتمة

« الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على رسول الله .. وأصحابه ، والتابعين، وكل من والاه ..

وبعد : فاستكمالا للامر ، وعودا على بدء . ونتيجة ، وغاية ، لما قدمت من مقدمة ، ووسيلة ، استأنف الحديث ذاته ، وأدعو كل أفراد ، وجماعات، وشعوب الأمتين ، العربية ، والمسلمة ، إلى الكد والجهد ، والنضال والكفاح فى سبيل تجميع العرب والمسلمين فى « الكتلة العرب إسلامية » ، حتى يكونوا قوة فاعلة فى إيجابيات هذا الكون . وفى انتزاع الأمم الضعيفة المغلوبة ، والشعوب المهيضة المريضة ، من بين حلاقيم الأمم القادرة القوية ، ومن تحت أضراس هذه التكتلات الرهيبة ، والمعسكرات الشرسة الضارية ، فى شرق العالم وغربه ، وفى شماله وجنوبه.

فلا ينبغى أبدا للعرب ، ولا يجوز للمسلمين — بحال — أن يتقاعسوا هكذا وأن يجلسوا على مفترق الطرق ، وأفواه السكك حزانى آسفين ، يندبون حظهم العاثر ، وتاريخهم الغابر ، وأمسهم الدابر ، ويبكون فى لوعة ومرارة ، على « اللبن المسكوب ، والحق المغصوب ، والنصيب السليب المنهوب ، الذى أخذه منهم الأقوياء ، وأبعدهم عنه الدخلاء الأشداء من الأفاقين ، والمغامرين .

فيا أيها العرب — وأخاطب المسلمين من خلالكم ، ضرورة ان القرآن نزل بلغتكم ، وأن الرسول بعث من بيئتكم — لتكونوا أنتم النواة ، واللبنة فى بناء هذه « الكتلة العرب اسلامية » ، ولتتوحد صفوفكم، وليتحد أمركم ، ولتجمعوا جميعا على انتزاع الحرية والسيادة ، والكرامة ، والمجادة ، التى كانت لكم فى يوم من الايام ...

فإنا نحن العرب لم نطلب الحرية والسيادة فى أرضنا لنكون بضع عشرة أمة ... بل أردناها « أمة واحدة » .. فليكن لنا عشرات ومئات من الرايات . ولكننا نريدها « راية واحدة » .. « راية عظمى » .. « الراية الكبيرة » التى ترفرف فوق هذه الرايات جميعاً ... هى راية « الأمة العربية المتحدة » ..وذلك هو الهدف العربى الجديد المطلوب من أمة العرب ...

هناك فى غرب الظلمات، دولة عظمى ليس لها على تلك الأرض الجديدة عراقة أو أصالة... فشعبها أشتات وامشاج، واخلاط وانماط .. من الإنجليز، والأسبان والبرتغال ، والايطاليين ، والحمر ، والصفر ، والبيض ، والسود والأسكيمو ، والهنود ، والأجيال المتتابعة المتحدرة من أبناء «الطلقاء» الذين لفظتهم السجون إلى هنالك ، ليكدحوا ويلتمسوا أسباب عيش جديد فى أرض جديدة...فتجمعت من هؤلاء وأولئك ، دولة واحدة ، لم يمنعهم اختلاف أجناسهم ، وألوانهم ، وطبائعهم ، أن يجتمعوا تحت راية واحدة ، توحد بينهم ، وتجعلهم فى نظر المجتمع السياسى « أمة واحدة » لها جيش .. وقانون وأسلوب معيشى متميز ...

أشتات من المستوطنين الغرباء يعيشون فى أكثر من خمسين ولاية .. لكل ولاية راية ... وقد جعلوا فوق راياتهم جميعاً راية « الولايات المتحدة »...وكذلك « هذه الأمة اللقيطة » أمة « الشيوعية » و « الجمهوريات الحمراء » العديدة.. من كم أمة تجمعت .. ومن أى شتات وضياع تكونت ... وكيف تألفت وتلاقت — بعد دوامات التمزق، ومتاهات التفسخ — فى وحدة واحدة..هى «الاتحاد السوفيتى»... وهكذا تكون من «الولايات المتحدة» و « الاتحاد السوفيتى » دولتان كبيرتان هما «فكا الكماشة » الشرسة المفترسة .. و « شقا المقص » القاطع المروع ، أو « الطاحونة » ذات المخلب والناب فى دنيا الاستعمار والتسلط والاغتصاب!!

وإن هؤلاء ، وهؤلاء ليحاولون اليوم فى « الولايات » و « الاتحاد » أن يكونوا للعالم كله سادة وقادة !!

فيما ليت شعرى ... بماذا يطمع كل أولئك فى السيادة والقيادة ؟ أبأنهم جنس ممتاز ؟ أبأنهم شعب مختار ؟ أبأن لهم مبادرات تعجز بقية الشعوب عن تحقيقها بأسلوب أمثل وأكمل ، وأفضل ، وأعدل ؟ ... كلا .. ثم كلا . فهم غرباء لا يجمعهم جنس .. وهم أوزاع لا تربطهم آصرة أو أصل ... أيماضيهم فى خدمة الحضارة ، ورفع بنيان التقدم والمدنية ؟ كلا .. ثم كلا .. فانهم أمم بلا ماضى فى التاريخ . . . أبأنهم أصحاب رسالة إنسانية فى العالم المتطور المتحضر ؟ ... كلا .. ثم كلا .. فان كل رسالتهم أن يغتصبوا البلاد ... وأن يستذلوا العباد وأن يجمعوا المال . وأن يسترقوا العالم بهذا المال . . والمال — فى بعض الاحيان — قد يسترق ، أو قد يشترى بعض أصحاب البطون الجائعة ، أو النفوس المريضة الضائعة .

ولكنه أبدا لا يمنح السيادة . . والقيادة ... ولا يستذل الأحرار الاباة . . إذن بماذا يأمل هؤلاء « الافاقون » وه المغامرون » أن يكون لهم فى العالم سيادة وقيادة ؟ ! بشيء واحد .. وواحد فقط لا غير . . ذلك الشيء الواحد .. هو « الوحدة » . الوحدة التى جمعت ذلك الشتات .. ولمت هذه الانماط والاخلاط تحت راية واحدة ، فى وطن واحد .. فاجتمعت لهم — بوحدة الرأى ، ووحدة الراية ، ووحدة الوطن — قوة يطمعون أن يوجهوا بها العالم ، وأن يسودوا ويقودوا .. وأن يفعلوا مايشتهون وما يشاءون .

الوحدة هى التى صححت تلك « الكسور » .. وحولت هذه « الأصفار » إلى « آحاد » صحيحة .. و « أرقام » مستقلة متكاملة فى حساب العالم ، وفى حسبان الحياة .

فاننا لو استعرضنا ما كانت عليه « الولايات المتحدة » فى الماضى ، ثم

ماصارت إليه الآن .. لدهشنا كل الدهشة ، وعجبنا العجب كله ، وأخذنا الذهول والدوار ، والغرابة ، والانبهار .

إذ أنه على الرغم من مرور أكثر من مائتى عام على تأسيس تلك الولايات المتحدة — التى تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى قوة عالمية كبرى — فان جميع الأمريكان لايفسون — حتى الآن — من اين جاء أباؤهم وأجدادهم؟ ولا إلى أى الدول تعود أصولهم وفروعهم ؟ وعند ماجرى آخر تعداد فى الولايات المتحدة الأمريكية .. اتضح — من واقع هذا التعداد — أن الأمريكيين ينتمون إلى حوالى ١٥٠ دولة .. وقومية

وفى هذا التعداد — الذى يعتبر أكثر التعدادات تفصيلا وشمولا فى تاريخ الولايات المتحدة — تبين الآتى :

إن أكثر من ٥٠ مليون أمريكى - أى ٢٢٪ من عدد السكان — ينحدرون من أصل بريطانى ..

وان ٤٩ مليون أمريكى ينحدرون من أصل المانى

وأن ٤٠ مليون أمريكى ينتمون إلى الشعب الايرلندى .

وجاءت الأصول الأفريقية — من سكان الولايات المتحدة الأمريكية — فى المرتبة الرابعة .. حيث أثبت التعداد أن ٢١ مليونا — وهم الزنوج بطبيعة الحال — ينتمون إلى أفريقيا .

وإن ١٣ مليوناً من أصل فرنسى .

وأن ١٢ مليونا من أصل إيطالى .

وإن « الاسكتلنديين » يمثلون — فى الولايات المتحدة الأمريكية —

١٠ ملايين . و « البولنديين » يمثلون ٨ ملايين .. واليهود الأمريكيين يمثلون ٧ ملايين .

وقد أثبت التعداد — كذلك — أن عدد الأمريكيين البريطانيين وصل اليوم إلى أكثر من عدد سكان إنجلترا .. كما يزيد عدد الأمريكيين الايرلنديين عن عدد سكان إيرلندا الحاليين بنسبة ١٢ — إلى ١ — ..

وقد كانت هناك نتائج أخرى هامة لهذا التعداد ، الذى شمل أكثر من ٢٥٠ مليون شخص .. هم عدد سكان الولايات المتحدة على وجه التقريب . ومنها :

— ان ولاية « ماساشوسيتش » تتركز فيها أكبر أغلبية إيرلندية . حيث تبلغ نسبة سكانها من أصل إيرلندى ٢٧,٣٪ من عدد السكان .

— وأن ولاية « كاليفورنيا » — وهى أكثر الولايات عدداً — يوجد بها خليط من الجنسيات .. ففيها من هم من أصل عربى ، ومضرى بالذات ، ومن أصل إنجليزى .. وألمانى .. وإيرلندى .. وفيها أغلبية ذات الأصل البرتغالى ، والسويدى .. والمكسيكى .. والصينى .. والايرانى .

— وأن أغلبية سكان مدينة « نيويورك » من أصول بولندية .. وإيطالية وأفريقية .

— وأن أكثر الولايات ازدحاما بالانجليز .. هى ولاية « أوتاه » ، حيث يسكنها ٥٤٪ من أصل إنجليزى .

— وأن واحدا من كل سبعة من ذوى الأصول « الاسكندنافية » يعيشون فى ولاية « مينيسوتا » ، حيث الجليد متوفر فى الشتاء يذكرهم دائماً ببلادهم الاصلية .

— وأن فى ولايات « كاليفورنيا » و « تكساس » و « لويزيانا » يعيش نصف « الفيتناميين » الأصل .. وعددهم ٢١٥ ألفا و ١٩٠ شخصا .

— وأن أصغر جماعة قومية هناك — فى الولايات المتحدة الأمريكية — تتمثل فى ذرى الأصول « القبرصية التركية » .. ويبلغ عددهم ١٧٧٠ شخصاً فقط ..

هذه هى أمريكا حاسرة ، سافرة ، بلا « رتوش » أو « ماكياج » أو أصباغ .. وألوان .

هذه هى أمريكا التى تتبجح اليوم ، وتتوقح على العرب ، وتحاول أن تطعمس حضارتهم وتاريخهم ... وما قيل عن أمريكا و « الولايات المتحدة » ، يقال عن روسيا و « الاتحاد السوفيتى » كذلك ، فى « أصله » و « فصله » .. يقال عن هؤلاء « اللقطاء » الذين لفظتهم مجاهل « سيبيريا » ومستنقعات « سخالين » ، ودفعت بهم الحاجة ، والعوز ، والفاقة ، والضرورة ، إلى أن يخرجوا من « شقوق الأرض » ، وأحشاء الضياع ، وأخاديد اللاشيء ، وتجاويف الضعة والمهانة ، وبطون الكهوف والأغوار .. كى يصبحوا بعد ذلك — وبعد أن لم يكونوا شيئاً — قوة كبيرة ترعد وتبرق ، وتخيف الآمنين ، وترهب المطمئنين الوادعين .. وتصبح كل شيء ..

هذه روسيا الحمراء التى زين لها شيطانها المريد ، وهيأ لها خيالها المريض ، أن فى استطاعتها — بولاياتها الكثيرة ، وجمهورياتها المتعددة الوفيرة — احتواء العالم كله ، والتحكم فى مصيره وقدره ، وتلوين عقيدته باللون الأحمر القانى .. وأن العرب أو المسلمين فى حسابها وتقديرها ، لن يزيدوا عن كونهم أبدا ، مسمارا ، فى « مطرقة » أو « صدأ » بين أسنان « المنجل » .

تلك هى أمريكا ، وروسيا ، وهذه « الولايات المتحدة » وهذا « الاتحاد السوفيتى » من لاشىء أصبحوا كل شىء ومن الضياع والغربة ، كونوا « الولايات » و « الاتحاد » .

ونحن العرب أبناء « أب واحد » خرج من تلك الجزيرة منذ بضعة عشر قرنا .. فهذه الاجيال كلها بين الشاطئين — من الخليج إلى المحيط — من أبنائه وحفدته.

وهذه الارض — تحت أقدامنا جميعاً — ملك لنا .. يجب أن لا يشاركنا فيها أحد .. لم نغتصبها من صفر ، ولا من سود .. ولم نسرقها أبدا من حمر ، ولا من هنود .. كما فعلت الولايات المتحدة الامريكية .. وكما يفعل الاتحاد السوفيتى الشيوعى .. بدماء آبائنا وأجدادنا بسقت أشجارها .. ومن كد ، وجهد آبائنا وأجدادنا ، كان عمرانها وحضارتها .. ونحن إلى كل ذلك ، أصحاب رسالة إنسانية فى العالم .. ولولانا لم تكن فى العالم هذه الحضارة .

علماؤنا — فى قرطبة ، وفى بغداد ، وفى القاهرة وفى الاسكندرية ، وفى سلطنة عمان وفى السعودية وفى ليبيا — هم الذين قدحوا تلك الشرارات ، التى يضيء بها اليوم كل أفق فى العالم ... عنا أخذ واقتبس علماء أوربا ... ثم انصرفوا يباهون بما أخذوا واقتبسوا ... وكدنا أن ننسى أننا مشعلوا ذلك النور .. وقادحوا زناده .

نحن العرب أمة ذات عرق .. وذات وطن .. وذات حضارة . وذات ماضى وذات رسالة ..

وأولئك هم آباؤنا ، وأجدادنا ، الذين أناروا للإنسانية سبيل الحضارة .. وطريق الحياة ..

فماذ يمنعنا أن نقول غدا — أو اليوم ، وفوراً .. وبكل فخر واعتزاز — : نحن أبناء « الأمة العربية المتحدة » ؟

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا — يا جرير — المجامع !!

نعم .. ماذا يمنعنا اليوم أن نفاخر ، ونباهى ، ونهتف من صميم قلوبنا ، ونقول بملء أفواهنا :

نحن أبناء الأمة العربية المتحدة ؟ !

وهل يصعب علينا نحن العرب أن نتحد فى اطار واحد ، ونتجمع فى تشكيل متحد قوى ؟

ذلك سؤال يخطر اليوم على قلب كل عربى فى الوطن العربى الكبير . . . إنه هدف الوعى العربى الجديد .. غاية لابد أن نبلغها — وسنبلغها إن شاء الله — بأسبابها ووسائلها ..

وأول هذه الأسباب ، وتلك الوسائل . . هو أن ندرك أن كل عربى لكل عربى أخ ، وجار ، ومواطن ... وإن كل أرض عربية لكل عربى وطن ، وسكن .. وإن لكل وطن فى الأمة العربية راية . . . وأن للأمة العربية كلها ، مجتمعة متحدة ، راية كبيرة واحدة ، « راية العروبة » .

لابد أن ندرك أن خيرات الوطن العربى متكاملة ، يكمل بعضها نقص بعض .. ففيها — مجتمعة — من خامات الصناعة .. ومن خامات الزراعة .. ومن طاقات العمل .. ومن إمكانيات القدرات .. ومن ألوان الخبرة ، وفنون المهارة .. ما يفى بحاجات الوطن ومتطلباته . فكل جزء منها فى بلد عربى بحاجة إلى جزء آخر فى بلد عربى آخر .. وليس بها جميعا مجتمعة حاجة إلى أحد أبدا من الغرباء ..

لابد أن ندرك أن تاريخنا — منذ القدم ، وإلى الغد — سلسلة متتابعة الحلقات مضى منها ما مضى بأسباب المجد والفخار ، والعزة والانتصار ...

نحن نؤمن بالوحدة إيمان القلب ، ولكننا نريد أن نؤمن بها — مع إيمان القلب — إيمان العقل ، والمعرفة ، والوعى ، والتنفيذ، والكفاح ... ولايكون ذلك إلا بالوحدة ، والتجمع ، والتكتل ، والحشد .

ان التجمع والتكتل أصبح من سمات هذا العصر ، ومن مميزاته وخواصه المشخصة له ... فان الدول التى لها حاجات متشابهة ، أو أهداف متواكبة متقاربة سرعان ما تلتحم وتلتئم ، وتترابط بعضها مع بعض ، فى « حلف » أو « جبهة » أو « كتلة » أو « منظمة » أو « اتحاد » أو « هيئة » أو « معاهدة » .. أو فى أى لون من ألوان « التضخيم » و « التجسيم » .

إن هذا الأسلوب يساعد هذه الدول على جلب المغانم ، ودفع المغارم .. وقضاء الحاجات ، وانجاز المصالح ... وفى الوقت نفسه يقيها من ضراوات الدول الكبرى ، وضربات الاستعمار ... ويجعلها فى مأمن ، ومنأى عن « فكى الكماشة » و « شقى المقص » اللذين تمثلهما كل من الكتلتين « الشرقية » و « الغربية » .. أو الاتحادين « السوفيتى » .. و « الأمريكى » .

ولا شك أن الأمة العربية — وقد أصبحت غرضاً « استراتيجيا » لكل من روسيا وأمريكا — فى أشد الحاجة اليوم إلى التجمع ، والتكتل و « الحشد » و « التعبئة » و « التراص » و « الوحدة » ... كى تحصن نفسها بالأمصال الواقية ضد هـذه الأوبئة الفتاكة ، والأطماع المسعورة ، التى تتراءى دائما — وعلى طول الخط — فى هذا السلوك العدوانى ، وتلك الهجمات الشرسة التى يرمينا بها العدو .. والتى تقتحم على العرب بيوتهم ، وتدق عليهم أبوابهم ، وتطوقهم من جميع الجهات ، وفى كل الجبهات.

إن الوحدة العربية — وهى ظاهرة صحية حضارية — غدت اليوم بين العرب ضرورة ملحة من ضرورات الحياة ، ولازمة من لزوميات العيش الكريم .. وأصبحت — بالنسبة للعرب — على وجه الحقيقة .. المقصد الأسمى ، والمطلب الرفيع الأعلى ، الذى يجب أن يسعوا من خلاله إلى تكوين « الكتلة الثالثة » التى ينتظرها العالم منهم .. والتى تقيم التوازن ، والتناسق ، وترسى قواعد العدل بين أبنـــاء البشر جميعاً ، وتنشر ألوية السلام خفاقة عالية فى ربوع هـذه الحياة . . .

وإذا كانت « القومية الصهيونية » — بقيادة إسرائيل — قد استهانت بالقومية العربية ، فحاربت العرب فى عقر دارهم ، واحتلت أرضهم فى فلسطين . . . والجولان . . ولبنان . . وهؤلاء العرب — ويالليهول — يشهدون كل هذا فى صمت ودهشة وذهول ، من غير أن يحركوا ساكنا — أو حتى ينكروه — وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو من بعيد . . .

إنى لاعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون ؟ أيخون إنسان بلاده ؟!

بل ان منهم — مع الأسف والأسى والمرارة — من باع نفسه للشيطان ، فراح يتلصص على أمته العربية لحساب اسرائيل ، ويمدها بالأسلحة والأسرار ويرتكب فى سبيلها — ومن أجلها — أقذر ألوان الخيانة ، واحط أنواع العار !! أفلا يهيب بنا ذلك أيها العرب ، ويحرك فينا دم يعرب وعمان ، ونزار وربيعة ومضر وقحطان ويناشدنا العروبة إلى أن نكتل الصفوف ، وننظم الزحوف ، وتخوضها معركة على بركة الله — وعبر ألف وسبعمائة مليون عربى ومسلم — باسم « الكتلة العرب اسلامية » لتحرير الأرض ، وصون العرض ، ودفاعا عن العقيدة والدين ؟ وإنا لمنتصرون بعون من الله .. « والله غالب على أمره » .

إن العالم العربي تمزقه اليوم هموم « الأيديولوجيات » المتباينة المتعددة ، حتى لتكاد تخنقه ، وتكتم أنفاسه ، وتقضي عليه ، وذلك بفعل فلاسفة الأعداء ، أو بفضل — وغباوة — الأصدقاء .. سيان .. فهناك الشيوعية ، والرأسمالية ، والتقدمية ، والتعاونية ، والاشتراكية ، والديمقراطية ، والامبريالية ، والميكافيلية ، والاستعمار التقليدي القديم ، والاستعمار الحديث البراق ، وممارسة هذه « الكرنفالات » ، وعملاء تلك « البورصات » ، وأذناب كل هذه « الموديلات » و « التشكيلات » ، وأبواق الشوارد الأوابد من هذه الدعاوى الرخيصة النافهة ، إلى آخر هذه القائمة السوداء من الداء والوباء الذي أناخ بكلكله ، وحط بزخمه وثقله فوق صدر هذه الأمة العربية المهيضة المريضة المجهدة ...

ومن عجب أن تتقاسم كل هذه الضواري الكواسر جسد هذه الأمة ، وتتزاحم عليه ، وتتخذ فيه مناطق نفوذ لها ، أو « قواعد » تتجمع فيها ، كي تضربه منها ، وتشون فيه ما تشاء من أدوات الهلاك والدمار ، وتفتح عليه منها جحيماً من الأعصار والنار ..

والأعجب من ذلك كله أن تتسابق هذه الغيلان — في شوط مسعور معربد — إلى اختراع شرعية الأسلوب الذي تتذرع به في النهب والغصب ، وانتزاع قانونية الصيغة التي تتسلل من بين سطورها ، وتتلصص من داخل كلماتها وبنودها إلى السرقة والسلب ، فترى كل فريق من هؤلاء الفرقاء ، وقد عكف على « تحليل » أحابيله ، و « فتل » خداعه وأحابيله ، في صورة منهج ، أو مذهب ، أو برنامج ، يخدع به السذج والبسطاء ، ويتعامل من خلاله مع الحياة ... والأمة العربية وحدها ، هي مضمار ذلك النزاع ، والملعب — أو المعمل — الذي تجري فيه ، أو تجرب في « أفرانه » أيديولوجيات هذا الصراع !!

ومن المسلم به تاريخا وواقعا ، ومن البديهيات الأوليات ، أن العربية هي

وعاء الإسلام ، وإنهما معاً متشابـــكان متعانقان ، كتشابك الروح بالجسد ، وتعانق المعنى والمبنى ، وأن الله أنزل دينه ، وأوحى قرآنه ، وأرسل رسوله ، فى بيئة عربية خالصة ، وإلى قوم عرب خلص ، وبلسان عربى مبين .

ومن هنا ، — وفى هذا المجال — وقد طفح الكيل ، وفاض السيل ، وتتابعت الهموم ، وتكاثرت السحب والغيوم ، وقد رأيت ، ورأى العالم كله معى ماحل بالمسلمين والعرب ، من مغبة المصير ، وسوء المنقلب . . فقد آن لى — وآن كذلك لكل مسلم عربى حر — أن أسأل وأتساءل ، ثم أصرخ — فى فزع وجزع ، واستنكار ، واستنفار — : كم هى مساحات كل قطر عربى ، وكل قطر مسلم على حدة ؟ وكم عدد سكان كل من القطرين معاً على ساحة العرب والمسلمين ؟ وكم هى الحاصلات الزراعية للامتين الإسلامية والعربية ؟ وما نوعية هذه الحاصلات ؟ وماهى الحرف ، والمهن التى يحترفها ويمتهنها أبناء هاتين الأمتين ؟ ثم ماهى الأنهر ، والابحر ، والخلجان ، والأفلاج ، والعيون ، والآبار ، والبحيرات ، والمحيطات التى تستوعبها ، وتشتمل عليها ، وتحتاجها المقتضيات الزراعية والحياتية عموما فى حقول المسلمين والعرب وفى حياتهم جميعا ؟ وماهى الطرقات ، والممرات ، والجسور ، والثغور ، والموانىء ، والمرافىء ، التى تتحزم بها أمتا الإسلام والعرب فى الحل ، والظعن ، والانتجاع والترحال ، وتربط عليها أقدامها ، وتمشى فى مسيرتها الطريق ؟

وما هى الخامات ، والطاقات ، والمعادن ، والجيولوجيات ، والمواد الأولية والعناصر الطبيعية ، التى تستكن فى باطن ، وتستجن فى أعماق ، وتتنامى فى أحشاء ، وتجاويف ، وعبر طيات وطبيات الأرض العربية المسلمة ، مما تحتاجه الصناعة والتقنيات ، ويعتمد عليه الاقتصاد والسياسات ، وتتطلبها الحرف والمهارات ، و « الديناميكية » ، و « التكنولوجيات » ؟

كم عدد العلماء ، والعباقرة ، والأفذاذ ، والشوامخ النوابغ ، فى كل أبواب

المعرفة ، وصنوف العلم ، وضروب الثقافة ، ومختلف النشاطات الفكرية ، التى تتطلبها الدنيا ، وتفرضها الإنسانية ، وتعيش عليها الحيـــاة فى الشرق العربى ، وفى الأمة الإسلامية جمعاء ؟

وما هى أبرز ما تمتاز به قادة هاتين الأمتين ، وزعمائهما فى السلم ، والحرب والسياسة ، والدبلوسية ، والذكاء ، والدهاء؟

وماذا أفاد أبناء العروبة من العربية ، وماذا أفاد أبناء الإسلام من العقيدة والدين ، على مر الأحداث والعصور ، والمواقف والدهور ؟

إن فى العروبة ما ليس فى غيرها قط ، من سائر القوميات — على مستوى العالم كله — لا سيما مع التقاليد الأصيـــلة ، والموروثات العريقة ، والخلائق الشامخة العملاقة ، التى لا تتوائم ، أو تتلاءم إلا مع التركيبة العربية المتميزة ،.. وإن فى الإسلام أمهات الفضائل ، وأرومات القيم ، وكليات المبادىء ، وأوليات — أو أولويات — الحقائق ، ومنطلقات الواقع ، ومشتقات الفعل الصادق ، والإنجاز الصامد ، والمفهوم العام ، والمحتوى الشامل الكامل لما يحتاجه النجاح عادة من دوافع وبواعث ، وما ينتظره ويتغياه من غايات وأهداف ، مما يسهم كثيراً ، ويساعد دائماً وأبداً على حسن أداء هذا النجاح وتلقيه ، والتعامل معه ، فى السلوكيات العامة ، والتفاعلات الحياتية المتكررة ، والمنهجية الذاتية ، المقتبسة — أو المنبثقة — من واقع الدين ، وفقه القرآن ، وشرعية السنة ، وورع العقيدة ، وتسامى الإسلام ، وكياسة المسلم ، وإمامية الرسول ، وفعل الصحابة ، وإجماعهم ، والتابعين لهم بإحسان ، على « وسطية » و« خيرية » هذه الأمة حتى تكون — ويكون معها أبناؤها المسلمون — كما قال الله تعالى:

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ...

وكما قال — جل شأنه — : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

تلك هي العربية ، وهذا هو الإسلام ، وهذه إمكانات ، وطاقات ، وقدرات وحشود هاتين الأمتين ، في أعداد بشرية هائلة ، لا تقل بحال عن الألف والسبعمائة مليون عربي ومسلم ، وخامات طبيعية كاملة ، وخيرات ، وخبرات ، وا كتفاء ذاتي ممتع ، واستغناء حياتي رائع ممرع ، مما يسعف العربي والمسلم ، ويستغني به من أن يمد ناظره ، أو يرسل خاطره ، أو يتمنى ، أو يشتهي ، أو يقف من أجله على عتبة دولة ، أو يقرع في سبيله باب أمة ، أو يجثو خاشعاً راكعاً تحت قدم ، أو يسجد ذليلا مهينا أمام وثن أو صنم ، كما يحدث الآن — ويا للاسف والعار — مع بعض الدول ، أو الحكومات أو الأنظمة العربية المسلمة !!

فلم لا تتكون — والحالة هكذا — من هاتين الأمتين التي أنهتين كتلة واحدة قوية ؟

لم لا تتواجد الأمة العربية والأمة الإسلامية في إطار شامخ هائل منيع ؟ وفي بناء راسخ شاهق ثابت ؟

لم لا تتجمع هذه الأصفار الكثيرة المبعثرة ، والكسور العديدة المتناثرة . في رقم واحد صحيح ؟

لم لا تتألف « الكتلة العرب إسلامية » — وقد آن الاوان — من خلال الدول العربية ، والآحاد ، أو الأقطار الاسلامية المتنوعة والمتوزعة في شتى أنحاء المعمورة ؟

وبذلك — وبعد هذا — لن تكون هناك دولة كبرى باطشة ، أو تشكيل قوى متسلط ، أو حلف ظالم جائر .

وبذلك — وبعد هذا — لن يكون هنـــاك « حق الفيتو » تستغله « الولايات المتحدة » ويستعمله « الاتحاد السوفييتي »، وتوظفه القوى الغاشمة فى قهر القضايا المصيرية ، وفى إسكات الأصوات الراعشة المظلومة ، وفى خنق التأوهات الصارخة المأهوفة، فى حناجر الضعفاء ، وعلى شفاه ، وفى حلاقيم المعذبين البؤساء . وفى طرد ورفض الحقوق المشروعة ، لكل صاحب حق مشروع ...

وبذلك — وبعد هذا — سيتحرر الإنسان ، وتتحرر مشيئته من التبعية والرعوية و « الذيلية » ، ولن يباع مرة ثانية ، أو ينادى عليه أبداً ، أو يعرض مولى رقيقاً ، أو بضاعة بائرة ، أو سلعة كاسدة فاسدة ، فى أسواق النخاسة ، وفى حوانيت العبدان ، أو فى متاجر المذلة والضعة والهوان . . !

وبذلك — وبعد هذا — سوف تنبثق من هذه « الكتلة العرب إسلامية » غارات الله ، وتنطلق حراسانه ونجداته ، ساهرة يقظى فى تتبع المعاندين ، وتقصو آثار المجرمين ، وتعقب المفسدين ، والأخذ بتلابيب هؤلاء الصعاليك العابثين ، الذين يلعبون بأقدار الأمم ، ويدوسون بأقدامهم مصـــائر الشعوب . ويتلهون — فكهين ضاحكين — بما جدلوه من حبال ، وما فتلوه من أمراس ، ليعلقوا فى « خيته » ، ويشنقوا بأنشوطته جسم الإنسانية ، وضمير الحياة . .

وبذلك — وبعد هذا — لن يكون هناك بغاة طغاة ، ولاجبارون عتاة ، ولاغلاظ شداد ، يتلهون بمنظر الدم الذبيح المسفوك ، أو العرض السليب المهتوك أو الحر الأخيذ المجهود المنهوك . ولن يبقى بعد ذلك أبداً هؤلاء الشياطين المردة المعاندين الذين يعبثون بالمقدسات ، ويتسلون بتفجير الذرات والنوويات ، وتشغيل الأفران والمفاعلات فى « هيروشيما » و « ناجازاكى » وفى غيرهما، وكما يفعلون الان فى حقول التجربة ، وعلى بقايا الإنسانية وأشلاء الحياة .

وبذلك — وبعد هذا — ستبور تجارة الأسلحة ، وتكسد أسواق الموت وتغلق أبوابها بالضبة والمفتاح ، ويجوع حفارو القبور ، في أمريكا ، وروسيا ، وإسرائيل ، وغيرهم من تجار الموت ، وسماسرة الفناء ، الذين يتعيشون من هذه الحرف الحقيرة ، ويعيشون — كالنائحات المأجورات — على دموع الأرامل واليتامى ، وأنات الثواكل والأيامى ، وآهات الباكيات الزافرات المحزونات .

وبذلك — وبعد هذا — ستسكت المدافع ، وتنخرس الطلقات ، وتتعطل القنابل ، وينفد البارود ، وتبطل تشكيلات الحرب ، وتتقطع أواصر الأحلاف ، وتتمزع بنود الاتفاقيات الباغيات ، وتتبخر مواد المعاهدات الغادرات دخاناً في الهواء ، وتتجمد ضراوة الاستعباد ، وشراسة الاستبداد ، ثلجاً بارداً يرقد في أعماق الماء ، أو دمى صبيانية تافهة تعبث بها أصابع الفناء . . أو أوراقاً ذابلة تطير بها عواصف الشتاء . .

وبذلك — وبعد هذا — ستنفض المعارك القائمة الدائمة بين المعسكرين الأكبر قوة ، والأكثر عتاداً وعدة وعنوة ، في كل من فيتنام ، والصين ، ونيكاراجوا واليابان ، ودول الشمال ، وبلاد « الأيديولوجيات » المتصادمة المضادة وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي الاتحاد الشيوعي اللاديني ، وتقضي على هذه الحروب الدائرة في كل من جنوب أفريقيا ، وجيوب وأعماق وأحشاء الصحراء ، وفي الوطن العربي من خليجه إلى محيطه ، وبالأخص في فلسطين ، والجولان وإسرائيل ، ولبنان ، والمغرب ، والبوليساريا ، والجزائر ، وتونس ، وليبيا ، والسودان ، وسوريا ، والعراق ، ودول الخليج وإيران ، وروسيا وأفغانستان ، وفي كل هذه الاشتباكات المتصارعة المتنازعة بين مختلف القوميات والنزعات والجنسيات ، فوق أرض العرب ، وعلى المدى الإسلامي البعيد عبر الأمة الإسلامية جمعاء ، وفوق خريطة العالم كله . .

ومن أجل هذا الحلم الجميل ، وفي سبيل تحقيق تلك الأمنيات الرغيبات ،

كانت رسالة عمان منذ أبعاد التاريخ وآماده ، وكانت تلك الدعوات الصادقة التي يصاحبها العمل الميداني ، والتي يدعو إليها ، ويحض على فعلها ، والتمثل في محرابها جلالة السلطان قابوس بن سعيد — سلطان عمان — في كل تحركاته وتصريحاته ، وفي كل أفعاله ومقولاته ، بعيداً عن الدعاية والطنطنة ، ورفضاً للمظهرية والإعـــلان ، وعملا خالصا لوجـــه الله ، في عباد الصامدين ، وإصرار المناضلين ، وعزيمة الأوفياء الأمناء ، الذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون » ، وفي هـذا يقول جلالته — وكثيراً ما قال ، وفعل ، وصرح ، وتحرك ، وناضل ، وعبر ، حول هذا المعنى ، وفي ذات المضمون والمحتوى — :

« لقد كنت حريصا يوم أن توليت أمر عمان صباح الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٧٣ على أن أعيد — مع السلطنة — الاتصال بالعالم الخارجي ، وأن أؤكد انتماءنا العربي ، وبحمد الله ، لقد نجحنا في هذا كل النجاح ، ونحن عند ما نتحدث عن ضرورة دعم العلاقات العربية ، فإننا لا نقصر حديثنا على الجزيرة وحدها ، إنما نعني جميع الدول العربية ، من المحيط إلى الخليج ، إننا نؤمن بالتعاون العربي في أوسع صوره ، وفي الوقت نفسه نؤمن بالتعاون الدولي ، الذي لا يمس سيادتنا ، أو ينال من استقلالنا وذاتيتنا ، ونؤمن الإيمان كل الإيمان — بالأمة المسلمة العريضة العريقة ... ويا حبذا — وكم تمنيت ، وأتمنى ، وأدعو دائماً — لو تلاقت العروبة مع الإسلام في موقع عمل موحد ، وفي مركز استراتيجي واحد ، وساراً معا في موكب واحد ، على درب واحد ، وفي طريق قاصد واعد ... إذن لسعد العرب ، وسعد المسلمون ، وسعد العالم كله ، وسعدت الحياة جميعها بكل هذا التلاقي والتوحد في العمل والاستراتيجية »

فيا أيها العرب ، ويا أيها المسلمون ، كونوا من أصفاركم وكسوركم أرقاما صحيحة ، ومن أحادكم وعشراتكم حشوداً زاحفة ضخمة ، ومن الالف والسبعمائة مليون عربي ومسلم ، الكتلة العرب إسلامية ، حتى تتمكنوا أخيراً — وفي النهاية — من فسخ « ذراعي مقص » الكتلتين العظميين ، ومن تمزيق

، شقى طاحونة، نيويورك، والكرملين ، ومن فلك ، فكى كماشة، الأيديولوجيات الشرسة، الرهيبة التى تعمل على افتراس العالم ، وابتلاع أقداره ومصيره ، وإحكام قبضتها — وفرض وصايتها — عليه ، ولاسيما على العالمين العربى والاسلامى ..

يا أيها العرب ، ويا أيها المسلمون .. ارموا جميعا عن قوس واحدة، ينصركم الله، ويسدد خطاكم، ويصوب رمياتكم، وكونوا مع الله يكن الله معكم... ، إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون، ... وصدق الله إذ يقول: .. ، إنا لننصر رسلنا، والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الاشهاد ، ... وليكن شعاركم القائم الدائم قول الله تعالى: ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين، . وإلى اللقاء — بمشيئة الله — فى مؤلفى القادم ، جابر بن زيد، شيخ المحدثين وإمام الفقهاء عبر سلسلة ، عمان ... والامبراطورية العربية ، .. والله من وراء القصد ، وعليه الاعتماد ، وبه التوفيق والسداد ، ومنه العون والرشاد ... وهو نعم المولى ، ونعم النصير .

عنوان المؤلف

جمهورية مصر العربية
٣٣ شارع دجلة
المتفرع من شارع شهاب شقة ١٣
مدينة المهندسين — الجيزة
تليفون رقم ٧١٧٦٣٧

المؤلف

السيد عبد الحافظ عبد ربه
من علماء الأزهر

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
مقدمة	٧
الباب الأول	
عمان بين احضان التاريخ	
بمشيئة الله وعونه	٢٧
عمان والجزيرة العربية	٢٨
آية الله فى الأرض	٣٠
شوط . ورحلة	٣١
الإنسان .. والخريطة	٣٢
كرسى الجزيرة	٣٤
جغرافية .. ومناخ	٣٥
محها فى أعلا القمم	٣٦
عمارات النجوم	٣٧
مشوار مع الوديان	٣٧
صنام البعير وغاربه	٤٠
يالها من آية !	٤٠
أما عواصم عمان الساحلية	٤١
دهليز الشرق	٤٢
فى طبيعتها الحديثة	٤٤
نهضة .. ووثبة	٥١

الموضوع	الصفحة
ومن هنا كان الطمع	٦١
حتى الاجانب	٦٣
فى شكلها الحقيقى	٦٣
لم يجهلونها ؟	٦٥
التاريخ .. والواقع	٦٦
تدقيق .. وتحقيق	٦٨
من أعماق الدهور	٦٩
هم عمالقة التاريخ	٧٠
بين النص والاجتهاد	٧١
الخيمة .. والوتد	٧٢
عمان فى شرق أفريقيا	٧٣
كانتا واحدة	٧٥
هم لا غيرهم	٧٦
احراش .. وادغال	٧٦
دين .. وعروبة	٧٧
انســـان فى مسيرة	٧٩
رواد وأساتذة	٨١
الأسطورة . والبطل	٨٢
مجابهة .. ومواجهة	٨٤
مع مالك بن فهم	٨٤
تفرقت بهم الطريق	٨٥
حنين .. وشوق	٨٧

الموضـــوع	الصفحة
وفى رواية	٨٨
وهاجت المعركة	٩٠
بطل وأيم الله	٩١
وزغردت الانتصارات	٩٢
يالها من بطولات !	٩٤
مهلا .. على رسلك	٩٥
ولكن .. هيهات	٩٥
والناحونة تدور	٩٧
إلى غير رجعة	٩٨
أحاديث السمار	٩٨
من آل فهم إلى آل الجندى	٩٩
يأخذ كل سفينة غصبا	١٠١
أما كيف قتل مالك ؟	١٠٢
خسارة ليتها ما كانت !	١٠٣
وهل بقى شىء فى الأعماق ؟	١٠٥

الباب الثانى

كيف دخل الاسلام عمان ؟

وأشرق النور	١١١
بينى وبين الرسول	١١٢
عمان فى منطوق النبوة	١١٤
من محمد رسول الله	١١٥

الموضوع	الصفحة
معا .. على الطريق	١١٩
بين عمرو .. والجلندى	١٢١
أى شىء تريد ؟	١٢٢
وهل علم هرقل ؟	١٢٤
تكلم بحاجتك	١٢٧
ملوك .. ودعاة	١٢٩
إرهاصات يهودى	١٣٠
كذبت يا ابن الأخابث	١٣٢
طموحات .. ونبوءات	١٣٤
وجعل التاريخ يركض	١٣٥
معاشر أهل عمان	١٣٦
يضرب الصخرة بالصخرة	١٣٨
من أبى بكر	١٣٩
إقطع رأسها قبل أن تطل	١٤٠
عمر .. والقضية	١٤٢
استغراب .. واستعجاب	١٤٣
جميعا من الازد	١٤٥
فى كل مكان	١٤٧
وأيضاً مع سائر الفنون	١٤٨
فى الجاهلية والإسلام	١٥٠
أبيت اللعن	١٥١
يا أبناء حمير	١٥٣

الموضوع	الصفحة
أعجبتنى ثم زهدتنى	١٥٤
بعدت بلادك عنا	١٥٦
بين كسرى وابن ذى يزن	١٥٧
ذل الحمار وذل ملكه	١٥٩
والعمالقة يتوافدون	١٦١
ومنهم أيضاً	١٦٣
عشقوا .. فمالوا	١٦٤
تبابعة .. وماذا ؟	١٦٧
بين أجا .. وسلمى	١٦٨
إنهم قوم مازن	١٧١
وأيضاً .. من الأصحاب	١٧٢
هل أدلكم إلى خير ؟	١٧٥
بهذا أشار الحباب	١٧٧
أغرانا على يوم بدر	١٧٩
أحد الستة .. والاثنى عشر .. والسبعين	١٨٠
وقت أذنك يا غلام	١٨٢
قتله وحشيى أيضاً	١٨٣
شيطان أم ابن قرط ؟	١٨٥
النعامنة	١٨٧
أفلحت الوجوه	١٨٩
أكتمها على	١٩٠
اللهم اكسه جمالا	١٩٢

الموضوع	الصفحة
ومنهم السعود الثانية	١٩٤
وصحابيات فاضلات	١٩٦
شاعرة العرب	١٩٩
فلو كان النساء كمثل هذى	٢٠٢

الباب الثالث

الاباضية .. والفرقة الناجية

أغدر بعد عهد ؟	٢٠٧
مؤامرة .. واويلتاه !	٢٠٩
خالصة لوجه الله	٢١١
تقتلك الفئة الباغية	٢١٢
على من يقع الوزر ؟	٢١٤
كيف بك مع ابن الطلقاء ؟	٢١٦
همه الدنيا وفقط	٢١٧
ليتهم ما فعلوها	٢١٩
تفرقة وأى تفرقة !	٢٢١
لله الله !	٢٢٣
أبو موسى وعمرو والامامان	٢٢٤
من هنا بدأ الخوارج	٢٢٥
لله الامر	٢٢٧
مظلوم وأيم الله !	٢٢٨
عفوا .. وغفرا	٢٣٠

الموضوع	الصفحة
أهل الاستقامة والسنة	٢٣٣
النواة الأولى للمذهب	٢٣٥
الإسلام النقى	٢٣٧
معا .. فى مضمار	٢٣٨
شهادة .. وتقدير	٢٤٠
أما كيف بدأت الأباضية دورها ؟	٢٤٤
الفرقة الناجية	٢٤٦
الأمانة العظمى والأباضية	٢٤٧
ماذا كان قبل الأباضية ؟	٢٤٨
أحماض .. وأمراض	٢٥٣
قالوها .. لا	٢٥٥
أقدم من اسمه	٢٥٦
على مستوى العالم	٢٥٧
أم المذاهب..	٢٥٩
عملاق بين الأقزام	٢٦١
كانا على موعد	٢٦٢
عبد الله بن أباض	٢٦٣
المقامات .. والطريق	٢٦٨
يالها من رسالة!	٢٧٠
وهكذا ..	٢٧٦
إنى مهاجر إلى ربى	٢٧٧
الخطاب الثائر	٢٨٤

الموضوع	الصفحة
النبع الذى فاض	٢٩٧
مع أهل عمان	٢٩٨
عن من نقلوا ؟	٢٩٩
ذرية بعضها من بعض	٣٠٢
وعموما ..	٣٠٤
إمامة .. وأئمة	٣٠٤
ليس لها مثيل	٣١٣
طوبى للغرباء	٣١٦
لئن أعاشنى الله	٣١٨
أحرزوا قصب السبق	٣١٩
ومنهم الخطباء والشعراء	٣٢١
وأيضاً .. فقهاء ومحدثون	٣٢٣
حتى علم العروض	٢٢٤
صاحب الكامل وأيام العرب	٣٢٥
تلك هى عمان ..	٣٢٧
خاتمة	٣٣١
الفهرس	٣٤٩
للمؤلف	٣٥٧

المؤلف

١ ــ بحوث فى قصص القرآن

٢ ــ الآيات الكونية فى القرآن

٣ ــ مع الإسلام فى إنسانيته .

٤ ــ الإسلام .. والحياة .

٥ ــ الديمقراطية الصحيحة .. والاسلام

٦ ــ الثورة الاجتماعية فى الاسلام

٧ ــ فلسفة الجهاد فى الاسلام

٨ ــ الوحدة الاسلامية من القرآن والحديث

٩ ــ المسلمون على مفترق الطرق

١٠ ــ إفلاس المذاهب البشرية

١١ ــ الايديولوجيات الملحدة

١٢ ــ البطل الفاتح خالد بن الوليد

١٣ ــ ثورة وثوار

١٤ ــ مطلع الفجر

١٥ ــ من مشاهد يوم القيامة

١٦ ــ علامات استفهام ؟؟

١٧ ــ ماذا بعد الحق ؟

١٨ ــ مع هؤلاء الشوامخ

١٩ ــ الاسلام فى مواجهة الشيوعية

٢٠ ــ الشيوعية دون قناع

٢١ ــ السياسة الاقتصادية فى الإسلام

٢٢ ــ الدين سلوك ومعاملة

٢٣ ــ المرأة فى موازين الإسلام

٢٤ ــ سماسرة العقيدة وتجار الديانات

٢٥ ــ علامات على الطريق

٢٦ ــ أيها المسلمون !

٢٧ ــ إنه لقرآن كريم

٢٨ ــ التعاون الخليجى خطوة إلى الامام

٢٩ ــ المسلمون ... والقوة الثالثة

٣٠ ــ العالم فى طريقه إلى الاسلام

٣١ ــ الاباضية مذهب وسلوك

٣٢ ــ أضواء على تفسير القرآن الكريم فى ثلاثين جزءا
تحت الطبع

٣٣ ــ جابر بن زيد .. من سلسلة « عمان .. والامبراطورية العربية » .
تحت الطبع

٣٤ ــ يا أمة العرب ...

٣٥ ــ نوعيات من الناس ... تحت الطبع

ترقب

شيخ المحدثين وإمام الفقهاء

« جابر بن زيد »

ضمن سلسلة « عمان ... والامبراطورية العربية »

إنه فى الطريق إليك

رقم الايـداع ٨٦/١١٠

طبع بمطبعة الألوان الحديثة بالوطية ت : ٥٦٢٢٧٦